مكتبة

روزي بليك

رحلة هيغي

رواية

هل تستطيع كلارا أن تعلّمك
فن السعادة الدنماركي؟

Hygge

مكتبة 851

المركز الثقافي العربي

إهداء لـ..

ن. غ.

مكتبة | 851
سُر مَن قرأ

روزي بليك

رحلة هيغي

الكتاب

رحلة هيغي

تأليف

روزي بليك

ترجمة

أمال ن. الحلبي

الطبعة

الأولى، 2020

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-954-8

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 305726 522 212+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 113 ـ 5158 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 01 750507 ـ 01 352826

فاكس: 343701 1 961+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

العنوان الأصلي للرواية:

Rosie Blake

The Hygge Holiday

© Little, Brown Book Group
2017
All rights reserved

ألّفتها روزي بليك
نُشرت للمرّة الأولى
في بريطانيا من قبل Sphere
وهي دمغة لمجموعة
Little, Brown Book Group

مكتبة
t.me/t_pdf

٢٠٢٢ ٦ ١٦

روزي بليك

مكتبة | 851
سُر مَن قرأ

رحلة هيغي

رواية

ترجمة: أمال ن. الحلبي

المركز الثقافي العربي

تعريف بالكاتبة

روزي كاتبة تخصّصت بكتابة القصص المسلّية. كانت قد نشرت ثلاث قصص[1] قبل أن تنتقل إلى كتابة القصص القصيرة والمقالات الدورية في عدد من المجلات المعروفة[2].

عملت في التلفزيون كمقدّمة برامج مسجّلة أو بطريقة البثّ المباشر. وتنشر بانتظام مدوّنات وفيديوهات على الإنترنت. تعيش في منطقة بيركشاير في إنجلترا مع زوجها وابنها بارنابي وتعتني بتربية بعض طيور الدجاج. تراها منشغلة في هذه الأيام بتحضير أطباق من الحساء لأن أحدهم أهداها كتاباً متخصّصاً في وصفات الحساء. أما لو فتّشت عنها ولم تجدها تتنزّه على ضفّة النهر، أو غارقة في الكتابة في كوخها الخشبي (جوّ هيغي بامتياز)، أو مصغية لابنها مردّداً للمرة المئة أغنيته المفضّلة، فستجدها تحلم في وضح النهار باليوم الذي ستُهاتفها فيه الممثلة جوليا روبرتس لكي تطلب منها أخيراً أن تصبح صديقتها المقرّبة.

---

(1) *How to Get a (Love) Life; How to Stuff Up Christmas; How to Find Your (First) Husband.*

(2) *Cosmopolitan; The Sunday People; The Lady; Best & Reveal magazine.*

إلى برنابي - ولدنا الرائع

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الأوّل

حدث كلّ ذلك ولم يكن قد مضى على دخول كلارا أكثر من عشر دقائق.

كان كلّ شيء يبدو عاديّاً في مساء ذلك الثلاثاء. ولم يكن في الحانة سوى بضعة أشخاص: ثنائي شابّ في الزاوية. يحاول الشابّ أن يرتاح فوق كرسيّه المرتفع قبالة رفيقته التي جلست في مقعد عادي، وبدت الشابّة على قسط من الجمال في بساطة الهندام بسروال من الجينز وكنزة سوداء من صوف الكشمير الناعم. أمّا شعرها الأشقر والمائل إلى حمرة الفراولة فمسرّح ببساطة إلى الوراء ومعقوص عند أسفل رأسها. وعلى مقعد مرتفع آخر أمام المشرب جلست امرأة أكثر تقدّماً في السنّ ذات شعر مصبوغ بالأحمر النحاسي، وخطّ عريض من الكحل على جفنيها وأمامها زجاجة نبيذ تحتسيها بنهم. أمّا الساقي فرجل ضخم الجثّة لم يتأخر عن ملء كأسها كلّما لاحظ نقصانه، وعلى زنده وشم لصورة طيرٍ لم تتمكّن كلارا من التعرّف إلى نوعه. وأمام المشرب أيضاً وقف رجل نحيل

الجسم في مثل سنّ الساقي وإنما في نصف حجمه. وكان الرجل النحيل ينظر بكآبة إلى كأسه حيناً، ويسترق النظر إلى المرأة ذات الشعر النحاسي حيناً آخر، ثمّ يرفع يده ليصفّف خصلات شعره الهزيلة فوق بقعة صلعاء لامعة عند قمّة رأسه. ولاحظت كلارا وجود ماكينة للعبة القمار في إحدى الزوايا والتي كانت ترسل بين الفينة والأخرى ومضات ضوء ساطع، وصوتاً متقطّعاً يلفت الانتباه إلى وجودها؛ وعلى الجدار المجاور للماكينة علّقت لوحة دائرية للعبة رماية سهام ريشية وإنما خالية من السهام. وإلى جانب لوحة الرماية ارتفع مصباح أرضي بقرب الطاولة حيث جلست كلارا وبيدها كتاب.

وإذ بامرأة تظهر فجأةً عند الباب بشعرٍ مبلول ولم يكُن الطقس ماطراً. كانت ترتدي معطفاً صوفيّاً أزرق فيروزياً وجزمة بنفسجيّة اللون من الكاوتشوك. اخترقت الحانة بخطوات جامحة وهي تفتح ذراعيها وتنادي بأعلى صوتها: «أسرِعْ يا غافن! أعطني كأس جين تونيك مزدوج؛ لا تبالغ في كميّة التونيك»؛ وما إن وصلت إلى المشرب حتى أعلنت: «لقد انتهيت!» فإذا بكل الرؤوس تستدير نحوها ومن بينها رأس كلارا. وأضافت: «انتهى الأمر وسوف أغلق أبواب المتجر. كنت في الحمّام تحت المرشّة واتّخذتُ القرار. تبّاً لكل شيء، لم أعد قادرة على الاستمرار. سوف أترك كلّ شيء وأرحل».

استقرّت يد غافن على سدّة القنينة ووقف فاغرَ الفم. «لن يحضُرَ كأس الجين إليّ بنفسه يا غافن»، قالت المرأة وهي تخلع معطفها لكي تظهر في بيجاما رياضيّة شتويّة بلونورديّ فاقع. «سوف أحمل هذه القنينة معي إلى البيت؛ قنينتي فارغة وأحتاج إلى مشروب قويّ.

لا بدّ للإنسان من مشروب قويّ لحظة اتّخاذ القرارات الصعبة؛ طالما اكتفيت بالمشروبات الخفيفة ولكنها غير كافية في مثل هذا الوقت».

«ولكن. . . ، اهدئي لويزا، تكلّمي إلينا. . . »، قال غافن وانحنى ليأخذ كوباً من الرفّ التحتي.

وإذا بالمرأة ذات الشعر الأحمر النحاسي والكحل الكثيف تتمتم بسخرية: «دراما، دراما».

ولاحظت كلارا نظرة لويزا الحادّة إليها.

غَرَف غافن بضعة مكعبّات من الثلج وأسقطها في الكوب قائلاً: «تعالي عزيزتي لويزا، ألا يقول المثل إنّ التحدّث بشأن المشكلة يخفّف. . . ».

اقتربت لويزا منه وأجابت بامتعاض: «يا إلهي يا غافن، تتكلّم وكأنك تقرأ جملة مملّة من بطاقات المعايدة». ثمّ رمت معطفها على إحدى المقاعد، وتابعت: «حسناً، سوف أجلس لأشرب كأساً واحداً، ولكنّك لن تتمكّن من إقناعي بالعودة عن قراري؛ لن يحدث ذلك أبداً وسأعود إلى البيت فوراً لأحجز بطاقة السفر».

«بطاقة سفر؟»، قال غافن وانزلقت يده عن الكوب فانسكب التونيك على سطح المشرب.

«بطاقة سفر إلى إسبانيا. لا أستطيع البقاء هنا بعد الآن»، أعلنت لويزا بعد أن أمسكت كوبها وازدردت منه جرعةً أولى. وأطبقت شفتيها بقوّة متلمّظةً طعمه وقالت: «مشروب الجين. . . ، يا له من اختراع لذيذ، وليس في العالم اختراع أفضل منه».

«ولكن ماذا ستفعلين بالمتجر؟»، سأل غافن، ناظراً إليها ويداه منبسطتان فوق المشرب حتى بدت أصابعه مثل عشر نقانق مفلطحة.

«سأغلقه»، أجابت لويزا بعد لحظة من الصمت.

«ماذا تقصدين بكلامك؟».

«الإغلاق، النهاية، كل شيء انتهى. سوف أنهي كلّ شيء بهدوء، ولن يلاحظ أحد ذلك على كلّ حال».

«ولكن موسم الميلاد بات قريباً ـــ»، أجاب غافن.

«لا يمكن لهذه المرأة أن تفعل شيئاً بهدوء»، قالت المرأة ذات الشعر النحاسي مقاطعةً كلام غافن، وقد صبغ النبيذ الأحمر شفتيها وبدا وجهها مسفوعاً وكأنها عادت لتوّها من العمل في الهواء الطلق حيث لفحتاها الشمس والريح.

«روز»، قال غافن، ثم ملأ كأسها ورمقها بنظرة إنذار.

استدارت لويزا فجأة نحو روز مستنكرة وسألتها: «وما القصد من هذا الكلام؟».

حبس كلّ مَن كان في الحانة أنفاسه. استقرّت أنظار الثنائي الشابّ على المرأتين. ووقف الرجل الأصلع يراقب مشدوهاً ويتلمّس كأسه باهتمام وكأنه لم يلحظ أنه بات فارغاً. وحتى كلارا التي كانت تشعر بألم في كتفيها جرّاء حقيبة الظهر الثقيلة التي حملتها طيلة اليوم، والتي كانت تترقّب صعوبة النوم في تلك الغرفة الصغيرة في الطابق العلوي وفي ذلك السرير الضيّق تحت السقيفة الخشبية، لم تتمكّن من أن تشيح نظرها عن المرأتين.

«لقد سمعتِ ما قلته»، أجابت روز، وقد رفعت ذقنها ونظرت بكبرياء من كرسيّها العالي إلى لويزا.

وقفت لويزا وشعرها يقطر ماءً وقد تلوّنت خدّاها بلون الدّم الفائر، «يعود سبب كلامك هذا إلى أنك مثل ثمرة خوخ يابسة ومنطفئة».

وإذا بعينَي الرجل الأصلع تسطعان شرراً على الفور، ويصرخ:

«تمهلّي، هي ليست خوخة!»، ثمّ رفع كفّه إلى فمه ربّما ليقطع الطريق على مزيد من الكلمات التي قد تخرج منه.

فتجيبه لويزا للتوّ: «هل تدافع عن حبيبتك يا كلايف؟».

«ليست كذلك...»، واحمرّت وجنتاه فجأةً، فأحنى رأسه حتى ظهرت البقعة الصلعاء عند قمّة رأسه واضحة تماماً أمام عيون روّاد الحانة الشاخصة إليه.

«اطمئن يا كلايف، إنها لن تفعل ما تقوله طبعاً»، قالت روز، وتابعت: «كلّ ما تقوله الآن ليس سوى نزوة عابرة. ستعود إلى البيت وتجفّف شعرها وتغيّر تفكيرها».

«آه، فهمت، تظنين أنها لحظة عابرة، أو نوبة شغف...»، قالت لويزا، وأرست كأسها بقوّة على المشرب حتى قفزت منه إحدى مكعبات الثلج التي لم تكن قد ذابت كلّياً بعد، فوثبت إلى سطح المشرب وانزلقت إلى الأرض.

«واحدة من نوباتك العديدة»، قذفت روز تلك الكلمات واستدارت لتعود إلى وضعيّة جلوسها السابقة.

«هذا غير صحيح! أعطني مزيداً من الجين يا غافن»، قالت، وعيناها لم تفارقا روز التي ما زالت تحتسي النبيذ، والتي كانت قد حوّلت اهتمامها في تلك اللحظة إلى نزع ما كان متبقٍّ على أظافرها المصبوغة من طلاء أرجواني غامق.

«تذكّري المرحلة التي كنتِ تتعلمين فيها حياكة الصوف، ثم المرحلة التي امتنعتِ فيها عن المأكولات التي تحتوي على الغلوتين، ثمّ مرحلة انشغالك بذلك الذي يُدعى نيك ومجموعته...». وتوقّفت روز برهة عن كلامها وأدارت عينيها بنزق لتتابع: «ثمّ جاء ريغ ليأخذ

مكان نيك، وبعد ذلك بدأت مرحلة مراقبة الطيور، وجمع التبرّعات لكي تذهبي في رحلتك المفترضة إلى آيسلاند من أجل مشاهدة طائر البَفَن البحري، تلك الرحلة التي لم تقومي بها قطّ، وكان كلايف قد تبرّع لك بخمس ليرات إسترلينية من أجل ذلك...».

«كل الناس يعتقدون أن طائر البَفَن من فصيلة البطريق، ولكنّه من فصيلة مختلفة تماماً»، قال كلايف متمتماً فوق كأسه.

لا تشبه تلك الأمسية من قريب ولا من بعيد ما كانت تسعى إليه كلارا عندما مرّت مصادفةً أمام الحانة منذ ساعتين. كانت مرهقة حقّاً وتتمنّى لو كانت قد ذهبت إلى النوم في تلك الساعة. ولكن المشهد مسلٍّ وأفضل من عرض تلفزيوني...

وتابعت روز: «... دراسة الأدب الإنجليزي عبر الإنترنت، نادي الكتاب الذي أصرّيت على إطلاقه - لم يحدث أيّ لقاء بين الأعضاء، وذهبت قراءتي لكتاب «مانسفيلد بارك» هباءً؛ ولعلّ بطلته فاني برايس أكثر النساء بلادةً في الأدب الإنجليزي. كنت أفكّر بالفعل أنني قد أموت قبل أن أصل إلى نهاية ذلك الكتاب...».

قبل وصولها إلى الحانة هذا المساء، ظنّت كلارا أنها تأخّرت في التفتيش عن مكان لتقضي فيه ليلتها. فكان قد شدّها منظر المغيب الأخاذ فوق الحقول المنبسطة، وما زال الشاي ساخناً في القنينة الحافظة للحرارة التي تحملها في الحقيبة، فجلست لمهلةٍ غير قصيرة تشرب الشاي وتتأمّل في السماء المخطّطة بألوان البرتقالي والوردي... غير أن النور المنبعث من نوافذ الحانة والذي يرسم دوائر من الضوء على الأرض خارجها، قد لفت انتباهها وبخاصة أن باستطاعة الناظر حتى من مسافة بعيدة أن يرى ظلال الناس التي تتحرّك داخلها.

سارت في اتجاه مصدر الضوء، وعندما اقتربت، لاحظت السطح الضخم المغطى بما يشبه القش فوق الجدران المطلية بالكلس الأبيض. وبعد أن قرأت ما كُتب على اللوحة البسيطة عند الباب بخط اليد: «سرير وفطور»، اجتاحت موجة من الارتياح المنعش كيانها. فتحت الباب ودخلت والحقيبة تثقل ظهرها وكلّها رجاء في أن تجد غرفة شاغرة. كانت تتخيّل عشاءً مؤلّفاً من شريحة من لحم العجل وإلى جانبها فطيرة دسمة ولذيذة وكوب من البيرة الخفيفة، بقرب النار المتأججة في الموقد، وتوقّعت أنها ستأكل وتقرأ قليلاً في كتابها ثم تنام. وإنما لم تتصوّر قطّ شيئاً من كل هذا.

وسرعان ما اكتشفت أن مصدر الضوء المنظور إلى مسافة بعيدة كان مصباحاً عارياً يتدلّى من السقف بين شقوق سقيفة خشبية سميكة ليبرز كلّ لطخة على السجادة الحمراء القديمة التي تغطي أرض الحانة. أما أوراق الشجر الملوّثة بالوحل والمتطايرة إلى الداخل فازداد عددها عندما فتحت كلارا الباب ودخلت. الحانة لا تقدّم الطعام. أما عبارة «سرير وفطور» فتشير إلى غرفة صغيرة في العليّة تحت السقف مباشرة، وعلبة صغيرة من رقائق الحبوب، وموزة متروكة على الصينية.

وبأيّ حال، لن تجد في تلك الساعة مكاناً آخر تأوي إليه، والبار يبدو مقبولاً إلى حدٍّ معيّن: مجموعات من المقاعد المخمليّة الحمراء حول طاولات مصنوعة من خشب الجوز البني وزّعت في الغرفة على نحوٍ مستدير. طلبت كلارا بعض الرقائق المنكّهة بالملح والخلّ وإصبعين من الشوكولاتة وكوباً كبيراً من البيرة المحليّة. وبعد أن شربت كوبين من البيرة، نسيت رغبتها في الطعام الساخن. وكانت قد انصرفت بسعادة إلى كتابها في حضن مقعد مريح قريب من

المدفأة، وتحت نور المصباح الأرضي الوحيد في الغرفة، إلى أن ظهرت تلك المرأة الناريّة بشعرها المبلول لتغيّر كلّ أجواء الأمسية.

وتابعت روز: «وصفوف الرياضة التي لم تذهبي إليها قطّ...، ودولاب الفخار الذي اشتريته من المعرض لكي تصنعي صحونك بنفسك كما قلت...».

تعبت لويزا وما زالت قائمة الاتهامات التي تكيلها روز تطول وتطول، فوضعت يديها على أذنيها وراحت تهزّ برأسها آملة ربّما في أن يتوقّف كلّ ذلك في لحظة قريبة.

واستمرّت روز: «وذلك الوقت عندما تبنّيتِ جرو غزال يعيش في النيجر، ودعوتنا لكي نرى عرضاً مصوّراً له في عامه الأول، ولكن الآلة تعطّلت ولم نرَ شيئاً».

«كلا»، صرخت لويزا بصوت مرتفع، «أنا ذاهبة هذه المرّة، وإلى إسبانيا بالذات. سوف أقفله؛ سأذهب في الحال لأحجز الرحلة».

«إنك تحبّين ذلك المتجر...»، قال غافن وأعطاها كوباً جديداً.

«لن تفعل شيئاً من ذلك، أؤكّد لك يا غافن، وكلّ ما تقوله سيبقى كلاماً عابراً»، قالت روز وبدت وكأنها في أوج نصرها.

«أنتِ مخطئة!»، أسرعت لويزا إلى الردّ، «سوف أغلق أبواب المتجر؛ ما من أحد يزوره؛ ويبدو أن أحداً لا يحتاجني في هذه الأيام».

تساءلت كلارا ما هو ذلك الشيء الذي بات قليل الطلب في هذه الأيام؛ هل لدى لويزا مكان يقصده الناس من أجل استخدام الإنترنت، أم متجر لبيع أقراص DVD المسجّلة؟

«حسناً إذاً، اذهبي واحجزي رحلتك، سنشتاق إليك»، قالت روز وهي تقلّب بعينيها.

وكانت الشقراء الشابّة ذات الشعر المعقوص قد وقفت وتقدّمت نحو لويزا قائلةً: «أوه، سوف نفتقد إلى وجودك؛ هل سترحلين حقّاً؟».

ضربت روز بكفّها على البار، وقالت: «صدّقي يا لورين، إنها لن ترحل».

استدارت عندئذٍ الشقراء نحوها وأجابت: «ولكن لا لزوم لتحفيزها على الرحيل».

فرمقتها روز بعينين مقطّبتين ومشحونتين غيظاً.

راقب الشابّ من كرسيّه العالي ما يجري بدقّة، ثمّ أصلح وضع نظارتيه فوق أنفه، وتوجّه إلى لورين قائلاً: «عزيزتي، هل نغادر...؟»، مشيراً بعينيه إلى الباب، وبدا واضحاً أنه يرغب في الانسحاب قبل أن تنتهي المشاحنة بملاكمة.

وبقيت النساء الثلاث حول البار يتبادلن النظرات المستعرة.

«لن يبقى متجر على طول الشارع العريض فاتحاً أبوابه»، قال غافن وأسفل ذقنه المترهّل يهتزّ مع كلّ كلمة؛ إلّا أن كلارا شعرت برغبة في أن تذهب إلى خلف البار وتغمره تأييداً لرأيه، وتحسّساً لمخاوفه.

«ليست مسؤوليتي وحدي يا غافن»، قالت لويزا وتابعت: «ألا ترى أنه حملٌ ثقيل على امرأة حسّاسة مثلي؟».

وإذا بروز تتنحنح، وتغمغم شيئاً فوق كوبها تعليقاً على عبارة «حسّاسة».

«احذري!»، قالت لها الشقراء.

ولكن لويزا لم تلحَظ ما حدث، وتابعت: «لا يمكنني الانتظار على أمل أن تتغيّر الأمور في يومٍ من الأيام؛ ما من شيء أسوأ من الشعور بالإحباط في متجر للألعاب من المفترض أن يكون صادحاً بضحكات الأطفال». تكلّمت والدموع تجتاح عينيها، وقد أرخت جسدها فوق ذلك المقعد المرتفع، وخصلات شعرها الرّطب تتدلّى فوق وجهها. كانت كلارا على وشك النهوض للاقتراب منها والتخفيف عنها، ولكن الشقراء سبقَتها، ووضعت ذراعها حول لويزا وغمرتها بحنان.

«آه سلاح الدموع الاصطناعية!»، قالت روز وتنهّدت.

«إنها حزينة»، ردّت الشقراء بحدّة.

هزّت روز بكتفيها ورفعَت كأسها إلى حلقها لتشربه حتى الثمالة، وأعلنت: «إنها هي ولا تتغيّر؛ تسعى دوماً لخلق المشاهد الدرامية». وتابعت: «وأظنّ أنك تكرّرين الآن ما جرى في المهرجان، أليس كذلك؟».

نظرت لويزا إليها بتحدٍّ، وأجابت: «لم أكُن أقصد ذلك».

«القصص تتشابه»، قالت روز.

«روز!»، همس كلايف من مكانه القريب.

استدارت إليه روز لتحذّره: «لا تتدخّل؛ لا أذكر أنك تدخّلت حينها».

«المهرجان من جديد؟»، قال غافن ونظر إلى المرأتين، «ألم يحِن الوقت لكي تطويا صفحة الماضي؟».

تساءلت كلارا باستهجان عمّا يمكن أن يحدث في مهرجان قروي ويجرّ وراءه مثل هذا الكمّ من التوتّر.

«لا تأبه يا غافن»، قالت لويزا بصوتٍ منخفض فيما مسحت خدّيها، وأضافت: «أعطني الزجاجة لكي أذهب».

«لا أظن..»، أجاب غافن متردّداً.

«حسناً، إن كنتَ لا تريد فسوف أذهب على كلّ حال. مئات الأشغال تنتظرني في البيت، وقنينة بايليز غير مفتوحة بعد».

وبالسرعة الخاطفة التي دخلت بها إلى الحانة، خرجت منها بمعطفها الفيروزي الذي تطايرت أطرافه خلفها وسط موجة من الهواء البارد التي اجتاحت الجميع ما إن فُتح الباب، وبقيت العيون شاخصة بذهول لعدّة ثوانٍ في اتجاه ذلك الباب.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثاني

استيقظت كلارا كعادتها باكراً، ولاحظت أشعة الشمس المتسلّلة عبر الستارة الرقيقة الحمراء التي تغطّي النافذة الصغيرة تحت السقيفة الخشبية، فركعت على السرير ومدّت يدها وفتحت الستارة.

رمشت عيناها ما إن تلاقت بأشعة الشمس الشتوية فتراقصت على وجهها ابتسامة ناعمة احتفاءً بمشهد الصباح الجميل. وما إن فتحت النافذة ولفحت برودة الهواء وجهها حتى لاحظت أن طبقة من الصقيع تغطّي عشب الحديقة ورقعاً بيضاء تنفلش هنا وهناك فوق المقاعد الخشبية. ومن وراء الحانة وخلف السور، رأت مشهداً غير منقطع للحقول الفسيحة بأتلامها المتناسقة المتلألئة بالبياض الناصع باستثناء بعض الأماكن حيث يرنو إليك اللون الأخضر عبر طبقة الصقيع الرقيقة المتوهّجة كالجواهر في حضرة الشمس الصباحية. كانت السماء مخطّطة بالأزرق الشاحب والوردي فشعرت كلارا بالحماسة التي ألفتها في كلّ مرّة تصحو لتستقبل الصباح في مكان جديد.

تجاهلت وجود علبة الرقائق على صينيّة الفطور؛ ولم تهتمّ لضآلة ضغط الماء المتساقط من المرشّة القديمة في الحمّام الملحق بالغرفة، بل قفزت للتوّ إلى حقيبة ظهرها وفتّشت بين محتوياتها على بنطلون جينز وكنزة صوفية سميكة ارتدتهما، ومدّت يدها من جديد لتسحب قبعة صوفية غطّت بها شعرها الأشقر الذي فقد بعض بريقه وبات بحاجة إلى الغسل. تركت كلارا كلّ ما تبقّى من أغراضها في الغرفة واندفعت إلى الدرج ومرّت بقرب البار وعبر المطبخ لتخرج من الباب الخلفي إلى الشارع.

لم يغِب عن بالها أنّ المتاجر لا تفتح أبوابها في مثل هذا الوقت المبكر، ولكنها وجدت في نفسها بصيص أمل في أن تمرّ بمحض المصادفة بخبّاز يتعاطف معها ويفتح بابه لها وحدها. وإذ تخيّلت طعم الخبز الطازج في فمها، تنشّقت نفساً عميقاً لعلّ نسائم الهواء تدلّها إلى مكان وجوده. لم يكن في القرية أي فرنٍ قطّ. كما ولم يكن هنالك مقهى صباحي يقدّم القهوة والفطور. وفيما سارت على رصيف الشارع العريض، فوجئت بعدد المتاجر التي أغلقت نهائيّاً، بالإضافة إلى تلك التي تعلن الإغلاق قريباً وكانت نوافذها خالية سوى من بعض البضائع القليلة، مثل عدد من الكراسي أو من قطع السجاد الملفوفة في الزوايا. أمّا الخطّ أو الدهان المرشوش الذي كتبت به إعلانات البيع أو التصفية فكان في معظم الأحيان شاحباً ولا يُقرأ سوى بصعوبة؛ وكانت هناك كلمات شبه ممحيّة كُتبت بالإصبع فوق طبقة من الغبار المتراكم فوق الزجاج.

وضعت كلارا يديها في جيبي سروالها إذ أحسّت ببرودة إضافية في الجوّ، وتابعت سيرها فيما كانت تراقب وتتأثر بما تشاهده على امتداد الشارع المهجور. تخيّلت هذا الشارع يعجّ بالمارّة في أيام

الصيف ونوافذ المتاجر تشعّ بالألوان، وتخيّلت الشوارع الجانبية القديمة المرصوفة بالبلاط الصخري حيث المتاجر الضيّقة التي تخفي أسراراً ومفاجآت، وحيث التحف القديمة النادرة المعروضة على الرصيف، إضافةً إلى محلات البوظة والعصائر على أنواعها. تخيّلت مجموعات من الناس تئمّ الشوارع ثمّ تخرج منها إلى الحقول الفسيحة لتستمتع برياضة المشي في حضن الطبيعة الهادئة والرائعة. وتساءلت في سرّها عمّا حدث؟

ما زالت كلارا وعلى الرغم من إقامتها الطويلة في إنجلترا تتعجّب من شكل القرى الإنجليزية الطريف من حيث قرب البيوت من بعضها حتى تكاد أن تكون متلاصقة، وذلك على عكس المدينة التي نشأت فيها في الدنمارك. غير أنها ما زالت تشعر بانقباض في حلقها كلّما فكّرت ببلادها، فتبلع ريقها وتُكمل الطريق.

وفيما تابعت سيرها، استوقفها متجر مختلف عن البقية، وتأمّلت في محيط واجهته المتألق باللون النبيذي الزاهي وبكلمات كُتبت بأحرف ذهبية تعلن عن اسم المتجر: ألعاب آلدن. مرّ في ذهن كلارا أنّ الواجهة بألوانها ليست سوى عادية ولكنها تجذب الأنظار؛ ثمّ اعتصر قلبها ما إن اتّضح لها أنه بالفعل متجر الألعاب عينه الذي سوف يُقفل أبوابه قريباً. من المحزن جدّاً، فكّرت كلارا، أنّ عيد الميلاد على الأبواب ولن يجد أطفال القرية في داخله سوى الفراغ، والظلمة التي تتناقض مع واجهته الخارجية الزاهية.

وصلت كلارا إلى نهاية الشارع العريض حيث تضيق الطريق وتتوارى بين الأشجار الباسقة المحيطة بها من الجانبين. هناك تقع كنيسة صغيرة خلف سور أخضر ووراءها، وعلى امتداد النظر، تنفلش مساحة من الحقول الخضراء. إنها قرية رائعة ورومنطيقية من

دون شكّ، ولكنها تبدو في تلك اللحظة وكأنها غير مأهولة. نظرت كلارا إلى الشارع العريض وراءها ثمّ أغلقت عينيها وأخذَت نفَساً طويلاً.

«مرّة ثانية، من جديد!»، قال صوت طفولي قادم من ورائها.

فتحت كلارا عينيها بسرعة فسمعت من جديد:

«أتريد ذلك حقّاً؟»، قال صوت نسائي هذه المرّة.

وصدح الصوت النسائي بأنشودة طفولية: «خمس بطّات صغيرات ذهبن للسباحة في أحد الأيام، فقطعن التلال والوديان، ونادت البطة الأمّ: «كواك كواك كواك»، ولكن لم يعُد من البطّات الصغار سوى أربعة. . .».

«لماذا؟»، سأل الصوت الصغير.

«سبق وقلت لك يا حبيبي، لأنّ إحدى البطّات هربت ولذلك لم يعُد من المجموعة سوى أربع»، أجاب الصوت النسائي.

«وماذا حدث للبطّة التي هربت؟».

«لم يحدث لها أيّ شرّ».

«هل ماتت؟».

«كلا، إني متأكدة من ذلك».

«هل كُسرت رجلها؟».

«كلا، كلا، لا أظن ذلك لأنها تعود إلى أمّها في النهاية».

«ولماذا؟».

«ربّما لأنها اشتاقت إلى أمّها، كما قد تشتاق أنتَ لي. ألا تشتاق لي لو ابتعدت عني؟».

«ربّما».

«ماذا تعني بقولك «ربّما»؟ من المؤكّد أنك ستشتاق لي. مَن غيري سوف يحضّر لك المعجنات التي تحبّها؟».

«بابا».

«حسناً أصبتَ هنا، ولكن مَن سيعطيك العصير؟».

«تيتا».

«غير صحيح. لأنّ تيتا ترفض إعطاءك العصير وتقول إنه يحتوي على كميّة كبيرة من السكر».

«أحبّ السكر».

«أعلم ذلك».

«مرّة ثانية، من جديد».

سمعت كلارا تنهيدة، قبل أن ينطلق الصوت مجدّداً: «حسناً، ولكن سوف أبدأ من النقطة الأخيرة حيث لم تعُد سوى بطّة واحدة إلى أمّها؛ لأن الأغنية طويلة وسوف ينفد صبرك... روري!».

وظهر فجأةً طفل من الطريق الفرعية يركض، ولكنّه توقف للتوّ لينظر بفضول إلى كلارا، ثمّ اتّسعت عيناه خوفاً واستدار بسرعة ليختبئ وراء ساقَي والدته.

«ما بالك؟ قلت لك ألّا تركض-، المعذرة، سلام!» كانت تلك هي المرأة الشابّة التي رأتها كلارا في الحانة الليلة الفائتة- لورين، ذات الشعر الأشقر المائل إلى حمرة الفراولة والتي حاولت تهدئة لويزا. وتابعت لورين: «أعتذر لخرق السكون بأصواتنا».

نظرت كلارا إليها، وإلى شعرها الأملس والمرتّب جدّاً، وإلى معطفها الأصهب بلون وبر الجمل، وإلى النمش فوق أنفها الذي قد يكون التفصيل الوحيد غير المنتظم في مظهرها. وأجابت: «لا بأس، استمتعتُ بالأغنية المفرحة».

رفعت لورين يديها بقفازيها الجلديّين إلى رأسها وقالت: «يا إلهي، إني محرجة».

ضحكت كلارا، وأجابت: «كلا، لقد استمتعت بالأغنية حقّاً. لم أسمعها من قبل. في الواقع لا توجد هذه الأغنية في بلادي».

«وأين هي بلادك؟».

«الدنمارك؛ هناك في الواقع تُذكر أنواع الأسماك في أغاني الأطفال أكثر من البطّ».

«إذاً فأنت الآن بعيدة عن بلادك»، علّقت لورين.

هزّت كلارا برأسها إيجاباً ولم تُضِف أيّ كلمة.

ومن غير أن تلاحظ التغيّر الذي كان قد طرأ على صوت كلارا، أخذت لورين تشرح: «حسناً، الأغنية تحكي حكاية خمس بطّات هربن ثمّ رجعن في النهاية إلى أمّهن. لا تخبر الأغنية أيّ تفاصيل، ولذلك فإنّ روري على حقّ عندما يستفيض في طرح الأسئلة».

«روري على حقّ، روري على حقّ»، راح الصغير يردّد فيما كان يدور حول أمّه.

«تجهل البطّات الصغيرات حقّاً معايير السلامة، ولكنكِ تتساءلين حول وعي الأم - أعني أنها وبعد أن فقدت ثلاثاً من صغارها كان يجب أن تتعلم من نتيجة خطئها ولا ترسل البطّتَين الأخيرتين مجدّداً وبمفردهما».

ضحكت كلارا وتردّدت أصداء ضحكاتها في أرجاء الشارع. وقالت: «تبدو وكأنها أمّ غير مسؤولة».

«كيف أحكم عليها وأكاد لا أحسن السيطرة على طفل واحد؟»، قالت لورين فيما كانت تراقب روري وقد تمدّد على المقعد الخشبي وترك رأسه يتدلّى في الهواء، فنادته: «روري، انتبه!».

«انتبِ، انتبِ، انتبِ»، قال وترك إحدى ذراعيه تتدلّى في الهواء أيضاً فوقعت قبّعته القماشية على الأرض وانسدل شعره الناعم البني كأنه ستارة من حرير.

«من النادر أن نصادف أحداً في هذا الوقت. ولكنه لا يهدأ ويصرّ على الخروج. وبصراحة أكره البقاء في المنزل قبالة أكوام الصحون التي تنتظر أن أغسلها وأكوام الثياب أن أكويها». ومدّت لورين يدها لتصافح كلارا فيما تقدّم روري بخطوات غير ثابتة في اتجاهها. «عدم المؤاخذة، لم أعرّفك إلى نفسي، اسمي لور - كلا، كلا يا روري!»، قالت، وانحدرت اليد التي مدّتها للمصافحة فجأة في اتجاه روري لكي تمنعه من التقاط ورقة شوكولاتة كانت مرمية على الأرض. «أنا لورين»، تابعت، بعد أن حملت ابنها بين ذراعيها. «وهذا كما سمعتِ، هو روري».

«وأنا كلارا».

«تشرّفت بمعرفتك»، قالت لورين فيما أخذ روري يضرب برجليه لينزل إلى الأرض. «حسناً، ولكن ابقَ ههنا على المقعد»، قالت لورين فيما ابتعد روري عنها في الاتجاه المعاكس. «واو، وكأنه لم يسمع!»، قالت ضاحكة، وأضافت: «عذراً، لأن الأطفال يجهلون اللّياقات الاجتماعية. ذهب في الأسبوع الماضي مباشرة إلى رجل مسنّ في السوبرماركت وأنذره أنه سيسدّد إليه لكمة. كنت في قسم الحبوب وتمنيت لو اختفيت عن وجه الأرض في تلك اللحظة».

بدا التعجّب على وجه كلارا، ولكنها أعجبت بنشاط لورين العارم. «هل تعرفين مكاناً يمكن أن أشتري منه طعاماً؟»، قالت، «أتمنى لو أجد معجنات بالشوكولاتة أو شيئاً آخر. كوب من القهوة قد يكون كافياً...».

تنحنحت لورين وشحبت ابتسامتها، ثمّ قالت: «لم يعُد التسوّق في هذه القرية ممكناً سوى عبر الإنترنت؛ يمكنك الذهاب إلى السوبرماركت الكبير في البلدة المجاورة ولكنك ستحتاجين إلى سيارة. هناك متجر يبيع منتوجات بلدية جيّدة ولكنه بعيد إلى حدٍّ ما أيضاً».

هزّت كلارا برأسها قائلةً: «لا أملك سيارة».

«كم يبدو ذلك مناسباً للمحافظة على البيئة!».

«كلا، بل لم أتعلم قيادة السيارات أبداً. السيارات باهظة الثمن في الدنمارك، وكنت أسير على قدميّ إلى كلّ مكان في. . .». لم تكمل كلارا جملتها لأنها لم ترغب في الإفصاح عن اسم بلدتها، ولا ترغب حتى في التفكير بها. وعادت إلى الموضوع الأول: «إذاً، لا وجود لمكان. . .؟» تنهّدت لورين وعقدت ذراعيها فوق صدرها، ثم قالت: «كان هناك مطعم يدعى برتي - وكان ممتازاً، ويقدّم أصنافاً لذيذة للفطور. ولكن أصنافه كانت مقبولة جدّاً من البعض، أو غير مقبولة بتاتاً من البعض الآخر. كان مثلاً يقدّم شرائح من الخبز المحضّر مع مزيج الحليب والبيض على الطريقة الفرنسية، ويضع دوائر من الموز فوقها، ثم كمية من شرائح لحم الخنزير المدخّن ويسكب شراب القيقب عليها». وأضافت بحسرة: «اشتقت إلى برتي».

«إلى أين ذهب؟».

«انتقل إلى البلدة المجاورة منذ ستة أشهر تقريباً. كان آخر الذين غادروا. والآن. . .»، وأشارت لورين بعينيها إلى متجر الألعاب المقابل. «وعلى الرغم من اعتمادنا طريقة غضّ النظر عمّن يتحمّل مسؤولية ذلك، إلّا أنه سيكون من الصعب أن نشاهد عالماً للأطفال يغلق أبوابه أيضاً ابتداءً من الثامنة صباحاً في هذا اليوم».

هزّت كلارا رأسها بالموافقة، ولاحظت أنّ لورين التي كانت تحاول الكلام عن هذا الموضوع الجدّي بمرحٍ مصطنع، تنبّهت إلى ابتسامتها الحزينة.

«الأمر مرعب»، قالت لورين وهي تنظر حولها. وتابعت: «عندما انتقلنا للسكن في هذه القرية منذ خمسة أعوام، كانت من أجمل القرى. متاجر مستقلّة على جانبَي الشارع العريض؛ أناس يمرّون بك ويلقون التحية. ولكن كثيرون من هؤلاء الذين ألفنا رؤيتهم غادروا. أما المتاجر، فها إنك رأيتِ ما يجري وأشارت إلى الأبواب الموصدة وإعلانات الإقفال. الحانة وحدها ما زالت تعمل، وكذلك روز فهي تبيع الحليب وبعض الأشياء من مركز البريد، ولكنّها تفتح أبوابها في أوقات غير منتظمة وغالباً ما لا يحالفني الحظّ ولا أجدها. يمكنك الذهاب إليها».

عاد روري ومدّ يده إلى أمّه فأمسكت بها.

«روز»، ردّدت كلارا وعادت إلى مخيّلتها المرأة ذات الشعر الأحمر النحاسي والكحل الكثيف على عينيها، فسألت: «أليست السيدة التي كانت في الحانة أمس؟».

هزّت لورين برأسها، وقالت: «آه، كنتِ هناك وشاهدت ما حدث. يا إلهي، وكأنها مسرحيّة بالفعل. هي ولويزا، ومع أنهما جارتان، لا تنظر الواحدة في عيني الأخرى أبداً، ولا تتعاملان بمودّة الجيران قطّ. هناك ماضٍ بينهما». قالت الجملة الأخيرة وأومأت بيدها إلى الخلف، وتابعت: «أظنّ أنّ الخلاف يعود إلى آخر الثمانينيات. ثم جاءت القصة التي حدثت في المهرجان. ولكنّك لن ترغبي في الإصغاء إلى ذلك... بالطبع».

«تبدو القصة معقّدة»، قالت كلارا.

وأجابت لورين: «لنقل إنهما لم يتركا أيّ مكان للحياء وأيّ ستر مسدول في تلك السنة...».

راح روري يردّد ما تلتقطه أذناه من كلمات ويغنّيها على طريقته، ثمّ يدور حول أمّه ويقاطع كلارا التي كانت تطرح مزيداً من الأسئلة.

مدّت لورين يدها إلى داخل حقيبتها وأخذت منديلاً ورقياً مسحت به غباراً عن وجه ابنها. وتابعت: «شعرتُ حقّاً أن عليّ القيام بدور الحكَم في الليلة الفائتة. لم يحدث شيء من هذا منذ زمن بعيد في تلك الحانة. نذهب إلى هناك مرّة واحدة في الشهر. من اللافت أن يحدث كلّ ذلك البارحة إبّان وجودنا هناك. ولقد منعني ذلك بالطبع من متابعة التحدّث إلى زوجي حول لقاحات روري وحول قصصه وتعلّقه الشديد بجورج».

«جورج؟»، سألت كلارا.

««بيبا بيغ»[1]، الذي يختصر في الواقع كلّ عالمي اليوم...».

وما إن سمع لفظة «جورج» حتى نظر روري إلى أمّه وبدأ يضرب رأسه على جسدها، وأصرّ على العودة إلى البيت. مردّداً: «جورج، أريد أن أرى جورج، جورج في البيت».

«يا إلهي، ما الذي حدا بي إلى لفظ هذا الاسم الآن...؟»، قالت لورين فيما أمسك روري بيدها، وأضافت: «من الأفضل أن أذهب الآن».

«حسناً، سُعدت بلقائك»، قالت كلارا، وانحنت وأضافت: «وبلقائك أيضاً يا روري»، فصرخ روري واختبأ وراء معطف أمّه.

---

(1) Peppa Pig: مسلسل رسوم متحركة إنكليزي حول عائلة من الحيوانات، بطلته بيبا بيغ ولها أخ يدعى جورج.

«هل ستمكثين هنا؟»، سألت لورين متجاهلةً إلحاح ابنها.

«كنت أنوي الذهاب إلى كامبريدج»، أجابت كلارا.

هزّت لورين رأسها بالموافقة، وقالت: «لا شكّ أن كامبدريج مكان جميل ومناسب للنزهات والرياضات المائية. خسارة أنك لا تنوين البقاء هنا - كنت سأفرح بصديقة جديدة».

«إني صديقك»، قال روري شاداً بطرف معطفها المرتّب والجميل.

«أنت بالطبع صديقي»، أجابته لورين وداعبت خصلات شعره. ثمّ تمتمت وهي تنظر إلى كلارا: «لقد عنيت صديقة يمكنني أن أشرب معها النبيذ، ونثرثر سويّاً».

«نثرثر؟»، ردّد روري. وبدا أنه يتمتّع بقدرات سمعية لافتة.

رمقت لورين كلارا بنظراتٍ مرحة، فأجابتها كلارا بابتسامة مرتبكة وقالت: «إنها لخسارة حقّاً»، ثم لمعت في رأسها فكرة مفاجئة تدلّها بالتحديد إلى طريقها الجديد.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثالث

وقف جو وظهره إلى الباب، ثمّ مسح بكّفه كمّ بذلته الفاخرة التي صمّمت له خصيصاً في دار معروف للأزياء الرجالية بما يتناسب مع قياسه وذوقه الرفيع. ولكنّه شعر بالقماش يشدّه قليلاً بين الكتفين، ففكّر بوجوب العودة قريباً إلى ممارسة الرياضة. ثمّ استقام جيّداً في وقوفه وتفحّص صورته في الزجاج المقابل.

وراء الزجاج ينبسط مشهد لندن. كان بإمكانه رؤية نهر التايمز بلونه الرّمادي الأغبر متلوّياً حول أطراف المدينة وكذلك قمّة عجلة عين لندن العملاقة[1]. ما زال الصباح في ساعاته الأولى ونصف المدينة ما زال متوارياً عن الرؤية؛ وأشعّة الشمس التي أضاءت نوافذ الطوابق العليا من البناء الزجاجي حيث يقف لم تلامس الطوابق الدنيا بعد. أخفض عينيه ونظر إلى أسطح الأبنية في تلك المنطقة من

---

(1) عجلة سياحية ضخمة تمّ إنشاؤها في نهاية القرن الماضي على نهر التايمز وتتيح لراكبها رؤية معالم لندن التاريخية والسياحية الأخرى.

شرقي لندن، وإلى الشوارع المتشابكة ورؤوس المارّة. ماذا يرون لو نظروا إلى أعلى؟ لن يروا سوى الواجهة الخارجية الصقيلة لبرج الأعمال الأنيق. ألواح ضخمة من الزجاج والفولاذ والكْروم تمتدّ من الأرض إلى الأعالي. كان جو حيث هو بعيداً عن أنظار أيّ كان من هؤلاء المارّة. لم يكن باستطاعة أحد منهم رؤيته في بذلته الكحلية ذات الخطوط الرفيعة وحذائه اللامع وربطة عنقه المعقودة بأسلوب وندسور الخاصّ. كان يشعر وكأنه يزداد طولاً حين يراقب حركة هؤلاء الناس تحته في غفلةٍ عنهم.

ثمّ لاحظ خطّاً رفيعاً من الضوء ينعكس في الزجاج أمامه، وظلّ شخصٍ يدخل إلى الغرفة، فابتلع ريقه وبات حاضراً للمباشرة في العمل. وعندما استدار ورأى السيدة باميلا، أحنى رأسه بأدب وشَكَرها، فيما استعدّت للخروج وكانت قد تلقّت طلبه حول عدم لزوم تقديم القهوة في أثناء المقابلة. ثمّ ألقت نظرة أخيرة على الرجل الذي دخل للتوّ وعضت على شفتها قبل أن تخرج وتوصد الباب وراءها.

سار الرجل بخطوات سريعة نحو جو وبادره بأسلوب متحبّب: «صباح الخير يا جو»، لاحظ جو وجود غبارٍ على بذلة الرجل الأنيقة -ماركة آرماني- عند الكتف الأيسر، فشعر بدفعة إضافية من الثقة فيما مدّ يده ليصافحه قائلاً: «أهلاً بك ماتيو، أشكر قدومك».

رفع ماتيو حاجبه وأجاب: «أرى وكأنّ الأمر على مستوى من الغموض. كانت باميلا في انتظاري، ودعتني إلى هنا قبل أن يتسنّى لي أن أفتح حاسوبي». ورفع يده ليُخفي تثاؤبه.

نظر جو إلى البعيد، وقال: «نعم، كان عليها انتظارك لمدّة نصف ساعة».

لم يُبدِ ماتيو أيّ ردّ فعل، بل حامت عيناه على بقيّة كعكة على مكتب جو أثارت شهيّته، فازداد جو غيظاً. وانطلق ماتيو في الكلام ليقول: «أخبرتني باميلا عن أصغر حفيد لها، وهو في عمر ابنتي نانسي، فقلت لها إنه يمكن أن يلعبا معاً. . .». ولكن صوته تراجع وتباطأ أخيراً، وارتسمت على وجهه أولى أمارات القلق.

وقف جو ينظر إليه متفرّساً في وجهه ولم يكن يعلم أنّ لدى باميلا أحفاد. ثمّ قرّر ولوج صلب الموضوع، فقال: «أتوقّع أنك تعلم لماذا استدعيتك إلى هنا».

ازداد القلق وضوحاً على وجه ماتيو وانعقد حاجباه واضطرب صفاء بشرته الناعمة. «لا أعتقد أنك ستُخبرني عن مواعيد مباريات لعبة الإسكواش لهذه السنة»، قال وصوته يتحشرج ويختفي أكثر فأكثر مع كلّ كلمة.

لم يسمح جو لظلّ ابتسامة أن ترتسم على وجهه، وقال: «يعود الفضل في استمرارك لفريق عملك. نجح جوليو في ضمّ زبونين جديدين إلى البنك في الأشهر الأخيرة؛ أما السيدة بادي فتأتي إلى المكتب عند الرابعة والنصف صباحاً لكي تعوّض عن تقصيرك. . .».

رجع ماتيو خطوتين إلى الوراء وكأنه تلقّى صفعةً مفاجئة على وجهه. ثمّ فتح فاه من غير أن يتمكّن من التفوّه بكلمة.

«الرؤساء في الأعلى»، قال جو وأشار بعينيه صعوداً، «لا يتحمّلون مزيداً من الأعذار من جهتك وجهة فريقك؛ كنتَ منتجاً في السابق ولكنك لم تأتِ بأيّ عائدات جديدة منذ أشهر. وخسارة صفقة آندرسون هي «القشّة التي قصمت ظهر البعير»».

«أخبرت كارين أنّ مساعدي كان قد اقترف أخطاءً في دفتر التقويم، ولم نكتشف ذلك إلّا بعد تقديم أسعارنا».

قاطعه جو ورفع يده قائلاً: «ولكن كنت ستكتشف ذلك لو كنت ما زلت تمارس عملك بجدّية كما في السابق».

صمت ماتيو. ونظر جو إلى البعيد وشعر بعدم الارتياح لما يجري بينه وبين ماتيو في تلك اللحظة. لقد تذكّر فجأةً أن ماتيو ساعده وتستّر على تقصير ارتكبه ذات يوم في السنة الماضية. الاثنان كانا مكلّفين بدعوة زبون مهمّ إلى وجبة الغداء في أحد المطاعم، ولكن جو نام طويلاً ولم يحضر إلى المكان سوى بعد تقديم الطبق الرئيس، وقبيل وقت تناول الحلويات. ضحك ماتيو آنذاك ولم يُخبر أحداً بالأمر، ولو كان زميل آخر في مكانه لاستخدم ذلك التقصير للغدر به أمام الرؤساء. هزّ جو رأسه وحاول إبعاد تلك الحادثة عن تفكيره.

فتح ماتيو كفّيه وسأل بصوتٍ متقطّع: «هل تعني بهذا الكلام أنّك تطردني؟».

تنحنح جو مستعيداً تماسكه وتمنّى لو أخذ زميله بول مهمّة القيام بهذه المقابلة عنه مع أنّه طالما تطلّع إلى القيام بمثل هذه الأمور. ثمّ غيّر وقفته -معتمداً بثقله على ساقٍ واحدة- وراح يعدّ على أصابعه أخطاء ماتيو وعناوين تقصيره في العمل: «متأخر دائماً في الوصول إلى مكتبك؛ تتغيّب تكراراً عن الاجتماعات؛ تَراجع ملحوظ في مستوى الإنتاج والأرقام؛ إدارة غير جيّدة لفريق العمل...».

وقف ماتيو مصغياً والاحمرار يجتاح خدّيه وما انفكّت قائمة الأخطاء تطول.

ولكن جو توقّف، ونظر إليه قائلاً: «إنه إنذار يا رفيقي».

«لسنا رفقاء»، أجاب ماتيو.

تنحنح جو ثانية وأحسّ أنه استحقّ بالفعل هذا الجواب.

«انظرْ، نريدك أن تحسّن وضعك وتستعيد مكانتك العالية. نريد أن نراك منتجاً من جديد وقادراً على جذب الفرص والأعمال».

وبعينين غائرتين نظر ماتيو إلى جو وقال: «يا إلهي، أخطأت فهمك، ظننت أنّك...». ثمّ سكت لحظةً واستقام في وقوفه ورفع ذقنه، وتابع ليقول: «كم أنت قاسٍ ورديء، وتعلم أنك كذلك؟» لم يحرّك جو جفناً فيما أكمل ماتيو كلامه: «كلّ ما تسعون إليه، أنت وأولئك الجشعين في الطابق العلوي هو الربح، ثم الربح، وثم الربح».

«كنتَ تسعى إلى ذلك أنت أيضاً»، أجابه جو.

«وما زلت»، قال ماتيو وفتح يديه إلى الأمام مؤكّداً، فتراجع جو خطوةً إلى الوراء. وتابع: «كل ما في الأمر أني أصرف بضع ساعات إضافية في البيت. ولدت طفلتنا الأولى يا جو، وأنت تعلم كم حاولنا لكي نرزق بطفل». ثمّ توقّف لحظةً عن الكلام، وأدخل أصابع يده بين خصلات شعره، وتابع: «ألا تذكر في البار تلك الليلة عندما شكوتُ لكَ كم كنا نتعذّب في البداية وكدتُ أبكي أمامك. كانت الأمور صعبة وإنما تحسّنت الآن. باتت طفلتنا تنام معظم الليل تقريباً. من واجبي أن أساعد سوزي يا جو، لا يمكنها القيام بكل شيء بمفردها».

رفع جو يده، وقال: «أعلم ذلك وإني آسف، ولكن–».

«أنت لست آسفاً قطّ».

شعر جو وكأن شيئاً أفلت من يده. لم يعد يتحمّل أن يكون في هذا الموقف لوقتٍ أطول. تحشرج صوته فيما راح يبرّر لماتيو الأسباب التي دعته إلى هذا الموقف: «نحن نعاني من ضغوط كبرى يا ماتيو وأنت تعلم. أنت تعلم ما يجري هنا في الوقت الحاضر.

كنتَ سبباً في خسارة عمليّة الدمج مع شركة آندرسون، فسبقتنا شركة كلاين إليها. تعاملنا مع الأمور ببطء شديد ويتوجّب علينا أن نحسّن أداءنا. إذاً، اعتبر هذا الكلام بمثابة أوّل إنذار رسمي لك». وتوقف هنيهةً ثمّ أضاف: «أنت محظوظ».

««محظوظ!؟» كم أنت صادق يا «رفيقي». . .، شكراً جزيلاً لك»، قال ماتيو وصوته يحترق انفعالاً. وتابع: «ليس هذا سوى أول إنذار رسمي يوجّه لي. . . ولكنّك تعلم أنهم سيجدون عذراً لطردي. أنت تعلم ذلك».

أشاح جورج نظره غير راغبٍ في الاستماع، وهو يعلم أن كارين ستطلب منه تقريراً، ويعلم أيضاً الاتجاه الذي عادةً ما تسلكه هذه الأمور. سيكون هناك أرقام يتوجّب على ماتيو تحقيقها. «سوف تكون بخير»، قال جو بصوت أضعف وبثقة تتراجع.

نظر ماتيو إلى وجهه محملقاً وقال: «حسناً، إن كنت قد انتهيت ممّا تريد قوله، فعليّ التوجه حالاً بنشاطي العقيم إلى فريقي العديم لكي نبدأ بالعمل».

وإذا بجو يدير رأسه لينظر عبر النوافذ من جديد.

«أرجو على الأقلّ ألّا يحرموني من بعض العلاوات»، قال ماتيو وأدار ظهره ومشى عبر الغرفة نحو الباب فيما راقب جو حركته في الزجاج. وعند الباب توقّف ليقول: «أنت تعلم يا رفيقي أنّ الحياة لا تتوقّف عند حدود هذه الوظيفة فحسب».

هزّ جو كتفيه ولم يُجب، ثمّ نفض كمّ سترته مجدّداً، وراقب ماتيو يغادر الغرفة وانعكاس خطّ الضوء الرفيع يختفي في الزجاج مع إغلاق الباب وراءه.

كانت الشمس قد ارتفعت في السماء، وأبهرت أشعتها

المنعكسة على البرج الزجاجي المقابل عيني جو الذي ما لبث أن التقط هاتفه الجوّال من جيبه ليتفحّص بريده الإلكتروني وآخر المستجدّات بشأن صفقة الدمج الأخيرة. ثمّ نظر إلى الشاشة ورأى اتصالاً من أمه لم يُجب عليه. ربّما كانت تمارس رياضة السير الصباحية كعادتها، وحاولت الاتصال به لتصف له مشهد شروق الشمس الرائع فوق الحقول. تنهّد وأحسّ بعدم قدرته على الكلام عن مثل تلك الأمور في اللحظة الحاضرة، وقرّر الردّ لاحقاً وأعاد الهاتف إلى جيبه مع قرصة خفيفة من الشعور بالذنب.

امسح الكود .. انضم إلى مكتبة

الفصل الرابع

رمت لويزا الهاتف من يدها بغضب فوقع على إحدى أكوام الثياب القديمة التي قذفتها إلى الأرض وقرّرت التخلّص منها.

«توقّفي عن الحملقة»، صرخت وهي تنظر في اتجاه القفص الموضوع في زاوية الغرفة. «لا يمكنك الذهاب معي، تعلمين ذلك؛ المسألة تتعلّق بإنفلونزا الطيور».

رمقتها الببغاء بنظرة صاعقة وقفزت تتنقّل بنزق وكبرياء فوق القصبة. «أنت مطرود!»[1]، صرخت، قبل أن تقف وتُدير وجهها إلى زاوية القفص.

«حسناً، تصرّفي بهذه الطريقة»، قالت لويزا ورمت من يدها سترةً صفراء فوق كومة الثياب إلى اليسار. وأمام المدفأة كان قطّ ضخم أصهب اللون ممدّداً فلاحظت لويزا أنه توقّف فجأةً عن لحس

---

(1) معظم العبارات التي تردّدها الببغاء حفظتها من الأفلام والبرامج التلفزيونية.

وبره، فانطلقت: «أنت أيضاً؟ هلّا تتوقفان أنتما الاثنين على الفور؟ أشعر بالذنب كفايةً ولا حاجة بي إليكما لتزيدا الطين بلّة».

كانت حقيبتها على الأرض مفتوحة وفي داخلها مناشف، ومايوهات، وكتب، وملابس مكوّمة كيفما اتّفق. وكانت قد صرفت ساعة كاملة في التفتيش عن جواز سفرها حتى باتت في عجلة كبيرة من أمرها لكي تصبح جاهزة قبل موعد وصول التاكسي. الساعة على حائط المطبخ عديمة النفع فقد فرغت بطارياتها منذ أكثر من سنة، وهي تشير إلى الحادية عشرة وخمس دقائق وتكاد لويزا تصاب بنوبةٍ قلبية كلّما نظرت إليها. إنها تتمتم في نفسها من جديد. لم تتمكّن من التوقّف عن التمتمة منذ مساء البارحة، ومنذ شجارها في الحانة مع روز الحمقاء. كانت تُحدِّث ليدي كاكا على كلّ ما حدث، ولكن تعكّر مزاج الببغاء فجأةً عندما رأت الحقيبة.

«لو سمحتِ، هل يمكنكِ أن تديري وجهك نحوي، أريد إكمال القصّة»، قالت لويزا متوجّهة إلى ساكنة القفص، «وسوف أتيح لك الخروج بضع دقائق». غير أن القطّ رودي تنبّه إلى الأمر، فانتصب وبره للتوّ ونظر بعينيه الصفراوين بحذر. «آه رودي، لا تكن سمجاً»، قالت لويزا.

وبدا أنّ وعد لويزا كان فاعلاً إذ استدارت الببغاء مجدّداً ونزلت عن القصبة واقتربت من باب القفص، ثمّ وقفت بشموخ بانتظار أن تفتح لويزا لها الباب. اقتربت لويزا من القفص وراحت الببغاء تردّد: «أيام سعيدة، أيام سعيدة».

رنّ الجرس الداخلي وتأففت لويزا بشدّة وهبطت يدها جانباً قبل أن تلمس باب القفص فارتفع صوت الببغاء غاضباً.

«تبّاً له، انتظري يا عزيزتي».

مشت ليدي كاكا إلى الوراء وأدارت ظهرها بغيظ شديد وانطلقت تشتم: «أنت مطرود!»[1].

قلّبت لويزا عينيها وفكّرت، إنّ تلك هي أقبح ببغاء في الكون.

ثمّ وقفت أمام لوحة الهاتف الداخلي وتردّدت... لا يمكنها رؤية الشارع العريض من أي نافذة، ولكن موعد وصول التاكسي بات قريباً فقرّرت الضغط على زرّ الهاتف لتجيب.

وقالت: «هل هذا أنت يا ريغ؟ جئت باكراً».

فأجابها صوت لا تعرفه قائلاً: «كلا، إني كلارا... أنت لا تعرفيني... ولكنّي كلارا».

رفعت لويزا إصبعها عن الزرّ وأدارت وجهها نحو القطّ الذي كان قد عاد إلى لحس وبره. «مَن هي كلارا؟»، سألته من غير أن يُعِرْها اهتماماً.

هزّت لويزا بكتفيها وعادت إلى الهاتف وضغطت على الزرّ: «اصعدي»، قالت لها، واستعرضت بنظرة سريعة حالة الفوضى في أرض وزوايا شقّتها المزدحمة بكلّ ما استخرجته ورمته من محتويات خزانتها.

وعندما سمعت وقع الخطى الصاعدة على الدرج، توجّهت إلى الباب الذي تقشّر بعض دهانه وفتحته فوقعت عيناها على شابّة شقراء ترتدي سروال جينز وكنزة ناعمة وقبعة صوفية بنفسجية اللون. لاحظت لويزا صفاء بشرتها، وعينيها الزرقاوين المشرقتين بابتسامة جذّابة، فقطّبت جبينها لتتذكّر أين رأت ذلك الوجه من قبل.

«أشكركِ، أعتذر جدّاً لزيارتي المفاجئة»، قالت الفتاة فيما حطّت

---

(1) عبارة اشتُهرت في برنامج The Apprentice.

قدمها فوق أعلى الدرج. «يا إلهي كم أحتاج إلى الرياضة»، قالت ضاحكة ويداها ممسكتان بخاصرتيها، «مجرّد صعود الدرج أتعبني».

غير أن شيئاً في تلك الفتاة أوحى إلى لويزا بالارتياح، فبادلتها الابتسام على الفور ودَعَتْها إلى الدخول: «ادخلي، ادخلي... ولكن، مَن أنتِ بالتحديد؟».

استقامت الفتاة في وقوفها، وخدّاها متورّدان من برودة الهواء في الخارج، وأجابت: «اسمي كلارا وإني مقيمة في النزل الذي في الحانة؛ وكنت في الحانة مساء أمس».

رفعت لويزا ذراعيها في الهواء شاكيةً: «يا إلهي وأيّ مساءٍ كان أمس!»، ثمّ سألت ضيفتها: «هل تريدين قطعة حلوى بالجزر؟».

«نعم، نعم، كنت أفتش عن مكان لأشرب فنجاناً من القهوة ولم أجد. ما زلت من غير فطور».

«ستتعبين قبل أن تجدي مكاناً يقدّم القهوة»، قالت لويزا فيما التقطت قطعة قماش كبيرة ذات لون وردي فاقع ورمتها باتجاه الحقيبة. وتابعت: «قالب الحلوى على المنضدة في المطبخ. أعددته البارحة وهو المفضّل بالنسبة إلى ليدي كاكا»، وأشارت برأسها نحو القفص. «خذي لنفسك قطعة، وقطعة لي أيضاً لو سمحتِ؛ عليّ الانتهاء من توضيب حقيبتي. اقترب موعد الرحلة - تعلمين...».

«بالطبع، بالطبع»، قالت كلارا فيما حاولت أن تجد طريقها عبر الغرفة بين أكوام الأغراض المختلفة، ثمّ قفزت من روعها عندما ارتفع صوت الببغاء فجأةً: «أنت مطرود!».

أومأت لويزا بإحدى يديها فيما كانت تفتّش وتخربش في عمق الخزانة، «أعتذر عن هذه الفوضى. كنت أتمنى القول بأن ذلك بسبب توضيب حقيبتي ولكن الوضع في الحقيقة هو كذلك في معظم

الأحيان». ثمّ استخرجت شبشباً للشاطئ مطّاطياً وبرونزي اللون وصرخت ملوّحة به: «ها قد وجدته! كنت أعلم أنه في مكانٍ ما».

نظرت كلارا إلى قالب الحلوى الشهي ذي اللون البرتقالي والتقطت سكّيناً. «تعنين أنك ستسافرين بالفعل؟ إلى أين؟»، سألت كلارا.

وأجابت لويزا من غير أن ترفع رأسها عن الدُّرج في أسفل السرير-الأريكة، قائلةً بصوت مرتفع: «إلى مدريد».

رفعت كلارا قطعةً من حلوى الجزر إلى الصحن، وتنهّدت قائلةً: «يا له من خيار رومانسي!»، وراحت تتخيّل الدروب المرصوفة المتلوية حول البيوت وراقصات الفلامنكو بأثوابهن المزركشة بالألوان على كلّ مفترق طريق، والناس يجلسون في أمكنة مشرقة بأشعة الشمس وبأيديهم كؤوس ملأى بالسانغريا[1].

اختفت لويزا وراء السرير ولم يبقَ منها ظاهراً سوى قدميها، «الحرارة في مدريد الآن 17 درجة مئوية، ومعدّلها 18 في نوفمبر، هل تتخيّلين ذلك؟» انطلق صوتها ملعلعاً، فنهض الهرّ من استرخائه ليقف على مصدر الصوت. وإذا برأس لويزا يبرز فجأة فوق اللّحاف وكأنّه معلّق في الهواء وما زال جسدها مختفياً وراء السرير. وتابعت لويزا: «لا أتذكّر الشعور عندما تكون الحرارة 18؛ أشعر في الواقع وكأن الصيف ولّى منذ زمن بعيد. ولكنّه كان صيفاً ماطراً بمعظمه. أريد الشمس، أريدها على وجهي، وعلى ذراعيّ، وعلى عنقي وعلى ظهري. أريد أن تحترق قدماي على الرمال الساخنة وأن أقفز إلى البحر وأصرخ: «كم البحر منعش وكم الحرارة عالية!»، ثمّ غرقت

(1) مشروب إسباني يحضّر من مزيج النبيذ والمشروبات الغازية والفاكهة.

وراء السرير واختفى رأسها من جديد. وسمعتها كلارا تضيف: «لا أريد أن أخلق لك جوّاً من الإحباط، ولكنّك تفهمين قصدي».

كانت كلارا قد عادت من المطبخ وجلست على مقعد خشبي عالٍ، وأجابت: «على كل حال، لست معتادة على مثل تلك الحرارة. الحرارة في الدنمارك الآن ثلاث درجات مئوية».

«ثلاث!»، قالت لويزا وظهر رأسها فوق اللّحاف من جديد وخصلات شعرها المعربسة تنتصب في كل اتجاه. وتابعت مذعورةً: «يا إلهي، كيف يستطيع الناس الخروج إلى أعمالهم؟ لا بدّ أنّكم تقضون الشتاء مختبئين كالدببة».

«في الواقع، لعلّ ما قلته صحيح إلى حدٍّ ما». قالت كلارا وابتسمت عندما تذكّرت فصل الشتاء في بلادها؛ أنواع الطعام التي يستغرق طبخها على الموقد ساعات طويلة، والنيران المتأجّجة، والنبيذ الساخن.

وفيما نزعت القبعة البنفسجية عن رأسها واسترخى شعرها على كتفيها، خفت بريق ابتسامتها قليلاً. لن يكون هناك فصول شتاء جميلة أخرى مثل التي قضتها في طفولتها، حيث كان أفراد العائلة يجتمعون حول طاولة خشب السنديان العريضة، والأبخرة اللّذيذة المتصاعدة من أطباق حساء كتل اللحم تدعوهم إلى التهامها. غير أنها ما لبثت أن رمشت جفنيها لكي تزيح عنها تلك الذكريات القديمة التي غالباً ما تراودها.

ومن الزاوية كانت ليدي كاكا تسترق النظر إلى كلارا فيما كانت الأخيرة تلتهم قطعة الحلوى، وتنفض جناحيها بقوّة فتصطدمان بِعيدان القفص كلّما لاحظت عيني كلارا تلتفتان إليها.

اقتربت لويزا وقفزت لتجلس على كرسي عالٍ آخر قبالة كلارا،

وقد وضعت على رأسها قبّعة كبيرة زيّنت بأزهار ضخمة تشبه دوّار الشمس. «تجاهليها»، قالت لويزا وأشارت بيدها إلى القفص. وتابعت: «تأكلها الغيرة عندما أتوجّه باهتمامي إلى غيرها؛ إضافة إلى أنّ حلوى الجزر هو المفضّل لديها». ثمّ اقتطعت جانباً من حصّتها وحملتها على طرف السكين إلى القفص. نظرت الببغاء إلى الحلوى بغيظ شديد وأدارت وجهها إلى الزاوية من جديد. فتنهّدت لويزا وقالت: «خوفي من أن تستمرّ كذلك بعد أن أغادر البيت - تعرف أني أستعدّ للسفر».

«وماذا سيحدث لها بعد سفرك؟»، قالت كلارا بعد أن وضعت قطعة من الحلوى في فمها. «طعمه رائع حقّاً»، تمتمت.

هزّت لويزا برأسها موافقة، وقالت: «أعلم ذلك، وصناعة الحلويات إحدى أهمّ مهاراتي، وكذلك قراءة المستقبل على ورق اللعب، وأيضاً النفخ في الزجاج. لم أجرّب أبداً استخدام الطيّارات الورقية، وأعتقد أني قد أبرع في ذلك أيضاً. ما هي مهاراتك يا كلارا؟».

نظرت كلارا بتعجّب هنيهةً لا تعلم ماذا تقول. ثمّ حاولت الإجابة: «حسناً. . . ، أعتقد. . . »، إلى أن قاطعتها لويزا بالقول:

«هيّا، هيّا، كلّ الأشخاص يملكون مهارات معيّنة. ولكنهم لا يتكلّمون عنها بحجّة التواضع وهذا هراء. إني فاشلة كليّاً في بعض الأمور ولا أتوانى عن تذكير الناس دائماً بها -مثلاً، عندما حاولت تعلّم العزف على الكمان وكان ذلك مرعباً؛ تخالينها موسيقى جنائزية في كلّ مساء. أما عندما أحاول تركيب مشهد في لعبة بازل(1)، فإني

---

(1) لعبة مؤلّفة من أجزاء مفكّكة يتمّ جمعها لتصبح لوحة متكاملة.

أغضب بسرعة وأحشر القطع في غير مكانها فتتكسّر أطرافها لأني قليلة الصبر- ولكني أتقن تحضير الليموناضة المثلجة إلى حدّ كبير». وفتحت ذراعيها وتراقصت أزهار دوّار الشمس حول قبّعتها كلّما حرّكت رأسها.

«ولكن ماذا سيحدث لحيواناتك؟»، ردّدت كلارا سؤالها علّه يشغل لويزا عن وجود المهارات - أو غيابها.

رفعت لويزا يدها لتقول: «إحدى الأشياء التي عليّ القيام بها قبل الذهاب هي إعطاء مفاتيح شقّتي إلى غافن. سوف يهتمّ بها. لقد فعل ذلك سابقاً عندما سافرت من أجل عزلة إيقاظية في تايلاند».

«فهمت»، قالت كلارا وقد فاجأها الجواب، ولم تتمكّن من أن تسأل محدّثتها عن المقصود بفكرة العزلة الإيقاظية؛ فنفضت فُتاتاً من الحلوى عن شفتها العليا ولم تُضِفْ شيئاً.

صمتت لويزا قليلاً، ونظّفت هي أيضاً زاوية فمها بتؤدة، ثم قالت: «إذاً، ما سبب زيارتك؟» ثمّ قفزت بسرعة عن الكرسي فوقعت القبعة. وتابعت: «لديّ ثوانٍ معدودة لأقوم بأمور كثيرة، ساعديني ولنتكلّم في أثناء العمل».

انزلقت كلارا عن مقعدها، وقالت: «بالطبع، كيف يمكنني المساعدة؟».

أشارت لويزا إلى لفّة أكياس بلاستيكية للنفايات في المطبخ، وقالت: «تخلّصي من كلّ محتويات البرّاد القابلة للفساد. نسيت أن أفعل ذلك في المرّة السابقة، وكدت أموت عندما أكلت بعد عودتي عجينة الكبد البلجيكية التي كانت قد فسدت واجتاحها العفن».

تجعّد أنف كلارا تقزّزاً فيما مدّت يدها إلى لفّة الأكياس على المنضدة.

«وهكذا. . . »، عادت لويزا إلى كومة الثياب الموضوعة على السرير، فأخذت من بينها أشياء وضعتها فوق كتفها وأخرى حملتها بيدها فانخفض حجم تلك الكومة قليلاً. وتابعت: «ماذا يمكن أن أفعل من أجلك؟».

كانت كلارا قد فتحت البرّاد ونظرت إلى محتوياته فوجدت بضعة زجاجات مفتوحة من الشمبانيا الزهري، وكميّة من المحار والزيتون. وكانت هناك شرحة كبيرة من سمك السلمون المدخّن لم ترغب ببساطة في رميها. ثمّ التقطت نصف ليمونة ذابلة ورمتها في الكيس؛ وفتحت فمها لتقول ما كان يدور في ذهنها: «حسناً، كنت أفكّر. . .، لقد سمعت البارحة مساء أنك عازمة على السفر، كنت هناك، أريد القول إني أقيم هناك-».

«نعم قلتِ ذلك. . . »، قاطعتها لويزا، ثمّ توقّفت عن الكلام عندما أمسكت بثوب سباحة مقلّم، ثمّ تابعت: «أي نقاش عقيم كان ذلك. نجحت روز كعادتها في إثارة أجواء القلقلة في البار؛ هذا طبعها ولا غرابة في ذلك. كنت بحاجة إلى التعبير عن غضبي بطريقة ما، فجاءت كالعادة لتغيظني باتهاماتها التافهة. لم أكُن أعلم أنّ لدى غافن غرف للإيجار؛ استثمار لا بأس به. . . عظيم!».

بقي فم كلارا فاغراً منذ أن قاطعتها لويزا. «أعتذر، أعتذر، ماذا كنت تقولين؟»، استدركت لويزا وأشارت إليها أن تتابع حديثها، فيما انحنت لتحشر ثوب السباحة في جيب الحقيبة المنفوخة.

«حسناً كنت أفكّر إن كنت تسمحين لي بالبقاء في بيتك في أثناء غيابك والاهتمام بالبيت وبحيواناتك الأليفة. . .، ولكن يبدو أنّ لديك ترتيبات معيّنة، طبعاً لديك. . . »، قالت كلارا بنبرة منخفضة من غير أن تنهي جملتها.

«تعالي وساعديني في الجلوس عليها»، صرخت لويزا.

«لم أفهم...».

«أقصد الحقيبة، تعالي. قد تصل سيارة التاكسي في أيّ لحظة، ولا أريده أن يراني في مثل هذا الوضع...، مع أنه رأى هذه الفوضى من قبل...، أعتذر اقتربي واجلسي».

مشت كلارا إلى حيث كانت لويزا بقبعتها الواسعة قرب السرير وانخفضت لتجلس على الحقيبة إلى جانبها. لاحظت كلارا على الطاولة بقرب السرير إطاراً فضّياً يحمل صورة شابّ شديد الوسامة بعينيه الساحرتين المائلتين إلى الرّمادي، وبشعره البني الداكن، وبشرة وجهه الملوّحة بأشعة الشمس. تقف لويزا إلى جانبه وذراعها حول وسطه، ورأسها على كتفه. يبدو الشاب أصغر من لويزا سنّاً بنحو عشرين سنة أو أكثر وقريباً إلى عمر كلارا. كادت كلارا تنسى ما كانت تقوله. ولكنها عادت لتكمل:

«هذا في الواقع ما أردتُ قوله، ولكني أيضاً أتساءل بشأن المتجر. سبق لي وقُمت بإدارة متجر تجاري، وأفكّر ومن باب ردّ الجميل...، بما أني لن أتمكّن من دفع إيجار إقامتي في البيت، أستطيع أن أفتح المتجر وأبيع بضاعته من غير أن أتقاضى أجراً. ليس من العدل أن يغلق متجر لبيع الألعاب قبل عيد الميلاد بأسابيع قليلة».

وبسخرية ردّت لويزا: «لا تتأملي أن يدخل إلى المتجر زبون واحد في اليوم».

«دعيني أحاول على الأقلّ. رأيته من الخارج وتوقّعت أنّه متجر رائع». أجابت كلارا.

«كان رائعاً حقّاً»، قالت لويزا بتنهيدة عميقة فيما ما زالت تجلس إلى جانب كلارا فوق الحقيبة. وغرقت في لحظة من السكون وكأن ذكريات الماضي خطفتها إليه.

«لم أكن أنوي البقاء هنا، ولكنّي أحببت هذه القرية. شعرت بشيء يشدّني إليها. . . ، هل فهمتِ قصدي؟»، قالت كلارا وأشارت بيدها إلى صدرها. «شعور داخلي يقول لي إني في المكان الصحيح».

رفعت لويزا حاجبها، وعلّقت: «ويقولون إني غريبة الأطوار!».

شعرت كلارا بحُمرة الخجل تقتحم خدّيها فقفزت لتوّها عن الحقيبة التي كانت لويزا قد نجحت أخيراً في إقفالها، وقالت: «أعتذر، ربّما كلامي مجرّد هذيان. إنها ليست سوى فكرة خاطفة ووليدة اللحظة. سأدعك تنهين توضيب أغراضك»، ومشت بسرعة لتلتقط قبّعتها وتنصرف.

شدّت لويزا بنفسها صعوداً واستعانت بحافّة السرير، ثمّ جالت بنظرها على الغرفة التي لا تمتّ إلى مظاهر النظافة والترتيب بأي صلة، وقالت: «لن أتركك تمكثين هنا وكلّ شيء في هذه الحالة من الفوضى. لم أقم بأي ترتيب لهذه الشقة منذ سنة 1973. أما الغرفة الإضافية فتبدو وكأنّ قنبلة نسفتها».

«كلّا طبعاً، كان عليّ أن أتنبّه إلى هذا الأمر»، ردّت كلارا متلعثمة.

«ولكن، وإن كنتِ مصرّة»، تابعت لويزا وهي تنظر إلى كلارا بكبرياء، «إن كنت تتوسّلين هذا الأمر منّي. . . ».

تنبّهت كلارا إلى التغيير الذي طرأ على نغمة صوت محدّثتها، فهزّت برأسها إيجاباً وقالت: «نعم، إني أتوسّل منك هذه الفرصة.

أحببت هذه الشقّة وأستطيع الاهتمام بحيواناتك» مشيرة برأسها إلى القفص، وإلى البساط الضيّق حيث يتمدّد الهرّ.

«لا شكّ أنّ ليدي كاكا ورودي يحتاجان إلى الرعاية»، فكّرت لويزا بصوتٍ مرتفع.

«ولا مانع لديّ من القيام بذلك. وأستطيع تنظيف الشقة وترتيبها من غير صعوبة»، أضافت كلارا. وتابعت: «أفضّل الإقامة في الشقة على البقاء في الحانة طبعاً».

كانت لويزا قد مشت إلى المطبخ وفتحت درجاً بقرب البرّاد وراحت تفتّش بين أغراضه، وإذا بناقوس الخطر يهزّ كيان كلارا فجأةً عندما لمحتها تُخرج منه سكيناً ضخماً يشبه ساطور اللحام. «حسناً»، نادت لويزا وخشخشة أساورها تضيف إلى توتّر كلارا توتّراً. ثمّ عادت وأدخلت يدها إلى الدرج لتُخرج منه هذه المرّة مجموعة مفاتيح، ولتعلن: «هذه رزمة المفاتيح الاحتياطية!» ثم التفتت إلى الببغاء والهرّ قائلةً: «ليدي كاكا، رودي، هيّا تعرّفا إلى كلارا، شريكتكما الجديدة في السكن!».

وإذا بوجه كلارا الذي كان اللون قد فارقه تحت وطأة الصدمة منذ برهة، يشرق بابتسامة عريضة، وعبّرت عن ارتياحها في الحال: «أوه، هذا ممتاز، هل تعنين ما تقولينه حقّاً؟ عظيم، إني على أشدّ الاستعداد للقيام بالمهمّة».

ورنّ الجرس الداخلي من جديد، فأجابت الببغاء: «غير محبوب، غير مرغوب»[1]، وردّت لويزا على الجرس بصراخٍ مَوتور.

«آه! إنها سيارة التاكسي»، قالت، ورَمَت رزمة المفاتيح إلى

(1) عبارة اشتُهرت في برنامج Take me out.

كلارا. ثمّ راحت تقفز من حقيبة السفر إلى حقيبة اليد وهي تتمتم: «الجواز، بطاقات السفر، الجواز، الفلوس، الجواز، الألبسة الداخلية، الجواز، الثياب، الجواز، الكتب، الجواز، القبعة، الجواز، ثوب السباحة، الجواز».

أمّا كلارا فوقفت في مكانها والمفاتيح في يدها وتوجّهت إلى لويزا بالسؤال: «هل من أمور ضرورية يجب أن أعلم بشأنها قبل سفركِ؟».

«لا وقت لذلك، لا وقت البتّة. سوف أراسلكِ عبر البريد الإلكتروني - اكتبي لي عنوانك». ثم أخرجت إليها قلماً بسرعة البرق، ومدّت يدها محفّزةً كلارا لتكتب على ظاهر كفّها العنوان.

راحت كلارا تخطّ وكأنها ترسم قائلةً: «مع أني لا أفتح بريدي بشكلٍ منتظم-».

راقبت لويزا ما كتبته كلارا وهزّت برأسها وقالت: «حقّاً يجب أن أعلمك ببعض الأمور قبل ذهابي». وصرخت مجيبةً على صوتٍ صعد إليها من نافذة البريد في الطابق السفلي. وأجابت: «إني قادمة حالاً يا ريغ!» ثم التفتت إلى كلارا توصيها: «عليكِ إطعام رودي وليدي كاكا بالطبع. ترفض ليدي كاكا التكلّم إليكِ إنْ لم يكُن قفصها نظيفاً. تصرّ على أن يفرش أسفل القفص بجريدة **ديلي ميل**، -تحب التبرّز فوق العناوين، هذه هوايتها، إنها ببغاء ذات ميول يسارية- حذار أن تقدّمي لها طعاماً باللحم أو بالدجاج، لأنك لو فعلت ستخاصمكِ لمدّة شهر. أخطأت في إحدى المرّات وقدّمت لها طعاماً مطبوخاً مع حساء الدجاج، فتقيّأته فوق صورة دونالد ترامب، وأشكّ أنها لم تفعل ذلك عمداً. لا تتكلّم سوى لغة الشتائم وتردّد جملاً تلتقطها من التلفزيون. ليس في المتجر أيّ تعقيد، ولكن درج

صندوق المحاسبة قد لا يفتح في بعض المرّات. نغلق أبوابنا باكراً يوم السبت وكليّاً يومي الأحد والاثنين، وفي الواقع، لم يعد هناك من زبائن. يمكنني تزويدك بمعلومات إضافية عبر البريد الإلكتروني. ولكن لورين تعلم كلّ شيء - كانت في الحانة البارحة مساءً، هل تذكرينها؟ شابّة شقراء جميلة، ولطيفة جدّاً. كانت تعمل معي في المتجر بدوام جزئي عندما كانت الحركة ناشطة، ولكنها توقّفت الآن مع الأسف. تكلّمي إليها، إنها رائعة!».

«تعرّفنا وتحدّثنا معاً هذا الصباح...»، قالت وأعادت الغطاء إلى القلم.

«هل هذا صحيح؟ يبدو أن الحظ يلعب دوره». قرأت لويزا ما كتب على ظهر يدها، وسألت: «هل هذا رقم أربعة؟ حسناً، ممتاز، عنوان طريف!».

«إني دنماركية»، أوضحت كلارا.

«عظيم! كنت مرّة على علاقة برجل من كوبنهاغن وكان يعجز عن لفظ بعض العبارت الإنجليزية وكان ذلك مضحكاً للغاية. ولكنّه رائع، ومبدع في السرير. أحبّ الدنماركيين».

وقفت كلارا مشدوهةً، تستمع إلى ما قالته لويزا بفم فاغر.

وتابعت لويزا: «تجدين على لوحة الفلّين في المطبخ أرقام هواتف في حال حدث تسرّب من أنابيب المياه في الشقة، أو اندلع حريق مثلاً - لا أحد يعلم ما قد يحدث؛ اضطررت مرّةً إلى إلغاء عشاء فوندو[1] كنت قد دعوت إليه بعض أصدقائي وذلك لأنّ النار

---

(1) طبق يُحضَّر فوريّاً فوق موقد خاص يوضع على الطاولة فيشترك الضيوف في طهي طعامهم.

اندلعت في غرفة الجلوس بسبب نفط القدّاحة. أظنّ أن عمال النظافة يأخذون النفايات القابلة للتدوير أيام الاثنين -قد أكون مخطئة لأني أنسى دائماً ذلك اليوم المحدّد. أضع نفاياتي خارجاً في بعض الأيام على أمل أن أكون مصيبة... أوه، يجب ألّا أنسى ابني جو! يجب أن يعلم بما يجري- يسكن في لندن، حاولتُ الاتصال به منذ ساعات الفجر الأولى ولم ألقَ إجابةً. لا أستغرب لأنه منشغلٌ دائماً وأجهل السبب. لو اتصل، أرجو أن تُعلميه بسفري وقولي له إني سأحاول مكالمته من مدريد. رقمه على لوحة الفلّين أيضاً ويمكنك الاتصال به. توقّف عن الصراخ يا ريغ سأنزل حالاً. حسناً يا عزيزتي كلارا، عليّ الذهاب فوراً. يا لها من صدفة جميلة، وجودك هنا يريحني كثيراً...، لديك طاقة عظيمة».

قبّلتها لويزا على خدّيها مودّعة وقبل أن تتمكّن كلارا من التفوّه بكلمة، رأتها تستدير وتنحدر وحقيبتها ترتطم بدرجات السلّم وراءها، وقبّعتها الواسعة تتأرجح فوق رأسها. وعندما سمعت جلبة إغلاق الباب السفلي نظرت إلى المفاتيح التي بيدها، وسألت نفسها ماذا فعلت حقّاً.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الخامس

رأت كلارا، في طريق عودتها إلى الحانة، الشارع العريض وكأنه ازداد ظلمةً وكآبةً. ولاحظت أن قطرات المطر قد لطّخت واجهات المتاجر الزجاجية المغطّاة بالغبار؛ وأن حجارة الرصيف الإسمنتية والإسفلت الذي يغطي الشارع، والغيوم الحائمة فوق رأسها، كلّها ذات لون رماديّ داكن. ولاحظت وجود بعض المارّة: امرأة في أعلى الشارع تسير بجزمة مطّاطية وتنزّه كلبها الذي يبدو من نوع سبرنغل سبانيل، ورجل يُنزل من شاحنته الصغيرة عدداً من الصناديق، ودرّاج يمرّ بمحاذاتها بسرعة خاطفة - ومضة من ضوء دراجته ما لبثت أن اختفت. تثاقلت خطوات كلارا فيما اقتربت من الحانة، وعندما وصلت وفتحت الباب رأت غافن وبيده رقعةً ينظّف بها سطح المشرب.

«ها قد عدتِ»، قال، وتوقّف عن عمله لينظر إليها.

مشت كلارا نحوه مكتوفة الذراعين فقد أحسّت بقشعريرة باردة،

وكأن الجوّ في الحانة أكثر برودة في الصباح لعدم وجود الزبائن، وقالت: «مشيت في نزهة صباحية».

وفيما عاد ليمسح المشرب سألها: «هل قطعتِ الحقول إلى خطّ الأشجار المحيطة بها؟ هناك ساقية طويلة تنساب حتى القرية المجاورة».

«كلّا، كنت أتعرّف إلى الشارع العريض». وتنبّهت فوراً إلى واجب عدم ذكر أنّها كانت تفتّش عن مكانٍ لتناول القهوة والفطور خوفاً من أن يشعر بالإهانة. وتذكّرت مشهد الموزة الهزيل على الصينية وعلبة رقائق الحبوب بقرب سريرها الضيّق - كان يجب أن تتنبّه إلى الأمر وتأخذهما معها. وأجابت: «في الواقع انتهى بي الأمر إلى رؤية لويزا. سوف أقيم في شقّتها وأهتمّ بها ريثما تعود».

«هل ستسافر حقّاً؟»، قال وقد توقّف عن التنظيف.

«سافرت».

«سافرت؟».

هزّت كلارا برأسها لتؤكّد: «سافرت منذ قليل».

«وهل قالت لك شيئاً؟»، سألها من غير أن يسمح لعينيه أن تلتقيا بعينيها، بل عاد ليحرّك الرقعة فوق سطح المشرب.

«هل قالت لي شيئاً!؟»، ردّدت كلارا سؤاله.

«أعني، هل تركت رسالةً شفهية لي، أو لأيّ أحد آخر... كما تعوّدت أن تفعل عندما تسافر...؟».

لم تتمكّن كلارا من منع نفسها عن الابتسام عندما لاحظت الاحمرار على وجه غافن. ولكنّها شرحت له قائلةً: «كانت على عجلة من أمرها كثيراً، وكانت ستوكلك أمر الاهتمام بحيواناتها

الأليفة، ولكن ولوجودي في الشقّة سأهتمّ بطعام الببغاء والهرّ وبما يلزمهما. . . ».

«سوف أراسلها عبر لعبة «كلمات وأصدقاء»؛ بدأنا للتوّ لعبةً جديدة»، قال ملوّحاً بهاتفه الخليوي إلى كلارا.

«لا أعلم شيئاً عن هذه اللعبة»، قالت كلارا وقد لاحظت صورة عددٍ كبير من الأحرف على الشاشة.

«إنها ببساطة لعبة سكرابل المعروفة، وإنّما على الإنترنت. دورها الآن في اللعب. منذ الصباح أنتظر منها رؤية الكلمة الأخيرة التي وضعتها وهي من ستة أحرف، ولكنّها كانت بالطبع منشغلة بالتحضير للسفر. أظن أنها ستترك لي رسالة على هذه الصفحة، هذا ما نفعله عادةً. . . »، أكمل جملته ببطءٍ ملحوظ وكان وجهه قد اكتسى حمرة داكنة.

«لا شكّ بأنها ستفعل. أودّ منك بعض النصائح بشأن حيواناتها. الببغاء بالذات تبدو صعبة المراس. . . ».

«ليدي كاكا»، قال غافن، «ليست صعبة المراس فحسب، إنها كابوس من المفردات الرديئة».

«يبدو الأمر مرعباً»، علّقت كلارا ضاحكة. «طلبت مني لويزا أيضاً الاتصال بابنها. لديّ رقم هاتفه ولكنّي لم أجد هاتفاً في بيت لويزا».

«ربّما مدفوناً في زاوية ما»، قال غافن، «لا أدري كيف تجد هذه المرأة شيئاً في تلك الشقّة. ليتكِ ترين الأشياء التي تحتفظ بها في حقيبة يدها».

«كنت أسأل نفسي إن كان لديك خطّ هاتف أرضي يمكنني

استخدامه، أو هاتف خليوي؟ أعتقد أنه من الأفضل أن أعرّفه إلى نفسي».

نظر إليها غافن مرتبكاً بعض الشيء.

«نعم، ليس لديّ هاتف خليوي»، قالت كلارا موضّحةً.

«ليس لديك هاتف؟»، ردّد غافن بتعجّب ملحوظ، وتابع: «كنت أظنّ أن كلّ مَن هم دون الثلاثين لديهم هواتف خليويّة متصلة اتصالاً يكاد يكون عضويّاً بأجسادهم».

شعرت كلارا كالعادة بلزوم شرح الأسباب ولكنّها فضّلت عدم التوسّع في الموضوع الذي قد يثير مزيداً من الأسئلة، فاكتفت بإجابة مقتضبة: «كان لديّ هاتفٌ، ولكن. . .، الآن لا».

«إذاً استخدمي هاتفي»، ورفع إليها هاتفه. «ويمكنك استخدام الخط الأرضي، تجدين الجهاز بقرب الصندوق. ولكن لا تتوقّعي أن يجيبك. تشكو لويزا دائماً من هذه المسألة، وتقول إن علاقتها مع آلة التسجيل الصوتي باتت أكثر إلفةً وحميمية من علاقتها بأيّ رجل»، قال ذلك مع ضحكةٍ مكتومة وحرارة بدت في عينيه لدى ذكر اسمها.

توجّهت كلارا إلى الهاتف الأرضي وطلبت الرقم الذي كانت قد نقلته على الورقة. وكما كان متوقّعاً، تحوّل الاتصال مباشرةً إلى التسجيل الصوتي. صوت هادئ وواثق يملأ أذنها ويطلب منها ترك رسالة، تلعثمت وكادت أن تتأخر عن الوقت المحدّد للإجابة قبل أن تقول:

«سلام، اسمي كلارا ومقيمة. . . حسناً، طلبت والدتك مني أن أخبركَ بأني سأقيم في شقّتها في أثناء غيابها في مدريد. وسوف أفتح متجر الألعاب أمام الزبائن. أظنّ أنها حاولت الاتصال بك ــــ».

غير أن صوتاً نسائيّاً آليّاً قاطعها فوراً بالكلام الروتيني: «نهاية

الرسالة؛ يمكنك الضغط على الرقم واحد لإعادة التسجيل، أو...». أجفل الصوت كلارا فأعادت السماعة إلى مكانها للتوّ.

ثمّ ابتعدت عن مكان الهاتف من غير أن تخفي انزعاجها.

«هل كلّ شيء على ما يرام؟»، سألها غافن فيما جلس على كرسيّه خلف المشرب والخرقة تتدلّى من يده وبدا شارد النظر إلى الخارج.

هزّت كلارا برأسها إيجاباً متيقّنة بأنّ الرسالة لم تكن موفّقة جدّاً ولكنها لم ترغب بترك رسالة أخرى خوفاً من أن تبدو كالحمقاء.

«سأذهب الآن لتوضيب أغراضي في الغرفة»، قالت كلارا.

«وسوف أساعدك في حمل تلك الحقيبة، فهي تبدو ثقيلة»، قال غافن، وصعد خلفها على السلم الضيّق حانياً رأسه من حين إلى آخر لكي لا يرتطم بالسقيفة الخشبية الداعمة للسقف.

«لا داعي لذلك»، تمتمت كلارا ومرّ في بالها بأنها لم تستحمّ في الصباح، وأنّ شعرها متسّخ. وصلا إلى أعلى الدرج وسارا في الممرّ فملأ غافن بكتفيه العريضين وهيكله الضخم تلك الفسحة الضيقة فأحسّت كلارا وكأنّ الجدران والسقف المنخفض والسقيفة الخشبية الداكنة تكاد تطبق عليها فيما كانت تتلمّس مفتاح الغرفة. وفي محاولة لكسر الصمت بأيّ حديث، قالت: «هل هي الغرفة الوحيدة لديك؟».

«غرفة واحدة ولا حاجة إلى أكثر من واحدة»، أجاب غافن محاولاً أن يغطي بجسده باباً آخر مجاوراً للأوّل فيما كان يتكلّم.

شعرت كلارا بتوتّرٍ في سلوكه، فرفعت رأسها ونظرت في اتجاه الممرّ الطويل. «أجد وكأن هناك عدد غير قليل من الغرف»، قالت،

وقد لاحظت وجود أشياء في الغرفة المجاورة التي ما لبث غافن أن أقفل بابها، وسمعت جلبة المزلاج القديم وحركة المفتاح السريعة في القفل.

«كلا، كلا، مجرّد استخدام خاص، تعرفين». قال فيما كان يتأكّد من إقفال الباب مديراً نظره يميناً ويساراً غير قادرٍ على النظر إليها مباشرةً.

تساءلت كلارا عمّا قد يكون في داخل تلك الغرفة، وشعرت بتغيّر في الأجواء. لقد تغيّر مزاج غافن المرح فجأةً وتحوّل إلى شيء آخر، فأثقل التشنجّ جوّ الصمت المحيط بهما.

«حسناً»، قالت محاولةً استعادة المزاج السابق. «الغرفة جميلة والفراش وثيرٌ ولقد نمت نوماً هنيئاً»، أضافت وهي تخترق الغرفة بسرعة لكي تخفي وجود تلك الموزة عن عيني غافن. كانت ترغب في تنظيف أسنانها من آثار السكر بعد تناول قطعة الحلوى في شقّة لويزا، ولكنّها الآن في عجلةٍ من أمرها مع وجود غافن منتظراً خارج الباب.

رفع حقيبتها وأشار إليها بالسير أمامه وأسرع الخطى لحظة مرورهما أمام الباب المقفل في طريقهما إلى الطابق السفلي. وتراءت أمام عينيّ كلارا فجأةً صورة مرعبة قد تفسّر أسباب توتّر مزاج غافن الشديد. قد يكون هناك ضيف في تلك الغرفة مكمّم الفم، وموثق اليدين في انتظار أن يأتي مَن يخلّصه.

دفعت الفاتورة بصمت وشكرته فيما استعدّت للخروج.

«انتظري»، قال ولوّح لها بورقة، كان يبدو وكأنه استعاد هدوءه تماماً منذ لحظة وصولهما إلى المشرب، ناسياً كل توتّره السابق. «إنه عرض خاص لأيّام الثلاثاء إذ نقدّم عشاء مؤلّفاً من شريحة من اللحم

وكوباً من النبيذ بعشرة باوندات لا غير» وتابع: «نقدّم الطعام هنا أيام الثلاثاء والسبت».

«عرض لا بأس به، شكراً»، قالت كلارا، وأخذت الورقة منه وطوَتها ثمّ دسّتها في جيب سروالها.

غير أنّه أصرّ على إغلاق باب الحانة والسير معها في اتجاه شقّة لويزا ومتجرها. حمل غافن الحقيبة على كتفه وكأنه يحمل عصفوراً وراح يحدّثها عن بعض المتاجر القديمة في الشارع العريض مُعطياً إيّاها لمحة عن تاريخ المكان. ولاحظت كلارا الحزن الذي بدا في عينيه عندما مرّا أمام مبنى قاعة البلدة العامّة فأخبرها أنه ولويزا قاما مرّةً بالتزلّج على الجليد في مرأب القاعة الفسيح ووصف لها كيف اختلّ توازن لويزا، وكيف كاد ظهره ينكسر قبل أن يلتقطها ويمنع سقوطها على الجليد. وقهقه بهدوء خلال لحظات سرقته إلى الماضي.

«شكراً»، قالت كلارا وأخذت الحقيبة منه أمام باب المتجر، فودّعها ملوّحاً بيده فيما شرعت إلى جرّ الحقيبة إلى داخل المبنى ومن ثمّ فوق السلّم وإلى الشقة. غير أنها لم تشعر بالرغبة في توضيب أغراضها في تلك اللحظة؛ بل شدّها الفضول للعودة حالاً إلى الطابق السفلي لكي تتعرّف إلى المتجر أوّلاً.

وهبطت السلّم بعجلة وفتحت الباب المؤدّي إلى باب المتجر الجانبي. تلمّست طريقها إلى الداخل في الظلمة فقد كانت ستائر الواجهات الأمامية مسدلة. فتّشت عن مكان المفتاح الكهربائي وتمنّت في تلك اللحظة لو كان هاتفها الخليوي في متناول يدها لما له من استخدام مفيد كمصباح يدوي. وما لبثت أن صرخت عندما اصطدمت ساقها بزاوية حادّة إلى أن التقت أصابعها أخيراً بملمس

البلاستيك على الحائط فشدّت على الزرّ الأوّل إلى الأسفل، ثمّ على الثاني، حتى أضاءت جميع المصابيح تباعاً وانتشر الضوء في كل زوايا المتجر.

كان المتجر ممتلئاً بأنواع الألعاب المعروضة كيفما اتّفق؛ فالرفوف تعجّ بالدمى وبالسيارات وبعلب البازل، وعلب الداما والشطرنج والمونوبولي وما شاكلها. كان هنالك مجموعات من السلال المعدنية حيث تتكوّم عشرات الأشياء الصغيرة المسلّية مثل كرات النيون وألعاب اليد الإسفنجية الطرية للأطفال. مشت كلارا في الممرّات بين الرفوف وتعجّبت لكمية البضاعة الموجودة. أشياء تختبئ وراء أشياء؛ علب وقعت إلى الوراء ولم تعُد ظاهرة وطبقة خفيفة من الغبار تغطّي بعض الرفوف فتساءلت منذ متى لم تزرها عين أو تلمسها يد! بدا كلّ ذلك وكأنه شغب يتحدّى نظام الحواس ويُغرقها في دوار من البهرجة، فتذكّرت صورة تلك العمّة المشاكسة في القصص والتي أحاطت نفسها بعشرات الأكياس المملوءة بالأغراض، ولفّت حول عنقها أنواع وأنواع من الشالات الملوّنة ومن أطواق الخرز الضخمة غير المنسجمة مع الأقراط اللامعة المتدلّية من أذنيها. أطفأت كلارا بعض المصابيح لتلطّف تأثير هذا المشهد عليها فيما تابعت عمليّة الاستكشاف.

رأت كلارا صندوق المحاسبة وقد وضع في القسم الخلفي من المتجر على طاولة اختفى سطحها تحت الأوراق المبعثرة ودفاتر الإيصالات والأقلام وحمّالات المفاتيح وأقراص الكاراميل والشوكولا والمصّاصات السكرية الملوّنة التي يحبّها الأطفال، وكان ذلك المشهد وحده كافياً لتشعر بالصداع. ثمّ لاحظت وجود آلة حاسبة تطلّ من تحت الأوراق، وخربشات متنوّعة على الورق بين

رسم ببغاء أو قطّة وأصناف عديدة من الأزهار، وقلوب ونجوم وعيون وحرف «غ» بكلّ الأحجام.

ثمّ مرّت برفوف عديدة أخرى في القسم الخلفي وتعجّبت من وجود عدد كبير من العلب الكرتونية المرصوفة خلف بعضها البعض وقد بدا لها أنها تحوي أصنافاً متنوّعة من الألعاب. ثمّ لاحظت وجود خزانة في زاوية الغرفة فأمسكت بمقبض بابها وكان دبقاً ثمّ انفتح بصرير مسموع، وعندما دخلت إلى تلك المساحة الصغيرة ومدّت يدها إلى الرفّ العلوي وجدت منحوتات خشبية جميلة حجب الغبار زهوة ألوانها، ثمّ مسحت بإصبعها ظهر حصانٍ هزّاز فاكتشفت ألوانه الرائعة، وشعر عنقه الذي يبدو وكأنه انفلش فوق جبينه وغطّى إحدى عينيه. وفيما كانت تستكشف زوايا تلك الخزانة تكوّنت فكرة في رأسها وأخذت تكتمل كلّما تعمّقت في الاكتشاف. أحسّت كلارا بانقباض في معدتها وبطاقة تحرّك أصابعها وتحفّزها لكي تبدأ فوراً بالعمل. ابتسمت فيما أغلقت باب الخزانة ورسمت في مخيّلتها ما أرادت أن تنقله إلى الورق في الحال غير أنّ وجود باب آخر في الجهة المقابلة سرق انتباهها، فاقتربت منه وفتحته وذهلت عندما رأت المساحة الكبيرة التي انفتحت أمام ناظريها. وما إن همّت بالدخول إلى تلك الغرفة الفسيحة حتى سمعت صوت طرقٍ أجفلها فرفعت يدها إلى فمها لكي لا تصرخ، واستدارت لترى لورين خلف الباب الجانبي وأنفها ملتصقاً إلى واجهته الزجاجية.

«أعتذر، هل أخفتك؟ تركتِ الباب مفتوحاً، وعندما دخلت وجدت المتجر مضاءً»، قالت وهي تشير إلى الباب الخارجي وراءها.

«هل تركته فعلاً؟ يا له من تصرّف غير مسؤول! إنه اليوم الأوّل

الذي أمارس فيه مسؤولية المحافظة على هذا المكان وها إني أبدو غير جديرة»، قالت كلارا، وما زال قلبها ينتفض من الوهلة.

«مسؤولية المحافظة على المكان؟»، قالت لورين بتعجّب.

«إنها قصّة طويلة».

«على كل حال، ليس هناك ما يمكن أخذه من الممرّ الخارجي، عدا إعلانات البيتزا. ولا بدّ لمَن يرغب في سرقة تعليقة القبعات من أن يجلب معه مفكّ براغٍ في جيبه. والأمر مع ذلك لن يكون سهلاً»، قالت لورين مازحة.

«أعتذر، كنت ذاهبة إلى أخذ إبني روري من الحضانة حيث بات يقضي بضع ساعات يومياً. هل يمكن اعتباري أمّاً سيئة لو قلت لك إنها أحياناً أفضل ساعات نهاري؟».

ابتسمت كلارا مجيبةً: «بالطبع لا؛ أتصوّر أنك بحاجة إلى بعض الوقت للراحة».

«نعم، أحتاج إلى الراحة»، قالت لورين فيما مشت وراء كلارا إلى داخل المتجر، وأضافت: «خصوصاً وإن مسلسل «التاج» (The Crown) لن يشاهد نفسه، بل يحتاج إلى مَن يشاهده».

ضحكت كلارا وقالت: «لم أشاهده».

«إنه مسلٍّ ودقيق في عرض الوقائع التاريخية. يتيح لك الاطّلاع على جوانب كثيرة من حياة العائلة المالكة». قالت لورين، وتابعت: «إضافة إلى أنه من بطولة مات سميث...!».

«هل تشاهدين المسلسل من أجل الممثّل مات سميث أوّلاً؟».

هزّت لورين رأسها فتدلّى بعض شعرها الأشقر المائل إلى لون الفراولة إلى الأمام، وأكّدت: «نعم».

«لا أعرفه، لا أعلم مدى شهرته في الدنمارك»، قالت كلارا، «ينجذب الناس هناك إلى الممثّل فيكو مورتنسن».

«هه. . .»، همهمت لورين.

رفعت كلارا حاجباً وسألت: «هل تقصدين أنك لم تشاهدي فيلم «سيد الخواتم» (Lord of the Rings) قطّ. لقد فاتك الكثير؛ لعب فيكو دور آراغورن».

«ألا يدور الفيلم بمعظمه حول الأقزام والجنّيات؟»، سألت لورين وقد تجعّد أنفها، وأضافت: «لا أهوى مشاهدة مثل هذه الشخصيات».

«إنّه شابّ وسيم ولا يلعب دور جنيّ قزم، صدّقيني».

كان انتباه لورين قد تشتّت بعد أن التقطت من سلّة أمامها إصبعاً إسفنجيّاً ضخماً وأدخلت فيه سبّابتها. ثمّ قالت: «تُرى هل سيطيعني روري أكثر لو حذّرته بهذا الأصبع من القيام بشيء معيّن؟».

«قد لا أكون متأكّدة من النتيجة»، أجابت كلارا، وهي تنظر إلى إصبع لورين العملاقة. ثمّ التقطت من السلّة قبعة بلاستيكية تحاكي خوذة الشرطيّ ووضعتها فوق رأسها، وقالت: «ولكنّ ربّما هذه تفي بالمطلوب».

هزّت لورين رأسها وقالت: «لا شكّ في أنها ستعطيني بعض مظاهر السلطة التي أحتاجها»، ولوّحت بذراعها وكأنها تقوم بتنظيم حركة السير في الشارع، ثمّ سألت: «إذاً، هل تسلّمت مهمّة فتح المتجر؟».

هزّت كلارا رأسها: «إني أمكث في بيت لويزا وأهتم بالمتجر في المقابل».

«يا لها من فكرة لامعة! تقومين بدور الصديقة الفعلية»، قالت لورين وهي تحرّك الإصبع الإسفنجي الضخم.

«أريد فتح المتجر، ولكني أودّ أوّلاً أن أعدّ شيئاً يلفت الانتباه. ولذلك...»، قالت كلارا وشعرت بحرارة الحماسة تعلو إلى خدّيها، فنزعت خوذة الشرطي عن رأسها وتابعت: «وجدت فكرة جيّدة، هل ترغبين في سماعها؟».

تسلّقت كلارا الدرج مساء إلى الشقة بخفّة بعد أن أمضت بقية النهار في المتجر وقد زادها ردّ فعل لورين الإيجابي حماسةً. كانت قد بدأت عمليّة ترتيب البضاعة وتصنيفها ولم تسمح لنفسها بلحظة استرخاء واحدة حتى بدأت معدتها بقرقرة مسموعة ومزعجة مثل لعبة شُدّ خيطها وراحت تدور ولا تتوقّف. ثمّ فتحت باب الشقة بسرعة وأزاحت حقيبة ظهرها الملقاة على الأرض في وسط المدخل من طريقها.

كانت تعلم أنّ عليها ترتيب الشقة ولكن طاقتها في تلك اللحظة لم تكن كافية سوى لإعداد نفسها للنوم.

لا شكّ أنها أخطأت عندما لم تُعِر الببغاء اهتمامها، إذ لم تتأخر الأخيرة عن الصراخ بجملة من القائمة التي تردّدها فيما كانت كلارا تُسرع الخطى إلى الحمام: «هل هذا لأنّي أسود؟ هل هذا لأنّي أسود؟»[1].

وقفت كلارا عند الباب وابتسمت لمشهد المغطس الواسع الذي يقف على أربعة أرجل صُنعت من حديد على شكل حافر حيوان.

---

(1) عبارة اشتُهرت في برنامج Ali G.

كان المغطس مليئاً بالمناشف المستعملة فتحرّكت كلارا بسرعة لتجمع كلّ ما في الحمام والغرفة من مناشف وثياب غير نظيفة في كومة جاهزة للغسيل؛ ثمّ نظفت المغطس وفتحت صنبور المياه الساخنة بعدما فتّشت في الخزائن ووجدت قارورة زيت عطري برائحة الورد فسكبت منه قطرات في شلال المياه المنهمر بغزارة. وريثما يمتلئ المغطس، استخرجت من جيب حقيبتها شمعة صغيرة أشعلتها ووضعتها على حافة الشباك، ثمّ أطفأت المصباح الكهربائي وسَكَنت إلى ظلال نور الشمعة يتهادى ويتمايل بخفة بين الزوايا.

وما إن وضعت قدمها في المغطس حتى أحسّت بنعومة الماء وتنشّقت عطر الورد المتصاعد مع البخار. أما لون الجدران الأصفر فساهم في خلق جوّ عام من الارتياح. وفيما كانت تسترخي وتلقي رأسها على حافة المغطس ضحكت إذ لمحت الهرّ رودي يدخل إلى الحمام بخطىً حذرة ويقفز ليحطّ مرتاحاً فوق كومة الغسيل. أغمضت كلارا عينيها لتستمتع بهذا الحمام الذي افتقدت إلى مثله منذ أكثر من أسبوع، ولعلّه من الأمور التي اشتاقت إليها كثيراً منذ أن تركت بيتها. معظم أمكنة الاستراحة وغرف الفنادق الصغيرة ليست مزوّدة سوى بمرشّة، ولذلك غمرها شعور بالطمأنينة فاسترخت وعاد شريط أحداث ذلك اليوم إلى ذهنها ببطء، فاستعرضت اكتشافاتها والمتجر، والخطط التي تدور في رأسها.

وما هي سوى لحظات حتى انقشع الضباب عن ذهنها، وقفزت فكرة واحدة من بين أخواتها أمام عينيها بقوّة ووضوح، فإذا بها تتحوّل على الفور في الماء إلى وضعية الجلوس، ثم تخرج وتفتّش عن منشفة. خرجت كلارا إلى الغرفة والماء يقطر من شعرها على كتفيها؛ حتى منعها التركيز الشديد على فكرتها من الانتباه إلى وجوب أن تلبس

حذاءً بيتيّاً، أو شيئاً آخر يقي قدميها من البرد. ثمّ انحدرت بسرعة على الدرج وتوجّهت نحو باب المتجر، وكادت المفاتيح تقع من يديها لشدّة حماستها. في تلك اللحظة، كانت كلارا على بيّنة تامّة بما تريد أن تستعرضه في الداخل، وما تنوي تحقيقه.

مشت من أمام الخزانة التي في الزاوية والصندوق حتى وصلت إلى الغرفة الخلفيةَ وفتحت بابها. الغرفة فسيحة جدّاً ولها نافذتان مشربيتان عريضتان ومقوّستان تطلّان على الحديقة الخارجية، وأمامهما في الفسحة المستديرة أريكتان ذات وسائد اختفت معالمها تحت أكداس من الأوراق. أمّا الحديقة فخضراء مع أنّ الفصل شتاء، ومحاطة بسياج من الشجيرات وبأحواض حجرية ما زالت تحوي بقايا عشبٍ وأزهار. وكان في وسط الغرفة طاولة كبيرة انتشر حولها عدد من المقاعد، سارت كلارا حولها بتأنٍّ ومشت حول العلب الكرتونية الفارغة وأشلاء الألعاب المفكّكة تاركةً على الأرض آثار قدميها الرطبتين فيما فكرتها التي بدأت في الحمام كانت تتطوّر وتكتمل. شعرت كلارا بحماسة عارمة عندما اكتملت لديها الفكرة المحورية، فعضّت على شفتها وباتت في أشدّ العجلة لكي ترتدي ثيابها وتبدأ بالعمل.

«لويزا، لويزا».

تجمّدت كلارا عند باب الغرفة الخلفية فيما تردّد الصوت في الأرجاء: «لويزا».

تحرّكت بحذر ومشت نحو مصدر الصوت. وما إن خرجت من باب المتجر إلى مدخل البناء حتى لمحت عيناً في الشقّ الأفقي الضيق في الباب المعدّ لإدخال الرسائل.

«هل هذا أنتِ يا لويزا؟».

همهمت كلارا ولكنها لم تُجب، بل أحكمت وضع المنشفة حول جسمها عندما لاحظت العين تتحرّك في اتجاهها.

«لستِ لويزا»، قال الصوت ليؤكّد أمراً مؤكّداً، وانغلق الباب الخارجي الصغير فوق فتحة الرسائل.

«كلا»، أجابت كلارا، وأحسّت وكأنها بلهاء تتكلّم إلى الباب.

وانفتح الباب الصغير مجدّداً: «من أنتِ، وأين لويزا؟».

أوسع خطّ الكحل العريض محيط تلك العين في حين نجحت نظرات الشك في تضييقها. أحسّت كلارا برغبة ملحّة في الضحك، ولكنها وعلى الرغم من برودة البلاط القارسة تحت قدميها، اقتربت من الباب وشرعت في فتحه.

«انتظري»، قالت كلارا وفتحت الباب لتجد روز واقفةً أمامها تمشط شعرها الأحمر بيدٍ وتضع الأخرى خلف ظهرها.

«شعرك رطب»، قالت لها وهي تشير إلى رأس كلارا بإصبعها، وكأنّ هذه الأخيرة تجهل ذلك.

«كنت في الحمام»، أجابت كلارا وشعرت بغرابة وضعها على عتبة الباب الخارجي لا يغطّي عريها سوى منشفة. لا بدّ أن وجودها أمام تلك المرأة من غير لباس داخلي سيجعلها في موقف ضعيف في تلك اللحظة.

رفعت روز حاجبها المخطّط بقلم عريض، وقالت بلهجة المتعجّبة: «في الحمام؟».

«هل ترغبين في الدخول؟»، قالت كلارا وبها رغبة جامحة إلى الصعود فوراً إلى الشقة لارتداء ثيابها. وفكّرت بطريقة لتسلّق الدرج من غير أن تفاجئ زائرتها بمشهد مؤذٍ.

عقدت روز ذراعيها فوق صدرها وقالت: «أريد أن أتكلّم إلى لويزا».

مكتبة
t.me/t_pdf

«لويزا ليست هنا»، قالت كلارا.

«ومن أنتِ؟»، سألت الضيفة.

قطّبت كلارا حاجبيها وأجابت: «أنا كلارا».

«حسناً يا كلارا، متى تعود لويزا إلى البيت؟».

«متى تعود...»، ردّدت كلارا من غير أن تجيب.

«متى تعود لويزا؟»، قالت روز، فيما وقفت تضرب بأظافر يدها اليمنى فوق باطن يدها اليسرى، معلنةً نفاد صبرها.

«في الحقيقة، سافرت لويزا إلى إسبانيا كما قالت مساء البارحة»، أجابت كلارا.

رفعت روز حاجبيها، قائلةً: «سافرت!؟».

وكأن الخبر أيقظها فجأةً من سباتها، فدخلت بخطوات كبيرة وتسلّقت الدرج تاركةً لكلارا مهمّة إغلاق الباب واللّحاق بها.

وقفت روز في مدخل الشقّة وتقلّص وجهها امتعاضاً عندما رأت الفوضى ومشهد أغراض لويزا في كلّ مكان، وحقيبة كلارا مفتوحة على الأرض، ووبر رودي الأصهب فوق كل شيء آخر.

«أنتِ الحلقة الأضعف، وداعاً»[1]. كانت ليدي كاكا تتبختر في قفصها ناظرةً إلى روز، ثمّ تتوقّف بين برهةٍ وأخرى لتدفع برأسها إلى الوراء وتطلق تلك الكلمات التي حفظتها من برنامج آن روبنسون التلفزيوني. رفعت كلارا كفّها إلى فمها لتكتم ضحكات كادت تخرج

(1) عبارة اشتُهرت في برنامج «الحلقة الأضعف».

منها وتحرجها بالتأكيد، فانزلقت المنشفة فجأةً عن صدرها لتكشف عن أحد ثدييها أمام عيني روز التي كانت قد استدارت في تلك اللحظة بالذات لتنظر إليها.

«يا إلهي»، صرخت كلارا، فيما هرعت إلى إخفاء ثديها تحت المنشفة من جديد. أما الببغاء فما انفكّت تردّد الجملة عينها. «عدم المؤاخذة»، قالت كلارا بتلعثم، من غير أن تنجح جيّداً في إخفاء ضحكاتها، وتابعت بصوتٍ يوحي وكأنها أصيبت فجأة بالحازوقة «كيف يمكنني مساعدتك؟».

«لم توضِحي لي ماذا تفعلين هنا. هل دخلتِ البيت عنوة؟».

حوزقت كلارا مجدّداً، ثمّ أجابت: «عنوة... لا...، لا بكلّ تأكيد». وفي حركة تلقائية للدفاع عن موقعها، شدّت بجسدها صعوداً لتظهر طول قامتها غير اللافت جدّاً في الأساس، وأوضحت: «طلبَت مني لويزا البقاء في شقّتها لكي أهتم بحيواناتها»، مشيرةً إلى رودي الذي التفّ حول نفسه فوق السرير وسط كومة من الأقمشة الأفريقية الملوّنة؛ وإلى ليدي كاكا التي نشطت في التلويح برجلها ونفض جناحيها.

«غير محبوب، غير مرغوب»، قالت الببغاء.

تظاهرت كلارا بأنها لم تسمع الببغاء فيما أحسّت بزوايا فمها تتمغّط لتُطلق قهقهات شقيّة تكاد تفضحها.

«إذاً رحلت لويزا وتركت المتجر ليتآكله الإهمال، أليس كذلك؟».

«لا، لا، في الحقيقة كلّفتني أيضاً أن أفتح أبواب المتجر أمام الزبائن»، قالت كلارا وأحسّت بالحماسة تعود إليها وارتسمت

ابتسامة عريضة على وجهها. وكادت تباشر في شرح فكرتها الأخيرة اللامعة لروز، لأنها آمنت حقّاً بجدوى تلك الفكرة وتريد مشاركتها مع أحدهم.

وما أن همّت بالكلام حتى قاطعتها روز: «ماذا تعنين أنك ستفتحين المتجر؟ لا يمكنك بهذه البساطة فتح المتجر. أرى هذه القصّة مبهمة وغير مفهومة».

عندئذٍ أطبقت كلارا فمها وصمتت.

«أنت تجهلين كلّ شيء عن هذا المتجر. حتى إني أستغرب أن تسلّم لويزا المفاتيح والصندوق إلى فتاة غريبة»، قالت روز ذلك ورمقت كلارا بنظرات اتّهام وكأنّ هذه الأخيرة تنوي النصب والاحتيال.

أحسّت كلارا بالصدمة لدى سماعها ما سمعت، وشعَرت بعدم القدرة على المقاطعة من أجل الدفاع عن نفسها، فتسمّرت في مكانها تراقب روز وقشعريرة بردٍ تجتاح جلدها العاري من لسع الهواء البارد القادم من الباب المفتوح، فيما عمدت الأخيرة إلى اعتلاء إحدى الكراسي المحيطة بمنضدة المطبخ.

«يا له من أمرٍ مهين؛ كفاها سوءاً أنها تركت كلّ شيء وراءها وغادرت. ولكن أن تضع المتجر في عهدة شخص مجهول... شخص غريب عن البلدة وغريب حتى عن إنجلترا...»، قالت روز ورفعت حاجبيها بنزق.

أحكمت كلارا شدّ المنشفة حول جسمها وتساءلت في نفسها: تُرى هل لكنتها الإنجليزية واضحة وتُظهر أنها دنماركية؟ هل ينظر إليها الآخرون كغريبة؟ ثم مرّت في بالها صورة لويزا فيما كانت تدور

حول نفسها في أرجاء الشقة. هل كانت عاجزة عن التركيز في تلك الساعة؟ هل أجبرتها كلارا على اتخاذ قرار متسرّع سوف تندم عليه طوال عمرها؟ وفيما تابعت روز كلامها، شعرت كلارا وكأنّ ثقتها بصوابية ما تفعله تتزعزع.

وتابعت روز: «كنت أنوي أن أناقش معها بعض الأمور... في حال أنها تريد حقّاً التخلي عن المتجر. لن أناقش بالتأكيد مثل هذا الأمر معك. متى ستعود؟».

«أجهل حقّاً ذلك»، أجابت كلارا وهي تشدّ قبضتيها فيما وقفت حافية القدمين تراقب تلك المرأة الوقحة تتبختر في أرجاء الشقة.

وردّت روز على الفور: «هذا معروف عنها؛ لا تفكّر في شيء عندما تنوي الرحيل. إنها ترحل فجأة وتترك كلّاً منا يلملم الحطام خلفها...».

لاحظت كلارا ضوءاً أحمر يلمع فوق طاولة صغيرة خلف روز، وكأنه يعلن جملتها التالية: «والآن تريدين فتح المتجر بمفردك ومن غيرها؟ يا له من تصرّف أخرق! أنت تجهلين جهلاً تامّاً كلّ ما يتعلّق بأذواق وحاجات البلدة». قالت روز.

«لا أظنّ أنّ الأمر يحتاج إلى مخترع صواريخ ليفهمه»، قالت كلارا وشمخت بقامتها صعوداً وهي تُحكم عقدة المنشفة. حبّذا لو كانت ترتدي ثياباً لأخذتها روز على محمل الجدّ أكثر.

شخرت روز، وقالت: «سوف أتركك على ما أنت عليه الآن». ثمّ وضعت قطعة من كاتو الجزر داخل فوطة ورقية من المطبخ، ومشت قائلة من غير خجل: «لا حاجة لها بهذه الحلوى»، وتوجّهت إلى الباب بعد أن نظرت شزراً مرّةً أخيرة إلى كلارا وغادرت.

«سُررت برؤيتك، برؤيتك سُررت[1]، يا أبله»، صرخت ليدي كاكا بصوتٍ حادّ.

وما إن سمعت كلارا صوت إغلاق الباب الخارجي حتى هرعت إلى غرفة النوم تجفّف شعرها وترتدي كلّ ما لديها من ثياب تُشعرها بالدفء فيما تردّدت في رأسها أصداء ما حدث. . . يا لها من امرأة مزعجة ولا عجب أنها على غير وفاق مع لويزا؛ إنها سيئة حقّاً! لا لن تتراجع عن خطّتها بسبب هذه السيّدة.

وفيما همّت بارتداء كنزتها الصوفية الفضفاضة، جذب انتباهها وميض الضوء الأحمر فوق الطاولة الصغيرة مجدّداً. وما لبثت أن اكتشفت مصدره وهي آلة تسجيل الرسائل وهي من طراز قديم، وموصولة بشريط يدخل إلى درج الطاولة المفتوح قليلاً حيث يوجد الهاتف الضائع. قرأت كلارا على الشاشة الصغيرة الرقم الذي يشير إلى عدد الرسائل المسجّلة وهي ثلاثة. لا شك أنها وصلت في أثناء وجودها في المتجر. وما إن ضغطت على الزر حتى انطلق صوت ذكوري جهوري. إنه الصوت الواضح والواثق نفسه الذي سمعته عندما اتصلت برقم جو من هاتف غافن قبل ساعات، باستثناء أنه اكتسب الآن حدّةً وتوتّراً.

ولعلع صوت ليدي كاكا: «سيّد المنزل، سيّد المنزل، جزيرة الحبّ جو»[2]. وبصعوبة استطاعت كلارا فهم الجمل الأولى من الرسالة مع أنها تبيّنت اللهجة المستنكرة التي صيغت بها.

«لا أعلم مَن تكونين، ولكن لا يمكنك بكلّ بساطة ترك رسالة

---

(1) عبارة اشتُهرت في برنامج The Generation Game.

(2) عبارة اشتُهرت في مسلسل Love Island.

تقولين فيها إنك تسكنين الآن في شقّة أمّي بعد أن دفعتِ بها إلى السفر. لم أتمكّن حتى الآن من التكلّم إليها. وتقولين إنك ستفتحين أبواب المتجر في غيابها؟ إننا لا نعرفك و...». واستمرّت الرسالة في التهجّم. ولكن كلارا كانت قد سمعت ما يكفي عندما أرخت جسدها إلى إحدى الكراسي، وخفضت رأسها فوق صدرها، وتدلّت ذراعاها على جانبي الكرسي مثقلتَين. وفيما استمرّ الصوت يصدح في أرجاء الغرفة، سيطر على كلارا شعور بالحزن وتساءلت: «هل الكلّ لا يريدها هنا؟» ثمّ فكّرت في ردّ فعل لورين وغافن، وبالألعاب في الطابق السفلي، وبالأفكار التي لديها. الأمر لا يدعو لليأس كلّياً. لقد تعرّفت إلى البلدة ووجدت أن هناك ما يستدعي التغيير. وهي تريد المساعدة وتجد أنّ من واجبها تقديم المساعدة. ثمّ رفعت رأسها وتكلّمت بصوتٍ عالٍ:

«لا، لن أستسلم بهذه السهولة».

وجاءت صرخة من الأعلى لتضيف: «هل تشعر أنك محظوظ يا وغد؟ هل تشعر؟»[1].

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Dirty Harry.

الفصل السادس

قذف جو بهاتفه الخليوي إلى الطاولة. لا جواب، وكان قد ترك رسالة أخرى. ماذا قصدت أمّه بهذا الرحيل المفاجئ؟ كيف تغادر بهذه الطريقة ومن غير إنذار مسبق؟

رفع إبهاميه إلى رأسه وفرك صدغيه لعلّه يتمكّن من التركيز أكثر على شاشة الكمبيوتر أمامه. كان انعكاس المنظر الخارجي في زجاج النافذة المقابلة يُظهر البيوت والأبنية اللندنية المضاءة؛ ويبدو الناس المتجوّلون في الشوارع في هذا الجزء من شرق المدينة متدثّرين بالمعاطف الشتوية اتّقاءً للبرد. وفيما يدخل بعضهم إلى الحانات، يتّخذ آخرون وجهة المطاعم. ثمّ نظر إلى انعكاس صورته في الزجاج وكان قد فكّ ربطة عنقه ورفع كمّي قميصه، وبدت سترته التي كان قد علّقها على ظهر الكرسي. جلس جو وراء مكتبه وشعر بتعرّق وجهه عند محيط الشعر ولا عجب، فدرجة حرارة المكيّف المركزي في المبنى استوائية بأقلّ تقدير.

سيصل فريق عمله إلى المكتب في أيّ لحظة وكان قد طلب

للجميع عشاء فاخراً يتناوله كلّ منهم فوق مكتبه. الكلّ مدعوّ إلى العمل طيلة هذه الليلة وإلى مراجعة أدقّ التفاصيل بشأن العرض الذي سيقدّمونه غداً صباحاً. الشركة بحاجة إلى ربح هذه الصفقة الضخمة. تخيّل جو شيك العلاوة الذي سيقبضه بعد أسابيع، والزيادة التي ستطرأ على أرقامه بعد نجاح الصفقة.

ثمّ انتبه إلى أزيز مصباح النيون المستطيل الذي ينير مكتبه، وإلى عدد الحشرات الطائرة التي جذبها فوقعت وتيبّست. وفكّر بأن مثل هذا المشهد المقزّز لا يليق بمكتبه الفخم فعزم على استدعاء قسم الصيانة للاهتمام بالأمر فوراً. لا بدّ أن الجميع ما زال هنا فلِمَ التأجيل إذاً؟ مدّ جو يده إلى سمّاعة الهاتف الداخلي ليطلب موظّف الاستقبال الذي سيحوّل المخابرة إلى قسم الصيانة. من الطبيعي أن يأتي الموظّف جارياً إذ إن تجاهله لطلب مدير إداري قد يكلّفه وظيفته وأكثر. مجرّد التفكير في مثل هذه الأمور الصغيرة يُشعِره بالرّضا والاعتزاز.

ثمّ دخلت السكرتيرة باميلا واقتربت من مكتبه قائلةً: «انتهيت من إعداد كلّ الملفات المتعلّقة بعمليّة الدمج مع شركة هاش، ودمغت كلّ الرسائل التي ستُرسل في البريد غداً صباحاً». ثمّ رمت نظرةً على معطفها الملقى على مكتبها قبل أن تتابع: «وإن كان هذا كل شيء. . .».

عاد جو بظهره إلى الوراء والقلم بين شفتيه، وقال: «قمتِ بتوضيب كلّ الملفّات، وطباعة دقائق الاجتماع الذي جرى اليوم، كما قمت بمراجعة تقرير مرسر الذي سيقدّمه إلى آندرو - قد يحتاج إلى المراجعة ثلاث مرّات. . .».

هزّت باميلا رأسها بالإيجاب على كلّ جملة من غير أن تتمكّن

من عدم النظر إلى معطفها ثانيةً. إنّها هنا منذ الصباح الباكر إذ وصلت إلى المكتب بعد وصول جو مباشرةً. يعلم جو أنّ عليه السماح لها بالخروج، ولكنه يشعر بالتوتّر إذ يجب أن يتمّ تحضير كلّ شيء على أكمَل وجه. وجود باميلا يريحه؛ فهي تذكّره بشخصية الأم ويمكنه الاعتماد عليها.

«احضري غداً في ساعة مبكرة. سوف نبقى هنا طيلة الليل وستكون بانتظارك أوراق إضافية للمراجعة. عند الخامسة صباحاً، ما رأيكِ؟ يمكنني أن أرسل لك سيارة غداً أيضاً».

أثقلَ الشعور بالإرهاق وجه باميلا فجأةً، ولاحظَ جو أنّ خطوط الشيخوخة باتت أكثر ظهوراً حول عينيها وتنبّه إلى الشيب الذي بدا واضحاً عند صدغيها تحت نور المصباح. هزّه المشهد وتذكّر فجأةً ما أخبره ماتيو به في الصباح بشأن حفيدها الجديد. حريٌّ به أن يحدّثها عنه، وأن يسمح لها بالعودة إلى بيتها في وقتٍ مبكر بعد انتهاء الدوام ليتسنّى لها قضاء بعض الوقت مع عائلتها، ولكن ضغوط العمل لا تسمح في هذه الأيام.

«شكراً، السيارة مهمّة لأنّ القطارات لا تسير في مثل هذه الساعة المبكرة»، أجابت باميلا.

هزّ جو رأسه بقوّة، وقد ارتاح لمشاهدة نصف أفراد فريقه وقد وصلوا في المصعد بعد باميلا مباشرةً.

«مرسر، آدامز، هل لديكما شيء تقولانه إلى باميلا قبل ذهابها؟»، سأل جو بسرعة. أمّا باميلا فاستدارت نحوهما وربّما كانت متوجّسة من الإجابة التي قد تسمعها.

نظر مرسر، وهو ممتلئ الجسم وطافح الخدّين وسريع النكتة،

إلى باميلا قائلاً: «لا شيء من جهتي، انطلقي ولتكُن ليلتك سعيدة في الهواء الطلق».

أما آدامز، وهو نحيل وهادئ ويرتدي نظارة مزدوجة العدسات، فهزّ برأسه متوجّهاً إلى باميلا التي سرعان ما احمرّ خدّاها، قائلاً: «شكراً باميلا لمكوثك حتى هذه الساعة المتأخرة».

ودّعها جو بإشارة من يده وأضاف: «سوف تعودين اليوم إلى البيت بالسيارة». ثمّ التفت إلى مرسر وآدامز ليقول: «طلبتُ العشاء من مطعم نوبو إلّا أن الأطباق لن تكون كلها سوشي وكافيار؛ بانتظارنا عمل ننجزه».

خفتَت ابتسامة مرسر، وقال فيما كان يخلع سترته: «طبعاً لا، حضرة المدير».

وقال آدامز بعد أن فتح شاشة حاسوبه: «سأخرِج الأرقام التي توصّلت إليها سابقاً...».

نظر جو إليهما وشعر بالارتياح، وقال في نفسه إنه لم يطلب من فريقه البقاء هذه الليلة خوفاً من الوحدة، بل لأن الصفقة مهمّة وقد يتسلّل مصرفٌ آخر ويخطفها من أمامهم. ولكنّه لم يتمكّن من حبس ابتسامته عندما نظر إلى الزجاج ورأى الرؤوس الثلاثة أمام شاشات الحاسوب، واستأنس لسماع أصوات في الغرفة.

الفصل السابع

شعرت كلارا أنها بحاجة ماسّة إلى الخروج إذ لم تتوقّف طيلة ساعة كاملة عن التكلّم إلى نفسها، وعن دمدمة الشتائم بلغتها الدنماركية كلّما استعادت في رأسها حديث روز المؤذي. ثمّ لفّت شريط التسجيل إلى الوراء، وسمعت رسالة جو من جديد. ارتدت معطفها واندفعت خارجاً إلى الشارع العريض وسارت تتنشّق الهواء البارد وتضرب على الإسفلت بخطّى غاضبة.

وفيما كانت تبتعد عن متجر الألعاب وتسير باتجاه المكان الوحيد الذي ما زالت أبوابه مفتوحة ونوافذه مضيئة، لاحظت لأول مرّة مصابيح الشارع ذات الطراز القديم وضوءها البرتقالي السابح في المحيط الرّمادي. وما إن دخلت إلى الحانة حتى اعتراها العجب، فالمكان خالٍ من الزبائن تماماً. الموقد الضخم قد تمّ تنظيفه ولكنّه ما زال مطفأً، والطاولات قد جرى تلميعها ولكنها فارغة من الأكواب وحتى من الصحون الكرتونية الصغيرة التي توضع تحتها لحماية سطح المشرب من الرطوبة، والأكواب من الانزلاق.

ثمّ ظهر غافن على الدرج المؤدي إلى الطابق الثاني، وكان يدندن لحناً، وما لبث أن توقّف عندما لاحظ وجود كلارا عند عتبة الباب.

«تبدو مبتسماً، أين كنت؟»، بادرته، وقد شعرت بالارتياح لحظة رؤيته. يوحي وجه غافن بالانفتاح على الآخرين، وخدّاه المتورّدان يذكّرانها بوالدها في الدنمارك. يجب أن تكتب رسالة إلى والدها، فكّرت كلارا، فهو يحبّ من وقتٍ لآخر الاطمئنان عليها مع أنه شديد الانشغال بأختيها التوأم الصغيرتين من زواجه الثاني.

خفتت ابتسامة غافن على الفور ونظر بسرعة إلى الوراء. «لا مكان»، أجاب وأغلق باب السلّم بقوّة خلفه فأرعدت ضجّته سكون الحانة.

ذُهلت كلارا ووقفت تفتّش بين الكلمات التي تلفّظت بها للتوّ عن سبب انقلاب مزاج غافن المفاجئ.

«لن تنامي هنا الليلة، أليس كذلك؟»، قال غافن وتابع: «لا شيء، ولكن لم يتمّ تنظيف الغرفة بعد، والغرفة الأخرى...»، لم يكمل جملته وشعرت كلارا بالارتباك. ألم يؤكّد لها في السابق أنّ لديه غرفة واحدة في الطابق الثاني لا غير.

تقدّمت كلارا بخطوات حذرة إلى الداخل وسألت: «الغرفة الأخرى؟».

«ليس هناك غرفة أخرى، كنت أعني...»، ولاحظت كلارا ظهور بقعة حمراء على رقبته فوق رأس الوشم الذي كانت قد لاحظت ما يشبهه على ذراع غافن في السابق، ولم تتمكّن من فهم ما يمثّل بوضوح.

«لا بأس، لن أنام هنا»، قالت، ويبدو أن تلك الجملة بالذات ذكّرت غافن بمكان وجود كلارا طيلة النهار.

«تمهّلي، لماذا أنت هنا الآن؟ أليس لديك منزلٌ تمكثين فيه، ومتجرٌ تهتمّين به؟»، قال.

وكانت كلارا قد قفزت لتجلس فوق إحدى الكراسي أمام المشرب، وشرعت تدقّ بإظفرها على سطحه فيما دخل غافن إلى مكانه المعتاد خلفه وعيناه عليها.

هزّت برأسها مجيبةً عن سؤاله: «نعم، لديّ ذلك».

«إذاً؟».

صمتت كلارا برهةً وأخذت نفساً عميقاً، ثمّ تسارعت الكلمات على لسانها: «هل تظنّ أن لويزا تريدني حقّاً في بيتها وفي متجرها؟».

قطّب غافن حاجبيه وقال: «طبعاً تريدك. ألم تعطِك المفاتيح بنفسها؟».

«نعم فعلت»، وعادت تدقّ بإظفرها على سطح المشرب، غير أنّ شكوكها بدأت تتراجع. لم تخطئ في فهم لويزا وغافن على حقّ. ولكنها تابعت: «كنت قلقة من احتمال أن أكون قد دفعتُ لويزا عنوة إلى اتّخاذ هذا القرار».

شخر غافن وأجاب: «لقد تعرّفتِ إلى لويزا، لا يمكن دفع هذه المرأة إلى اتّخاذ قرار لا يرضيها. لم تتوانَ هذه المرأة ذات مرّة عن اللّحاق بالمستشار الحكومي إلى آخر الشارع لتضربه بالمظلّة».

ضحكت كلارا.

«ماذا حدث؟»، سأل غافن، وأضاف: «في البداية كنت متأكّدة من كلّ شيء، والآن تتكلّمين بهذه الطريقة؟».

عضّت كلارا على شفتها؛ لم تشأ أن تنقل إليه كلام روز، ولا فحوى رسالة جو، فاكتفت بالجواب: «لا شيء سوى بعض القلق غير المبرّر لا غير».

سحب غافن على الفور كوباً من خزانة المشرب وأسقط فيه كميّةً من الثلج واستدار ليملأه بالليموناضة. «تفضّلي»، قال لها، «هذا لك على حساب المحل»، أضاف.

نجح تصرّف غافن اللطيف إلى حدٍّ بعيد في تحسين مزاجها. يبدو وكأنها كادت تنسى أن هناك أيضاً أناساً يهتمّون لأمرها. شكرته وشربت قليلاً وراقبته فيما كان يربط مريوله وينحني ليملأ واحداً من البرّادات الصغيرة بزجاجات البيرة، فانتبهت إلى الخشخشة والصلصلة كلّما تلامست القناني أو ارتطمت ببعضها في أثناء عمليّة رصفها. أحسّت كلارا باسترخاء في جسدها، وبحلو الليموناضة يجري في عروقها ويجدّد طاقتها.

كانت على وشك أن تسأل غافن عن الشجار الذي حدث ليلة البارحة وعن حكاية لويزا وروز عندما انفتح الباب واندفعت منه إلى الداخل موجة الهواء الجليدية التي لفّت حول المشرب كالزوبعة. تمنّت كلارا لو كان الموقد الضخم مشتعلاً، أو على الأقلّ، لو كان جهاز التدفئة الكهربائي مضاءً. ثمّ سمعت صوتاً وأحسّت وكأن قبضةً باردة أمسكت بأحشائها.

«أنتِ أيضاً؟»، قال الصوت.

التفتت كلارا قليلاً إلى الوراء آملةً أنّ ما سمعته ليس سوى من أعمال مخيّلتها. ولكنّ الأمر كان حقيقةً؛ ها هي روز ثانيةً بتعابيرها المريبة وشفاهها المصبوغة بالأحمر الداكن، وترتدي معطفاً طويلاً أسود يجعلها تبدو وكأنها الموت بذاته. «كنت على وشك

الانصراف»، قالت كلارا، وتعثّرت في النزول عن الكرسي فارتطمت ركبتها بحافة المشرب، ودمدمت بلغتها الأم: «أوه لورت»، ما معناه: «يا للقرف!».

«ماذا تقولين عني؟»، سألت روز، وما زالت عند عتبة الباب المفتوح تقف بمعطفها المغلق بالأزرار حتى عنقها.

«لم أقل شيئاً، قلت كلمة تافهة بالدنماركية، ولكن ليس لكِ، بل لركبتي».

«لا أعرف ماذا تعني هذه الكلمة، ربّما. . .».

«هيّا روز، لا تعقّدي الأمور»، قال غافن.

«ظننت أنها ستكون قد غادرت البلدة»، قالت روز مستخدمة ضمير الغائب، وكأن كلارا لم تكن موجودة.

زمّ غافن شفتيه، وقال: «يبدو أن نقاشاً جرى بينكما من قبل، أليس كذلك؟».

وجدت كلارا نفسها تتأمّل في تفاصيل السجادة التي تغطّي الأرض، وتلاحظ رسومها الملوّنة، وخيطانها المتباعدة والرثّة في بعض الأماكن؛ ثم تجول بعينيها بين أرجل الكراسي والمقاعد، لأنها وبكلّ بساطة غير مستعدّة لحمّام جديد من الإهانات من جانب روز.

«أكملي شرب اللّيموناضة»، قال غافن بلهجة آمرة لم تسمعها منه سابقاً. استعادت مكانها على الكرسي ولكنها، وعلى كلّ حال، لم تكن راغبة بالخروج لكي لا تمرّ من أمام روز التي ما زالت تربض عند الباب. «والآن ماذا عنك يا روز، هل ستدخلين أم تغادرين؟»، سألها.

«لا أشعر بالعطش»، قالت روز، واستدارت لتعود على

أعقابها. اشتدّ صوت الريح عندما فتحت المرأة الباب لتخرج، كما تراجعت دمدمة غافن مع انغلاق الباب أخيراً وراءها.

وقع الصمت وكأنّ كلّ ما في الغرفة كان حابساً أنفاسه، حتى عضّت كلارا على شفتها ونظرت إلى غافن. وقالت: «في صدد الإجابة عن سؤالك عمّا إذا كان نقاشاً قد جرى بيننا. . .».

وشرعت كلارا تخبر غافن عن كلّ ما جرى -زيارة روز، ورسالة جو- بينما ملأ كوبها باللّيموناضة مجدّداً وأضاف إليه قليلاً من الفودكا. «أظن أنها تريد التكلّم إلى لويزا حول موضوع معيّن ولكنها ترفض الكلام إليّ بشأنه».

تنهّد غافن وأخذ عدداً من الأسطوانات الكرتونية الواقية ووزّعها على المشرب. «تحاول الاستحواذ على المتجر منذ سنين عديدة، ولكن لويزا لا تعيرها اهتماماً. تريد روز التخلّص من وجود لويزا بأيّ ثمن؛ وكما ترين فإنهما لا تتفقان أبداً. . .»، قال غافن.

«نعم. . .، لاحظت هذا الأمر»، قالت كلارا وتسلّلت ابتسامة إلى شفتيها. وتابعت: «والمهرجان القروي، ماذا حدث في المهرجان؟».

«آه، ذلك»، قال، ثمّ توقّف عن الحركة وتابع: «كان ذلك سيئاً مع الأسف. حدث خلاف حول نتيجة التحكيم بالنسبة إلى المسابقة التي تنتهي إلى اختيار قالب الحلوى الأكثر طراوة وقد خسرت روز، وحمّلت لويزا التي كانت في لجنة التحكيم، والتي التزمت بمعايير الدقّة إلى أقصى الحدود، مسؤولية تلك النتيجة التي اعتبرتها غير منصفة. وكان هناك قريباً من مكان وجود المرأتين عددٌ من رؤوس جوز الهند، فراحت الاثنتان تتراشقان بها. . .».

«يا إلهي!»، قالت كلارا.

«نعم، وكان المشهد لافتاً للغاية. تصوّري كم إنّ روز نحيلة، ولكنّ ذراعها قويّة للغاية. أمّا سبب الخلاف فلا يعود إلى هذه الخسارة تحديداً، بل كانت المرأتان تتصالحان وتتخاصمان لأسباب شتى طيلة سنوات. فتارةً تتشاجران بسبب مشاريع لم تحظَ بموافقة المجموعة ولم تستمرّ؛ وتارةً أخرى، يحتدم الخلاف بينهما حول بضعة أمتار من الأرض عند الحدود الفاصلة بين حديقتيهما؛ أو بسبب رجل تحاول كلّ منهما جذب اهتمامه...». وضحك عندما وصل إلى هذا الجزء، ثمّ تابع: «كان الخلاف في المهرجان مجرّد انفجار فعليّ لما كان قد تراكم بينهما عبر السنين». ثمّ انحنى ناحية كلارا وهمس: «لا تأبهي لكلّ ذلك يا كلارا، كنتِ في غاية الحماسة أوّلاً فلا تدعي روز تُحبط عزيمتك. ليست روز في الواقع سيئة جدّاً، فهي ضوضائية وإنما غير مؤذية. المشكلة تكمن في أنها تريد أن تجري الأمور كلّها وفق ما تراه هي نفسها مناسباً».

«إنها لا تحبّني»، قالت كلارا شاكية.

«وستكون الخاسرة»، أجاب غافن ضاحكاً. ثم بدا وكأنه تذكّر شيئاً فجأةً، فجفّف يديه بمريوله واتجه إلى مكان الصندوق حيث كان هاتفه الخليوي، وفتحه لكي يُريها رسالة من لويزا. وقال: «هذه رسالة وصلتني اليوم من لويزا، اقرأي ما كتبت». وقرأت كلارا: **لقد وجدتُ مساعِدَة رائعة لتهتمّ بليدي كاكا ورودي في أثناء غيابي. سوف تسكن في البيت وتفتح أبواب المتجر. أرجو أن تزورها بانتظام لأنّ الفتاة المسيكنة قد تشعر بالوحدة. وإن كان باستطاعة أحد القيام بهذه المهمّة فهي كلارا بلا شكّ.** ابتسمت كلارا واحمرّت وجنتاها لدى قراءة كلمات الإطراء.

«وجدت لويزا الكلمة الصحيحة التي تبدأ بحرف «س» وجمعت

اثنتين وأربعين نقطة»، أضاف غافن، ونظر بعطف إلى الهاتف ثم أغلقه وأعاده إلى مكانه إلى جانب الصندوق. «أترين لماذا لا يمكنك الذهاب؟ لقد وعدتِها وهي تعوّل على وجودك».

«ولكن ماذا بشأن جو؟ لقد قال في رسالته. . .»، استوضحت كلارا.

وإذا بغافن يرفع يده على الفور مقاطعاً: «لا، لا، هذا القرار لا يتعلّق بأحدٍ سوى بلويزا. هي نفسها تريدكِ هنا وهذا هو القرار النهائي».

وقبل أن تتلفّظ بكلمة، سألها غافن باقتضاب: «والآن، هل أنتِ نفسكِ ترغبين في البقاء لفترة معيّنة؟».

هزّت كلارا رأسها إيجاباً.

«وهل تودّين فتح المتجر؟»، أضاف.

تنشّقت نفساً سريعاً وفكّرت بالخطّة التي رسمتها للمتجر، ثمّ أجابت بهزّة رأس إيجابية من جديد.

«إذاً المشكلة محلولة»، وضرب كوبه بكوبها مضيفاً: «سوف تمكثين هنا».

ثمّ ظهرت امرأة عند أسفل الدرج، شعرها مربوط إلى الخلف بوشاح خاصّ، وتوجّهت إلى غافن قائلةً: «أعدتُ كلّ شيء إلى مكانه كما قلت لي. كل شيء. . .».

«عظيم»، قال غافن واندفع نحوها مقاطعاً كلامها، وأضاف: «لا شك عندي بذلك».

نظرت إليه المرأة باستغراب، وقالت: «حسناً سوف أراك في الأسبوع القادم وفي الوقت نفسه». ومشت نحو الباب.

هزّ غافن رأسه بسرعة وردّد: «نعم في الوقت نفسه، في الوقت نفسه».

أصغت كلارا إلى هذا الحوار الغريب بصمت. كان تأثير الفودكا قد صعد إلى رأسها؛ أمّا الطعام فشعرت أنه بات أمراً من الماضي. وتساءلت في صمتها: «من تكون هذه المرأة؟ وما الذي فعلته في الطابق الثاني؟».

كان وجه غافن شديد الاحمرار عندما عاد إلى المشرب بعد أن مشى مع المرأة، ووقف معها برهةً خارج الباب، ولاحظت كلارا أنه أعطاها شيئاً قبل أن تذهب. كانت كلارا على وشك أن تطرح السؤال حول كلّ ذلك، ولكن ما لبث السؤال أن تجمّد على لسانها أمام تعابير وجه غافن.

«حسناً، يجب أن أذهب الآن»، قالت بعد أن دفعت بالكوب بعيداً عنها ونزلت عن الكرسي.

لم يرفع غافن رأسه لينظر في عينيها، بل راح يمسح سطح المشرب الذي كان نظيفاً.

«أشكركَ على كلّ كلمة قلتها لي، أشكركَ على كلّ شيء»، قالت كلارا آملةً في أن يرفع عينيه إليها ويبتسم من جديد.

ومن غير أن ينظر إلى وجهها سوى برمشة سريعة، أجاب بصوتٍ خافت: «لا بأس»، ثمّ رفع رأسه ونظر أخيراً إلى عينيها، وقال: «من دواعي سروري أن تعودي إلى هنا قريباً».

محَت كلارا في التوّ تعابير الحيرة عن وجهها، وأجابت: «سوف أعود بالطبع. وسأنتظر زيارتك إلى المتجر. تعالَ بعد يومين، موافق؟ تعال بعد يومين ولديّ مفاجأة لك».

مشت كلارا بسرعة، والفكرة وراء الموعد مع غافن بعد يومين جعلت طريق العودة أسهل. دخلت إلى المبنى وذهبت مباشرة إلى المتجر وسارت إلى حيث كانت هناك أرقام خشبية كبيرة وأخذت الرقم «اثنين» ووضعته في نافذة العرض وهي تبتسم.

غداً سيبدأ كلّ شيء، قالت كلارا لنفسها فيما صعدت الدرج. غداً، سوف تفرغ حقيبتها وتنظّف وترتّب الشقة وتفعل كلّ شيء. لا تريد التفكير بروز، ولا بأيّ كان لا يرغب في وجودها هنا. سوف تجتهد وتصنع فرقاً. لم تلتفت إلى مكان الهاتف، ولم ترَ وميض الضوء الأحمر الذي يُظهر رقم الرسائل التي سجّلها المجيب الآلي وهي «أربعة».

كادت على وشك الاستسلام للنوم العميق عندما اخترق السكون فجأةً صوتٌ رفيع يقول: «أيتها البلهاء الغالية!» ففكّرت أنّ ليدي كاكا على الأقلّ كانت مرتاحة لوجودها.

ليست «زي» كلمة حقيقية يا غافن. ولمَ تختار لنفسك دائماً أحرف مثل «ز» و«ك» و«ج» وتترك لي ستة أحرف صوتية لا أعلم كيفية استخدامها؟

أعتذر أني غادرت بمثل تلك السرعة وإنما لم يكن بإمكاني البقاء. علمت أنك كنت ستقنعني بالبقاء فيما أشعر أني بحاجة إلى الهروب. إني في منتهى السرور لأنّ كلارا التزمت الاهتمام بالشقة. ليدي كاكا تحب وجود الناس حولها، وربّما تلتقط شيئاً من اللغة الهولندية...؟ لا شك أنّ رودي لم يلاحظ التغيير الذي حدث. أرجو منك أن تؤكّد لكلارا بأنه يعشق سمك السلمون مع صلصة الفلفل الحلو وهناك الكثير منه في الثلاجة.

مدريد مدينة صاخبة وأنا في وسط كلّ شيء. هناك العديد من المخازن والمجمّعات التجارية والسياحية والمقاهي المنتشرة على الأرصفة والتي تقدّم المأكولات الإسبانية الخاصّة التي تسمّى «تابّا». أكلت كمية هائلة من البابيلا منذ وصولي البارحة حتى بتّ أشعر وكأني تحوّلت إلى كائن نصفه امرأة ونصفه الآخر «قريدسة».

أمشي منذ وصولي في الطرقات وفي كلّ الاتجاهات حتى بدأت أشعر بالإلفة مع هذه المدينة. أما معارض الرسم

فقصة أخرى، إنها ضرب من الخيال. أعشق كلّ أنواع الفنون ولكني بتّ أقنع نفسي بأنّ عليّ التدرّب مجدّداً على الرسم السريالي. ربّما يتماشى هذا الأسلوب في الرسم مع شخصيتي. تعلم كم أحبّ المغامرة والاختبار في المطبخ وأشعر بأن فنّ الطهي يشبه الرسم. ما من أحد كان يتصوّر أنه يمكن لشرائح اللّحم المقدّد والفطر والشوكولاتة أن تجتمع معاً حتى أطلقت وصفتي المشهورة التي دعوتها: «مفاجأة الشوكولاتة». شاهدت لوحات عديدة للفنان الإسباني المشهور غويا، ولكنّها تبدو مظلمة ومخيفة، ولذلك أظنّ بأني سأتمسّك برسم أسماك الكركند التي تبدو كسماعات الهاتف، ورسم رجال وجوههم كالتفاحة.

أكتب إليك من مقهى إلى جانب الفندق حيث أمكث وإني أدّخن الآن النارجيلة! ولكن هدّئ من روعك ولا تُصَب بسكتة قلبية، فمدريد ليست أمستردام. سوف أصعد بعد قليل إلى غرفتي. لديّ شرفة صغيرة يمكنني الجلوس فيها والاستمتاع برؤية المارّة، فكثيرون من بينهم يشبهون هيثكليف[1] بسمرتهم الجذابة ورومنسيتهم، وحول ذراع كلّ منهم تلتفّ ذراع امرأة جميلة. سوف أتأنّق وأنزل لأقضي الليل وأتسلّى على أرصفة المدينة.

---

(1) شخصية ذكورية معروفة في قصة إميلي برونتي مرتفعات وذرينغ (*Wuthering Heights*)، هيثكليف شاب وسيم وذو بشرة داكنة.

الفصل الثامن

قبل أن تنام في سرير لويزا، كانت كلارا قد بدّلت الشراشف، أما اللّحاف الدافئ الجديد فكان يفوح منه عطر صابون الغسيل برائحة الخزامى، والوسائد المحشوة بريش البطّ فهي وثيرة للغاية. وعندما اكتشفت وجود غطاء من صوف الكشمير الناعم جدّاً في أعلى الخزانة أنزلته ووضعته فوق اللّحاف. ثمّ أضاءت شمعة على الطاولة إلى جانب السرير، واستخرجت كتابها الشيّق من جيب حقيبتها وجلست في السرير تحت الأغطية بدفء وسلام لتقرأ. ولكن وعلى الرغم من هذا الجوّ المريح الذي خلقته من حولها، فإنها لم تنم نوماً عميقاً نتيجة الأفكار التي ما فتئت تراودها، وصورة وجه روز الساخط وكلمات غافن اللطيفة. كلّ ذلك كان يطاردها ويطرد من عينيها النعاس بصورة مستمّرة.

وما إن تسلّلت أشعة الشمس الأولى عبر الستائر حتى استيقظت كلارا وتثاءبت، فنظرت إليها ليدي كاكا مشمئزة فأغلقت هذه الأخيرة فمها للتوّ. ثمّ جلست بجوربيها الصوفيين مع كوب من القهوة الدافئة

بين يديها تفكّر وتخطّط برنامجها لذلك النهار. وعلى أنغام الموسيقى الأميركية الريفيّة المنبعثة من آلة التسجيل، باشرت في ترتيب الشقة: أخرجت ثيابها من الحقيبة ووضعتها في الخزانة بعد أن أبقت جانباً تلك التي تحتاج إلى الكوي. نظّفت المطبخ والحمّام ومسحت الغبار عن الأرض وعن المفروشات ولمّعتها حتى بدا كل ما في الشقّة نظيفاً وبرّاقاً. أخيراً، وعندما توقّفت عن العمل، شعرت كلارا بذراعيها منهكتين، وبمعدتها تقرقر، وأحسّت أنها بحاجة إلى الاستحمام.

ما إن خرجت من الحمّام حتى غمرها شعور بالارتياح إذ بدت الشقة أوسع، ورائحة المواد المعقّمة تتسرّب بلطف وتتغلّب على كلّ ما سواها. فكّرت كلارا أنها ستضيف إلى الشقة لاحقاً بعض لمساتها الخاصّة. ثمّ وضعت ما تبقّى من حلوى الجزر في فمها وقرّرت أن تذهب لشراء بعض المواد الغذائية.

رفعت ليدي كاكا عيناً إليها فيما كانت تقترب من القفص، وبدت متوتّرة عندما مدّت كلارا يدها إلى أعلى القفص لتحمله.

«تعالي يا رفيقتي»، قالت لها كلارا بلطف، وقد قرّرت أخذها إلى المتجر معها لكي تأنس بوجودها.

«سوف أعود»[1]، قالت ليدي كاكا.

نزلت كلارا والقفص بيدها إلّا أنها فوجئت بوزنه الثقيل إلى حدّ معيّن، وشعرت بحركة ليدي كاكا داخله وخصوصاً كلّما نفّضت هذه الأخيرة جناحيها.

«لا مكان يضاهي المنزل»[2]، ردّدت الببغاء.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Terminator.

(2) عبارة اشتُهرت في فيلم The Wizard of Oz.

«ولن أبعدكِ عنه»، قالت كلارا بعد أن وضعت القفص أرضاً أمام باب المتجر وإنّما في اتجاه الدرج.

وراحت الببغاء تردّد جملتها المعتادة: «غير محبوب، غير مرغوب».

«سوف نتسلّى»، قالت لها كلارا وصعدت إلى الشقة مجدّداً لكي تحاول إغراء رودي بصحن جديد من الطعام لكي يوافق على النزول هو أيضاً.

كان الهرّ قد انتقل من السرير إلى السجادة وإلى السرير مجدّداً من غير أن يبدي اهتمامه بأيّ شيء آخر. لم يُغْرِه الطعام، فوجدت كلارا كرة من خيطان الصوف وحاولت جذبه إليها. لكنه لم يتحرّك ونظر إليها وكأنه يقول هازئاً: «أتظنّين أني أحمق؟ هذا صوف - افعَلي شيئاً مفيداً في حياتك»، ثمّ انقلب على جنبه الآخر ليسمّر نظره على موقد الحطب الفارغ. فما كان أمام كلارا سوى أن تحمله وتنزل به حتى باب المتجر. إلّا أن ليدي كاكا وحدها كانت قادرة على دفعه إلى الحركة فما إن وقع نظره على القفص حتى جفل وقفز إلى داخل المتجر فأصابَ ذراعيها بالخدوش. ولكنّه وما إن لاحظ أن كلارا تتبعه والقفص بيدها، أصابه الذعر وقفز إلى الجهة المقابلة من المتجر وحطّ وسط كومة من فساتين ألعاب الأميرات ليرتاح بينها ويأخذ قيلولة أخرى.

«حسناً»، أعلنت كلارا لكليهما، «إنه يوم عظيم!».

«ليلة سعيدة مني وليلة سعيدة منه!»[1]، أجابت الببغاء.

---

(1) عبارة اشتُهرت في برنامج The Two Ronnies.

«ليس هذا ما أريد سماعه»، قالت كلارا، واختفت داخل إحدى الخزائن لتُخرج منها المكنسة الكهربائية والممسحة.

أكملت كلارا في الساعات التالية مهمّة فرز البضاعة ثمّ تنظيف المتجر وترتيبه. ثمّ جمعت القطع غير الملائمة للعرض في خزانة واحدة، وملأت الرفوف بالألعاب ووضعت تحت كلّ نوع منها بطاقة صغيرة ملوّنة تُظهر الثمن. ثمّ جرّت كرسياً إلى جانب الحائط لتصعد فوقه وتعلّق شريطاً من القماش الملوّن والمنقّط استخدمته لعرض صورٍ وجَدَتها في الغرفة الخلفية، ومنها صورة كبيرة جدّاً لمهرّج يحمل بالونات ملوّنة، وأخرى لشخصين يتقاذفان العيدان والطابات في الهواء، وصورة فيل، وصورة للاعب في السيرك. ثمّ ثبّتت مرآة على الحائط وراء الصندوق لتجعل مساحة المتجر تبدو مضاعفة؛ ونظرت إلى نفسها في المرآة وابتسمت.

ومسحت الأرض حتى أصبحت مربّعات البلاط السوداء والبيضاء نظيفة ولامعة. ثمّ جمعت كلّ الأوراق المبعثرة على المنضدة في كدسة واحدة وضعتها تحت الصندوق، ومسحت المنضدة وجاءت بلعبتين تمثّلان شخصيتين خرافيتين من الميثولوجيا الاسكندينافية بشعرهما الفوسفوري الذي ينتصب في كلّ اتجاه، ووضعتهما إلى جانب الصندوق. ثمّ لفّت أسفل المنضدة بالقماش الملوّن والمنقّط ووقفت تبتسم وتتأمّل بإعجاب نتيجة عملها. نظرت كلارا إلى الساعة المثبتة فوق الباب ففوجئت بمرور الوقت وبدأت معدتها تقرقر اعتراضاً وكأنها علمت للتوّ بأنه فات موعد وجبة الغداء.

انقبض قلب كلارا عندما تنبّهت إلى أنها لا تملك سيارة وتذكّرت المكان الأوحد الذي يمكنها أن تشتري منه بعض المواد الغذائية. تمتمت ألفاظاً غير مفهومة ثمّ ارتدت معطفها ولفّت الشال

الصوفي حول عنقها وسارت بضع خطوات في اتجاه مكتب البريد ومتجر روز.

بدا المتجر مليئاً بالحاجيات، أمّا الإنارة فتعتمد حصراً على ضوء مترجرج ينبعث من مصباح كهربائي يتدلّى من السقف عارٍ من أيّ غطاء، وعلى خيوط من نور النهار التي تخترق بصعوبة زجاج النافذة القذر. على طول الحائط المجاور للباب يمتدّ رفّ عرضت عليه روز عدداً من المجلّات، ووضعت على الأرض تحت الرفّ كدسات الجرائد اليومية. وعلى امتداد الحائط المقابل كانت الرفوف محمّلة بحاجيّات أساسية متنوّعة، وكذلك كانت مجموعة الرفوف المستديرة التي وضعت وسط المتجر. اختارت كلارا بسرعة بعض الأغراض واستخدمت معطفها بعد أن رفعت طرفيه بيديها كأنه سلّة.

كانت تشعر بنظرات روز تنصبّ عليها من وراء الصندوق، أما تنهّداتها المسموعة من حين إلى آخر فأجفلتها. فكّرت كلارا بأنها قد تفضّل الموت جوعاً على أن تتحمّل مبارزة كلامية جديدة مع روز. تركّزت نظرات روز عليها أكثر عندما اقتربت ووضعت كومة الأغراض على المنضدة أمام الصندوق. أمّا شفتا المرأة الرقيقتان والمشدودتان فكادتا تختفيان كلّما رفعت إحدى الأغراض إلى الصندوق لتسجيل ثمنه.

«هذا يعني أنك باقية»، قالت لها روز وهي تنظر إلى عديد الأغراض أمامها: رغيف كبير من الخبز، قنينة حليب، مرطبان مربّى الليمون، علبة شرحات لحم مدخّن وخيارة كبيرة.

«نعم»، أجابت كلارا بصوتٍ رفيع ومن غير تردّد، إذ قرّرت عدم الخوف، وأكّدت: «نعم باقية»، واستخدمت بطاقة الائتمان لتدفع الحساب.

«أين هو كيسك؟»، رفعت روز إليها حاجباً مخطّطاً وأضافت: «في حال عدم وجوده ستدفعين خمسة بنسات إضافية».

«لقد نسيته»، تمتمت كلارا، وفكّرت في السبب الذي يجعلها تتوتر في حضور هذه المرأة. ثمّ أفرغت كلّ محتوى محفظتها من النقود المعدنية لكي تفتّش بينها على خمسة بنسات. إلّا أنّ الخيبة بدت واضحة على وجه روز عندما وجدت كلارا خمسة بنسات ودفعتها فانزلقت على سطح المنضدة.

ثمّ هرولت كلارا إلى خارج المتجر والكيس يثقل أصابعها، وأحسّت بنظرات روز تتبعها وتكاد تحرقها من خلال الباب الزجاجي.

«كلارا!»، نادت لورين.

توقّفت كلارا وما زال قلبها ينتفض نتيجة مغامرة التسوّق التي خاضتها، وكانت قد قطعت على نفسها وعداً بأن تستخدم حاسوب لويزا القديم في المساء لكي تطلب كمية كبيرة من المواد الغذائية عبر الإنترنت.

«كيف حالك؟»، سألتها لورين، وتوقّفت لاهثةً أمامها وقد احمرّت وجنتاها لشدّة البرد، وكانت تعتمر قبعة كبيرة من الفرو الصناعي الأسود على رأسها.

«أنا بخير، كل شيء على ما يرام، ما زلت في مرحلة ترتيب الأمور في المتجر»، قالت كلارا وأرفقت كلامها بحركة من يدها، وشعرت بالتوتر يزول عنها.

«هذا عظيم؛ انظري، إني الآن في طريقي لأخذ روري من الحضانة. سوف أمرّ بك لاحقاً لنلعب معاً»، قالت لورين، واعتذرت

للتوّ مصحّحة: «أعني لنتناول القهوة معاً. عذراً، هذا من تأثير التعاطي دوماً مع الأطفال وأمهاتهم. كلا، لن أطلب منك إحضار لعبة ليغو أو أيّ شيء آخر. بلى، ربّما لعبة **أوبريشن** فإني أحبها مع أنها صعبة - دائماً أقتله عندما أحاول انتزاع تفاحة آدم من عنقه. إنها لعبة مزعجة».

«حسناً»، قالت كلارا من غير أن تعلم جيّداً عمّا تتكلّم لورين. وأضافت: «لا أظن أنّ هذه اللعبة موجودة في الدنمارك. ولكننا نحبّ ألعاب الليغو كثيراً».

«أوه، يجب أن أذهب فوراً»، قالت لورين وأومأت وداعاً بيدها، ثمّ أضافت: «انظري، سأمرّ مؤكّداً. السيدة ستيفنز تغضب مني عندما أتأخر، وتصبح وكأنها على وشك الاتصال بمكتب الرعاية الاجتماعية، لذلك...».

«اركضي»، قالت لها كلارا، وتابعت: «تعالي في أيّ وقت، إني في المتجر دائماً وأحبّ أن أتناول القهوة معك».

«وهل تسير خطّتك كما تريدين؟»، سألت لورين بسرعة.

«نعم وإنّما تدريجاً»، أجابت كلارا.

«رائع، وإني بغاية الشوق لرؤية النتيجة. كم جميل بقاؤك في البلدة!»، قالت فيما كانت تبتعد عن كلارا وتسير تارةً، وتهرول تارةً أخرى.

راقَبَتْها كلارا ولاحظت شعرها الأملس اللّامع يتمايل ويتطاير خلفها خصوصاً عندما انعطفت إلى الطريق الفرعية.

ابتسمت كلارا وداعبها شعور الابتهاج بصداقةٍ جديدة واعدة، وازدادت حماسة للمضي في مشروعها.

مشت خطوتين قبل أن تصل إلى المتجر ولكنها توقفت برهةً خارجه لتنظر إلى الواجهة الأمامية وستائرها البيضاء التي ما زالت مغلقة، وإلى اللافتة باللون النبيذي التي تحمل اسم المتجر، فعرفت إذ ذاك ماذا ستفعل تالياً.

الفصل التاسع

عندما أوت كلارا في تلك الليلة إلى السرير منهكَة القوى شعرت بصقيع الفراش تحت قدميها. ولكنها، ولشدّة تعبها، آثرت احتمال البرد على النهوض من أجل التقاط جواربها. لفّت اللّحاف حولها وانتظرت لعلّها تشعر بالدفء وأضافت في فكرها إلى قائمة الأشياء التي ستطلبها عبر الإنترنت حطباً ووقوداً لإشعال الموقد. كانت تشعر بألم في ظهرها، أمّا يداها فحمراوان لشدّة ما قامت به في ذلك النهار من تنظيف وتلميع وتجميع القطع المفكّكة من الألعاب، حتى أنها لم تتمكّن من حمل قفص ليدي كاكا إلى الشقة سوى بصعوبة. أما رودي فتلكأ في الصعود إلى أن فتحت له كلارا علبة جديدة من الطعام.

تُرى كيف سيكون تعليق الناس؟ كادت لا تنام من شدّة حماستها التي أشبه ما تكون بحماسة طفل ليلة عيد الميلاد. ماذا سيقول غافن ولورين وروز عندما يرون التغيير؟ ماذا سيفكّرون؟ وتخيّلت وجوه أطفال القرية المتوهّجة ترقّباً وفرحاً تحت القبعات

الصوفية. عضّت كلارا على شفتها فرحاً لشعورها بوضوح الهدف الذي تسعى إليه. كانت تتنقّل طيلة أشهر من مكان إلى آخر من غير هدف حقيقي. هل هو القدر الذي حملها إلى هذه القرية بالذات حيث ستتمكّن من القيام بدور مهمّ يصنع فرقاً؟ أغمضت عينيها لكي تنام وترتاح، فيوم غدٍ ليس عاديّاً ويجب أن تصحو مشرقةً ونشيطة.

أحسّت كلارا أنه لم يكن قد مضى على نومها سوى لحظات عندما رنّ جرس المنبّه إلى جانبها واستيقظت من السرير وقفزت تارة على قدمها العارية اليمنى وتارة على اليسرى لتصل إلى مكان وجود جواربها، ولتلتقط رداء لويزا الصباحي وكنزتها السميكة الزهرية.

ملأت الإبريق الكهربائي بالماء وضغطت على زرّ التشغيل لكي تحضّر القهوة، وأسرعت في ترتيب هندامها حتى وجدت متّسعاً من الوقت لكي تمرّ بفرشاة الكحل الماسكارا على رموشها، ولتتأمّل في عينيها الزرقاوين اللامعتين تنظران إليها عبر المرآة الصغيرة في غرفة الحمّام.

ها إنّ الوقت قد حان. جلست في المتجر على كرسيّ إلى جانب المنضدة وكانت قد انتهت تقريباً من شرب كوب ثانٍ من القهوة عندما نظرت إلى ساعة الحائط ووجدتها تقترب من التاسعة؛ فسارت عندئذٍ نحو نافذة العرض بخطىً ثابتة لا تخلو من الأبّهة، ورفعت الستائر فإذا بنور الشمس الشتائية تضيء المتجر، وبنافذة العرض تبدو جذّابة ومتألقة.

كانت كلارا في الليلة السابقة قد استخرجت مجموعة من الألعاب الخشبية التي وجدتها مكوّمة كيفما اتّفق في الخزانة،

فمسحت الغبار عنها ونظّفت دواليب العربات الملوّنة بألوان الأخضر والأحمر الزاهي والبنفسجي. وكانت قد وجدت أيضاً قطع بازل توحي بالطبيعة الريفية فجمعتا وألصقتها على خلفية الواجهة حتى بدا المشهد جذاباً بخضرة العشب والأشجار وزرقة السماء. ثم وضعت على الأرض سكك قطارٍ خشبية تمتدّ وتنعطف وتتقاطع مع بعضها، ومجموعات من الألعاب الخشبية التي تمثّل أطفالاً وإلى جانبهم حيوانات خشبية أيضاً، والكلّ يشاهد حركة القطار. ثمّ التقطت واحدة من عربات القطار ووضعتها بحذر على رأس السكة ثمّ أفلتتها وراقبتها بفرح وهي تنزلق على السكة وتتسبّب بحركة تسلسلية رائعة تجعل العرض يبدو للناظر إليه مهرجاناً متحرّكاً.

عادت إلى كرسيّها ولم تتمكّن من الجلوس بهدوء، إذ توقّعت أن يقف المارّة لينظروا بفضول إلى واجهة المتجر، أو أن يدخل الأطفال ليجرّبوا بأنفسهم لعبة القطار. وما لبثت أن قفزت على قدميها مجدّداً، وراحت تدور حول المنضدة وتشعر أن قلبها يعلو وينخفض مع كلّ حركة. كانت تعلم أنّ واجهة المتجر تبدو خلّابة بلونها النبيذي وبلوحة الطبيعة الخضراء التي صنعتها من قطع البازل. دارت عقارب الساعة دورتها، ثمّ مرّ رجل يلبس بذلة من أمام المتجر وكان يتكلّم في الهاتف أمّا نظره فلم يرتفع عن الأرض لحظةً. ومرّت امرأة مسنّة على الرصيف المقابل وكانت تدفع أمامها عربة مغطّاة بخيمة من قماش صوفي مقلّم؛ وأمام المتجر على الرصيف المحاذي تتبختر حمامة غير مبالية بجمال الواجهة المطلّة عليها. غرقت كلارا في كرسيها بعد أن مرّت ساعة كاملة من الوقت ولم يدخل إلى المتجر أحد.

سئمت كلارا الانتظار فقرّرت عند الحادية عشرة الصعود إلى الشقة لتحضير كوب آخر من القهوة. حتى ليدي كاكا التي كانت تردّد: «أنا ملك العالم»[1] لم تنجح في جذب الابتسامة إلى شفتيها. ثمّ حملت رودي بين ذراعيها ودسّت وجهها بطمأنينة في وبره الناعم. كانت كلارا على ثقة تامّة بأن الناس ستدخل إلى المتجر، ولذلك شعرت بخيبة الأمل فيما كانت تنزل الدرج من جديد وكأن كل ما رسمته في ذهنها يتلاشى ويذهب أدراج الرياح.

لم يدخل أحد بعد. جلست في كرسيّها وتناولت سندويشاً من الحبش والخيار، ولكنها شعرت بجفاف حلقها فالوقت يمرّ ببطءٍ مخيف. حرّكت كلارا الدمى التي كانت قد وضعتها على المنضدة إلى جانب الصندوق ثمّ أعادتها إلى مكانها. ومشت بصمت نحو الغرفة الخلفية ووقفت برهة واتكأت على حاجب الباب فأحسّت بتداعيات الأرق الذي عانت منه في الليالي الفائتة. كانت قد صمّمت على العمل في الغرفة الخلفية في تلك الليلة لعلمها اليقين بأنّ خطتّها لهذه الغرفة قد تحوّل المتجر إلى مكان مختلف ورائع. ولكنّها باتت تفكّر الآن في احتمال أن تمضي السهرة مسترخيةً في مياه المغطس الدافئة برفقة كتابها وعلى نور شمعة وامضٍ إلى جانبها، فتقطع إذ ذاك الطريق على كلّ مشاعر الخيبة السلبية.

كادت كلارا تغرق في اليأس لدرجة أنها لم تسمع خشخشة الجرس المعلّق فوق باب المتجر، ولكنّها ما لبثت أن شعرت بثرثرة طفولية قادمة من وراءها، وما إن التفتت حتى رأت لورين تدور في وسط المتجر بفمٍ فاغر لشدّة المفاجأة. أمّا روري فكان يمسك

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Titanic.

بإحدى يديه يدها، ويضرب بيده الأخرى على ذراعها ويقول: «انظري ماما، انظري».

«كلارا!»، قالت لورين بعد أن التقطت أنفاسها، «حوّلتِ المكان إلى شيء آخر!».

احمرّت وجنتا كلارا وهي تخطو نحو لورين، وقالت: «كانت لديّ خططٌ رائعة، ولكن -وأحسّت بمشاعر الخيبة تجتاحها كما فعلت في الصباح- لم يأتِ أحد، ولا أحد يهتمّ؛ كانت لويزا على حقّ».

غير أنها، وفيما كانت تتكلّم، لاحظت أشخاصاً ومجموعات صغيرة يتحرّكون على الرصيف أمام المتجر، ووجه صغير يلتصق بزجاج الواجهة ويرسم بفمه الصغير حرف «O» كبيرة ربّما عبّرت عن اندهاشه بما رأى.

«انتهى دوام الحضانة منذ قليل»، شرحت لورين، وأضافت: «شدّني روري لكي ندخل؛ إنه يعشق القطارات وأسلوب العرض في الواجهة رائع».

«القطار، القطار، القطار»، ردّد روري من دون توقّف وركض نحو القسم الأمامي من المتجر.

«سوف أريك القطار يا روري»، نادته كلارا ومشت وراءه نحو الواجهة. وإذا بالجرس يخشخش فيما أسرعت كلارا إلى وضع العربة على أعلى السكة لتنزلق ويبدأ المشهد. راقب روري بفرح حركة العربات السريعة على السكة، وابتهج بألوانها الساطعة والمبهرة. صفّق روري بيديه وصرخ بلغته الطفولية: «مرّة ثانيةً، مرّة ثانية».

وإذا بمجموعة صغيرة من الأطفال يندفعون إلى الداخل بصحبة أمهاتهم، ودخل رجل برفقة طفلته وبدا وكأنه ضائع أو في غير مكانه وسط تلك الجلبة. دعت كلارا الأطفال إلى الاقتراب لمشاهدة عرض القطارات المتحرّك. وسرعان ما امتلأ المتجر بالأصوات والضحكات واستعرض الجميع الألعاب المتنوّعة المعروضة في الأجنحة المتعدّدة، فشعرت كلارا باسترخاء في جسمها، وبخفّة قدميها فيما تحرّكت إلى وراء الصندوق.

وقف صبيّ وقد خسر اثنتين من أسنانه الأمامية وشدّ عنقه ليرى الألعاب التي وضعت على إحدى الرفوف العالية.

«هل تريد أن أنزل لك شيئاً معيّناً؟»، سألته كلارا، فإذا به ينظر إلى الأرض ويعض على شفته قبل أن يرفع رأسه مجدّداً ويهز رأسه بقوّة. ثمّ دلّ بإصبعه إلى إحدى العلب فأنزلتها كلارا له.

«ماذا تقول الآن يا كريس»، قالت له امرأة ظهرت فجأةً وراءه وبدت أنها أمّه.

«شكراً»، قال الولد فيما كان يحدّق عبر النافذة البلاستيكية على ظهر العلبة إلى السيارة التي في داخلها والتي تتحرّك بواسطة جهاز التحكّم من بعد.

«إذاً، هل هي اللعبة التي تريدها؟»، سألته المرأة.

هزّ الطفل رأسه إيجاباً، وقال فيما كانت أنفاسه تصفر عبر الفراغ بين أسنانه: «يمكننا أن نلعب بهذه السيارة في مكتب أبي». ثمّ التفت إلى كلارا وأضاف: «غادر أبي البيت ولم يعُد بحاجة إلى المكتب. يريدان الطلاق الآن».

«أوه!»، قالت كلارا وتراجعت إلى الوراء لدى سماعها تلك المعلومة.

«كريس!»، قالت الأم وقد احمرّ وجهها. «أعتذر، ولكنه يفشي الخبر إلى كلّ الناس الآن. وكأنه حكاية مسلّية».

كان الصبي لا يزال يتأمل في العلبة عندما انطلق قائلاً: «واو، إنها جميلة للغاية».

«اليوم عيد ميلاده. أرسل إليه والده بطاقة معايدة إلكترونية، ففكّرت بالتعويض عن تقصير والده بلعبة يحبّها»، قالت المرأة.

«يمكنني أن أغلفها بورق الهدايا. لدي الورق والشريط وكل ما يلزم»، قالت كلارا.

«شكراً»، قالت المرأة مبتسمة، وتابعت وهي تدفع ثمن اللعبة: «إنك في غاية اللطف. ولكن الورقة لن تبقى على العلبة لأكثر من ثانيتين، ولهذا لا أجد الأمر مجدياً».

«غادر أبي البيت عندما كنت في مثل سنّك»، قالت كلارا للصبي الذي نظر إليها بعينين واسعتين. وتابعت: «ولكنه ما زال يحبّك».

أخذ الولد نفساً، وقال: «هذا ما قاله والدي». ولكنه بدا غير واثقٍ.

ابتسمت المرأة لكلارا وتمتمت بالشكر. وأمسكت بيد الصبي ومشت به نحو الباب قائلةً: «سوف نعود في يوم آخر».

مشت لورين إلى كلارا لتقول: «ما فعلته رائع بالفعل. هل يمكنك زيارتي يوم الاثنين بعد الظهر؟ يصطحب باتريك روري إلى السباحة، وفي هذا الوقت أتمكّن من ممارسة الرياضة وغير ذلك، وسأستمتع بزيارتك. سوف أترك لك العنوان على ورقة، وموعدنا في الثالثة بعد الظهر. ما رأيك؟».

هزّت كلارا رأسها وكانت منشغلة بمحاسبة زبونة أخرى. ثمّ أجابت: «شكراً، وسأفعل ذلك بالتأكيد».

«وسوف أخبر الجميع لكي يأتوا إلى هنا»، قالت لورين، فيما مشت لتأخذ روري من بين مجموعة من الأطفال كانوا قد بدأوا يشيّدون قلعة بالعلب الكرتونية وأكياس الحبوب الصغيرة الملوّنة التي تتحرّك بليونة بين أيديهم. ابتسمت كلارا لمشهد روري يقاوم أمّه ويركلها بقدميه الصغيرتين على بطنها عندما حملته بهدف إخراجه من المتجر فيما كان يتوسّل قائلاً: «أريد البقاء أكثر، أكثر يا ماما، أكثر».

ثمّ انشغلت كلارا عن المشهد وانصرفت إلى الصندوق لتدخل ثمن لعبة اختارتها إحدى الأمهات. وما إن رفعت عينيها حتى تنبّهت إلى وجود روز واقفة كالصنم على الرصيف تنظر إلى داخل المتجر، ثمّ لاحظت أنها كانت تقلّب شفتيها، وتزمّ عينيها فيما كانت تتفحّص العرض في الواجهة الأمامية. شعرت كلارا للتوّ برغبة في الضحك، وتمتمت بالدنماركية: «أوه لورت!».

«ماذا تقولين؟»، سأل الأب الذي يحمل ابنته الصغيرة على ذراعه. وبدت عيناه الخضراوان، من وراء النظارة التي تحمل اسم مصمّم مشهور، تلمعان مرحاً إزاء ما يجري.

احمرّ وجه كلارا ونظرت إلى الفتاة الصغيرة التي يحملها على ذراعه، وأجابت متلعثمة: «هذا يعني: «نهارك سعيد»، في اللغة الدنماركية». ولكنّها أحسّت بأصابع قدميها تتلوّى على وقع الكذبة.

«لورت، لورت»، ردّدت الطفلة.

اصطنعت كلارا الابتسام للطفلة مع أمل ألّا يحاول والدها التفتيش عن معنى الكلمة على الإنترنت ما إن يصل إلى بيته.

لم ينتبه الرجل إلى تعابير وجهها، وابتسم لها ابتسامةً عريضة بعد أن دفع ثمن عربة قطار اشتراها لابنته. وقال: «طريقتك في العرض رائعة، لا شك أنك تتقنين الاهتمام بالتفاصيل».

شعرت كلارا بخجل غريب أمام نظراته. وتمتمت: «شكراً» ونسيت أمر روز كليّاً.

«آمبر تحبّ هذه العربة. أليس كذلك يا آمبر؟»، سأل ابنته التي كانت تمدّ يدها لتأخذ العربة، وتتلوّى وتصرّ على الهبوط أرضاً.

وضع الأب ابنته على الأرض وراح يداعب شعرها البني الفاتح مثل شعره. «إنها في غاية الحماسة... ليت والدتها تستطيع مشاهدتها...»، قال بغصّة وتنهّدة مسموعة، فمالت كلارا برأسها إلى جهة واحدة مواسيةً. «ولكن»، قال مصفّقاً بكفّيه، «ها قد وجدنا الآن ما يُشعرنا بالفرح». وابتسم فيما انعكست أنوار مصابيح المتجر في عدسات نظارته.

«هذا يسرّني»، قالت كلارا، وكانت ترغب في متابعة الحديث معه لولا وجود امرأة تنتظر دورها وراءه.

ابتسم الأب ابتسامة خفيفة وأومأ لها بيده قائلاً: «حسناً، إلى لقاء قريب».

«أهلاً بك»، أجابت كلارا فيما تبعته بعينيها وهو يمسك بيد ابنته ويخرج من المتجر. ولكن هل خُيّل لها، أو إنه حقّاً توقّف برهةً عند الباب لينظر إلى الوراء، وإليها مجدّداً؟

اقتربت المرأة مقاطعة تأملات كلارا لتسأل: «لو سمحتِ، ماذا يعني وجود رقم أربعة الكبير في زاوية الواجهة؟».

«رقم أربعة. . .؟»، رمشت كلارا جفنيها وكانت لا تزال تفكّر بالرجل وابنته، ثمّ أجابت: «رقم أربعة يعني أن هناك أربعة أيام باقية».

«باقية حتى ماذا؟»، سألت المرأة وكان ابنها الصغير يتأمل في وجه كلارا منتظراً جوابها.

لملمت كلارا نفسها في الحال، وانحنت إلى مستوى عينَي الصبي مجيبةً: «بعد أربعة أيام ستتحوّل الواجهة فجأة إلى شيء جديد».

«مثل السحر؟»، سأل الطفل وكادت عيناه تخرجان من محجريهما لشدّة المفاجأة.

«تماماً، فعندما أصحو من النوم وأنزل إلى المتجر سأرى أنّ كل شيء قد تغيّر»، قالت كلارا.

«وهل هذا عمل الأقزام المسحورة؟»، همس الصبي.

«نعم، يبدو أنه كذلك»، أجابت كلارا بجدّية.

ابتسمت الأم في الحال وتوجّهت إلى ابنها قائلةً: «حسناً يا لوكاس، سوف نعود إلى هنا لنرى ماذا سيحدث. أليس كذلك؟».

«بعد أربعة أيام»، ردّد الصبي وكأن أمه لم تفهم ما قيل لها بعد.

«تماماً، ورقم أربعة يأتي بعد أي رقم. . .؟»، سألته.

«بعد رقم اثنين»، أجاب مؤكّداً.

نظرت المرأة إلى كلارا وضحكت بصمت، ثم قالت: «على العموم فإنه لم يخطئ تماماً». وتابعت بصوتٍ منخفض قائلةً: «ولكن، لا بدّ لي أن أراجع معلّمته في الحضانة، أليس كذلك؟»

وأضافت بصوت أعلى: «إذاً سنرى هذه السيدة اللطيفة بعد أربعة أيام. قُلْ لها شكراً».

كان الولد منشغلاً باللعبة التي كان يحملها، ولكنه قال: «ثكراً». فأجابته كلارا برقّة: «عفواً!».

مكتبة
t.me/t_pdf

ماذا تعني بقولك إنك لم تحب قَطعاً حلوى «مفاجأة الشوكولاتة» التي صنعتها؟ قلت لي آنذاك إنها خارقة. لن أصدّق بعد الآن أي شيء تقوله. هل فيلم «العقل والعاطفة» حقّاً أفضل أفلام إيما طومسون بالنسبة إليك؟ وهل إنك حقّاً لا تكره الممثل نويل إدموند؟ أترى كيف أطرح الآن علامة استفهام حول كلّ شيء سبق وقلته لي؟

تساقط المطر في مدريد طيلة يومين على التوالي فقرّرت ركوب الباص والانتقال إلى فالنسيا. الرحلة بحدّ ذاتها كانت مخيفة غير أنه ممتعٌ أن تقف على ساحل البحر المتوسّط. الشمس قرّرت حسن استقبالي هنا، أما أنا فقرّرت الإمعان في التعرّف والاكتشاف. الأمكنة على شيء من الغرابة؛ وهناك أبنية بيضاء واسعة وحولها برك ماء قليلة العمق ولازوردية الألوان ذكّرتني بأجواء أفلام سينما العلم الخيالي، ووجدتني أتوقّع خروج رجال من الأفق بخوذات بيضاء في أي وقت.

تنزّهت على الدراجة في كلّ الاتجاهات اليوم. جفّ النهر فحوّلوا مجراه إلى حدائق خضراء ودروب للدراجات؛ وكلّ ذلك في غاية الجمال. ولكني شعرت بعد ذلك بتعب ساقيّ، فصعدت الآن إلى الطابق العلوي في الفندق حيث يوجد

حوض دافئ يمكنك الاسترخاء في مائه والاستمتاع بمنظر المتوسّط في الوقت عينه. من الصعب يا غافن أن يكون المرء محبّاً للاكتشاف إلى درجة المغامرة مثلي. شربت كميّة بالغة من مشروب سانغريا لكي أؤكّد انغماسي في الثقافة الإسبانية. ماذا لو تنظّم مرّة في الاسبوع أمسية إسبانية في الحانة؟ يمكنك تقديم طبق باييلا ومشروب سانغريا والتعاقد مع راقصة فلامينغو. شاهدت امرأةً ترقص فلامينغو في حانة صغيرة في هذه المدينة وكانت رائعة. كانت تضرب الأرض بقدميها بسرعة تغشي البصر؛ أما تلوّي جسدها وتطاير ثوبها الواسع فيَفتن الألباب. تحملني أفكاري إلى تلك الأيام عندما كنت أبذل كلّ طاقتي لأرقص على أغنية ماكارينا ولكن تراجع مستوى الليونة في جسدي كان يحبطني. فكّر بهذا الأمر فسيكون مسلّياً للغاية؛ غير أني لا أدري أين ستجد راقصة فلامينغو حقيقية في منطقة سوفوك.

ستُقام مباراة تنس ربع نهائية في لاغورا غداً. ولاغورا بناء ضخم وغريب الشكل إذ يبدو وكأنه محارة هائلة الحجم خرجت من الأرض وانتصبت واقفة. آندي موراي سيلعب، ولذلك ابتعت بطاقة لمشاهدته. سوف ألفّ نفسي بالعلم الإنجليزي وأرسم العلم أيضاً على وجهي مثل هؤلاء المتعصّبين في مباراة ويمبلدون، ربّما أجذب انتباه المصوّرين وأظهر على شاشة التلفزيون. إن كان هناك برنامج رياضي على القناة الفضائية يتكلّم على التنس فحاول أن تشاهده لأنهم سيُظهرونني حتماً. سأرفع يافطة تحمل اسم «آندي» لأن الجميع يستخدم الاسم الأوّل للاعبي التنس. هل تذكر عندما كنا ننادي اللاعب هنمان باسمه الأوّل «تيم» وكأنه ابننا

المفضّل. أجد هذا الأمر غريباً ولا أحلم في أن أنادي اللاعب واين روني «واين».

كيف حالك؟ أشتاق إلى تلك الساعات عندما كنا نشاهد «مباراة اليوم» معاً فكم تعلّمت من ذلك. ما زلت أشدّ قبضة يدي عندما أرى صورة رونالدو على الصفحة الأخيرة من الجرائد المحلية لأني أذكر أنك لا تحبّه.

هل يمكنك أن تُبلِغ ليدي كاكا ورودي قبلاتي الحارة وأن تقول لكلارا إنّها ملاك حقيقي؟ أحببتُ وجهها وأحببتُ أني أصبت الرأي حولها – لم أرَ مثل صفاء بشرتها على الإطلاق فكأنها لن ترى في حياتها تجعّداً على وجهها. يخيّل لي أنها في الدنمارك لا تأكل سوى ملفوف أحمر وبيض نيئ؛ هل يمكنك أن تطلب منها بعض النصائح؟ ما زلت أنسى استعمال كريم الوجه في أثناء الليل ولا عجب أني أبدو مثل شيء جرى سحبه من أعماق المحيط.

تهرّبت من الإجابة على اتصالات جو طيلة الأسبوع، هل تَرى ذلك مريعاً؟ يدلّ صوته من خلال الرسائل التي يتركها على أنّه غاضب مني ولا أحتمل أن يكون كذلك.

آه، أعجبني كيف استخدمت جميع أحرفك في جملة واحدة مع كلمتي. بعض الكلمات كان مقبولاً وبعضها الآخر ليس مفهوماً. لا تظنّ أني لا ألاحظ ذلك. إن تكلّمت بهذه اللغة التي تستخدمها في لعبة «كلمات مع الأصدقاء»، لن يفهم أحدٌ ما تقوله. ولكني على أتمّ الاستعداد لمتابعة اللعبة قريباً ولديّ أحرف رائعة وجاهزة.

الفصل العاشر

«ماما، ماما»، قال، ثم عاد وأقفل الخط ثانيةً، وتابع سيره عبر مدخل المبنى وصدى خطواته على الأرض الرخامية يتردّد في زوايا المكان الخالي. ثمّ دفع بإحدى يديه الأبواب المتحرّكة وضغط باليد الأخرى على رقمها من جديد.

كانت سيارة المرسيدس في انتظاره أمام رصيف المبنى وقد أدار السائق محرّكها. لم يتعرّف جو إلى السائق ولكنه ليس من نمط هؤلاء الذين يتكلّمون إلى السائقين المستخدمين من قبل الشركة إذ غالباً ما يفتح حاسوبه ويعمل في السيارة. كان قد أطلع السائق على العنوان عندما تكلّم إليه في الهاتف، ولا يرى مبرّراً للتكلّم مجدّداً. ولذلك فقد عاد ليطلب رقم أمّه وربّما للمرّة العاشرة في تلك الساعة.

كانت تمشي وتدور في أحد مرافئ فالنسيا مفتّشةً عن قاربٍ معيّن، ولكن ما لبث صوتها أن اختفى.

«عزيزي، الحمدلله إني أسمعك من جديد، هل ما زلت تخرج من نفق وتدخل آخر؟»، سألته.

«كلا، وأظنّ أن المشكلة تكمن عندك. أنا في السيارة متوجّهاً إلى البيت»، أجاب.

«ولكن الوقت ما زال مبكراً»، قالت.

«كنت في المكتب طيلة الليل»، أجابها وفرك وجهه بإحدى يديه عندما أوشك الحديث أن يُشعره بالضجر.

فقالت: «يا إلهي، كم أنت متفانٍ في عملك. هل كلّ شيء على ما يرام؟ يسألني الجميع عنك وما زلت أجد صعوبة كي أشرح لهم بوضوح عن وظيفتك. أليس ذلك معيباً من ناحيتي بعد كلّ هذه السنين؟ ولكن مجرّد أن أشير إليهم بأنك تهتمّ بأمور الدمج والاستحواذ بين الشركات حتى يسارعوا إلى إبداء إعجابهم الشديد. ولكني ما ألبث أن أتعثّر في التفاصيل. قل مجدّداً ما هي وظيفتك بالتحديد؟ ما هو مركزك في الشركة؟ أعلم أنّ مركزك يمتّ إلى الرئاسة بصلة؛ وأشعر بما يشبه الدوار في رأسي عندما أفكّر بأهميّة مركزك...».

«ماما»، قال جو، وألم رأسه ما زال يخفّ تارة ويشتدّ تارة أخرى منذ منتصف الليل. أما الآن، وبسبب هذا الحديث المشتّت فقد بات غير قادرٍ على التفكير. كان يريد أن يسألها بجدّية عمّا تنوي فعله؛ ولكنّه تابع:

«نائب رئيس أوّل، أو قائم بأعمال الرئيس أو...، أعلم أنها ألقاب على الطريقة الأميركية...».

نظر السائق إليه في المرآة بعينين واسعتين، وكاد جو يغطي الهاتف بيده لكي يقول له شيئاً حول الموضوع، ولكن ماذا عساه أن يقول؟ فقرّر تجاهل نظراته.

وقالت لويزا:

«هل تنوي الكلام مطوّلاً؟ لأني أريد أن أجد بدرو. إنه هنا على إحدى هذه المراكب، ولكنها عديدة وكلّها متشابهة بنظري...».

أسرع جو إلى القول مقاطعاً: «أريد أن أناقش معك موضوع مغادرتك يولثورب، والمتجر، و...».

ولكنّها تابعت متجاهلةً سؤاله:

«... أحاول أن أحجز مركباً لكي أمارس التزلّج على الماء بعد ظهر اليوم. تعرّفت إلى شاب يدعى بدرو مساء البارحة في إحدى الحانات ووعدني بعرضٍ مُغرٍ. ساعتان لقاء عشرين يورو؛ عرض ممتاز أليس كذلك يا عزيزي؟ لم أمارس التزلج على الماء من قبل ويبدو لي الأمر مثيراً للغاية. ابتعدت عن هذه الرياضة كليّاً منذ أن كنت في العشرينيات لأن والدك أجبرني على ممارستها على شاطئ جزيرة وايت وكان البحر هائجاً. ابتلعتُ نصف ماء البحر وأصابني المزلاج بضربة على وجهي كادت تكسر أنفي. وما زال أسفل أنفي منذ ذلك الحين ملتوياً بعض الشيء إلى اليسار».

توقّف جو عن الكلام ولم يُجِبْ إذ نادراً ما تحدّثت والدته عن أبيه. فقد أحسّ فجأةً أنه عاد طفلاً صغيراً متعطّشاً لسماع المزيد من أخبار والده. ولكنّه لا يجرؤ على طلب ذلك لأن مجرّد السؤال كان كفيلاً بأن يثير لدى والدته الغضب أو الحزن والدموع. وتخيّل صورة والده وهو يعلّم أخت جو وأخيه من الزوجة الثانية كيفية التزلّج على الماء. لم يجرّب جو هذه الرياضة في حياته؛ ولكن لماذا ما زالت هذه الأمور تُحزِنه؟

«أظنّ إني سأستمتع بالتزلّج على الماء. سوف أرتدي البذلة الخاصة الضيقة. هل تتصوّرني محصورةً داخلها؟ أخاف أن ينظر إليّ

بدرو ويضحك. هذا لا يعني أنّ بدرو قد يكون مهتمّاً بامرأة هرمة مثلي. إنه شاب صغير وربّما من المثليين. . . لست متأكّدة».

«أمي، هل يمكنكِ التزام الهدوء خمس دقائق فقط لكي نتحدّث عن موضوع رحيلك المفاجئ؟»، قال.

«راودتني الفكرة فجأةً، ولا أدري إن كنت أستطيع الإجابة عن أسئلتك».

شعر جو بأنّ والدته تحاول التهرّب من مواجهة الأمور، فتركها تتكلّم وألقى رأسه على أعلى المقعد وأغمض عينيه. أحسّ بشيء سحري في صوتها أعاده إلى الوراء وعبر السنين، عندما كان يتكوّم ويضع رأسه في ثنية ذراعها، فوق الأريكة، أو على السرير فيما تسترسل باستنباط الحكايات الخيالية له. طالما كانت مبدعة في السّرد، وها هي الآن تستمتع بتجميل تفاصيل سهرة الأمس في الحانة؛ هندام بدرو ولكنته في الكلام. مال رأس جو إلى جهة واحدة عندما انعطفت السيارة في اتجاه البيت.

ثمّ استقام في جلوسه فجأةً عندما لاحظ أنه كاد يغفو، وأن تعب الليلة الفائتة أخذ منه مأخذاً. شعر بجفاف في حلقه بينما انتظر السائق ليفتح له الباب. وعندما وقف قبالة مدخل المبنى، أعاد الهاتف إلى أذنه من غير أن تتنبّه أمّه إلى أي تغيير حدث.

«. . . الكلّ هنا يرتدي سراويل جلدية. أفكّر في شراء واحد منها، ما رأيك بذلك؟ أذكر قول غافن مرّةً أنّه يعشق الممثلة أوليفيا نيوتن جونز؛ هل تذكر أنها كانت ترتدي سروالاً جلديّاً في الجزء الأخير تحديداً من فيلم «غريس» (Grease) وتبدو رائعة فيه؟ ولكنّها كانت في ذلك الحين أصغر من سنّي الآن بنحو خمسين سنة، وأكثر رشاقةً ونحولاً مني بأشواط. . .».

وصل أخيراً إلى الطابق الأعلى من المبنى وانفتح باب المصعد الخاصّ على شقّته الفسيحة والعصرية إلى أقصى الحدود. لاحظ جو كم كانت النوافذ الزجاجية التي ترتفع من أرض الشقة إلى سقفها نظيفة وخالية تماماً من أي شائبة. كلّ شيء في الشقة كان في غاية النظافة والترتيب. لا شيء من أغراضه الخاصّة ظاهر للعيان، بل كانت كلّها معلّقة، أو مطوية داخل الخزائن. لم يكن جو يوماً ميّالاً إلى الفوضى، ولكنّه أحسّ في تلك اللحظة بصقيع المكان، وفكّر في إمكان الاتصال بمهندسة الديكور من جديد لعلّها تتمكّن من إجراء بعض التغيير.

ثمّ عاد ليقول، بعد أن أرخى جسده على الأريكة الجلدية ذات اللون الرملي ورأسه مستنداً إلى ظهرها: «ماما، ركّزي معي، ماذا حدث؟».

وبدا أنّ السؤال المباشر نجح في وضع حدٍّ لثرثرتها. وعندما وقع الصمت على الطرف الآخر من الخطّ، وصلت إلى أذن جو أصوات متباعدة لطيور النورس. فتخيّل المرفأ: شبّان إسبان، بشرتهم برونزية نتيجة تعرّضهم الدائم لحرارة الشمس، يتنقّلون من مركب إلى آخر وبأيديهم سلال ملأى بالأسماك البرّاقة. وتصوّر والدته واقفة هناك وعيناها مصوّبتان إلى هاتفها فيما تعبث الريح البحرية بتنورتها فتنتفخ حيناً وتطير إلى جهة واحدة حيناً آخر.

«ماما»، ناداها مجدّداً وإنما بصوت ألطف: «ماذا حدث حتى رحلت فجأةً؟».

كان حذراً ألّا يسبقه لسانه ويكمل جملته بعبارة «من جديد». تُرى هل عرفت أمّه أنه تذكّر تلك السنوات عندما كانا يرتحلان من مكان إلى آخر في طول البلاد وعرضها، من غير أن يمكثا في مكانٍ

معيّن أكثر من أسابيع معدودة. نسي جو عدد المدارس التي التحق بها ثمّ انفصل عنها قبل نهاية الفصل لكثرتها. حتّى أنه كان يتفادى في الفترة الأخيرة إقامة علاقات ودّية مع رفاقه، لمعرفته المسبقة بأنه وأمّه سيرتحلان مجدّداً من غير أن يعلم السبب. هل عادت أمّه إلى عادتها القديمة الآن؟ كان قد فكّر بأنها وجدت أخيراً الراحة والاستقرار، غير أنه يخاف الآن أن تكون قد عادت إلى حالتها السابقة؛ حالة المرأة المكسورة التي طالما لازمتها بعد أن غادر والده البيت وتركهما وحيدين. غادر في الليل بعد أن ترك رسالة مقتضبة على طاولة الزينة في غرفتها؛ حتى أنّه لم يقُل له، هو جو ابنه، وداعاً.

غادرا منزلهما بعدما أخبرته بأنهما ذاهبان إلى حياة جديدة في بيت جميل على الشاطئ. أعجبته الفكرة بالطبع - وهل من الممكن ألّا تعجب مثل هذه الفكرة المثيرة ولداً في الثامنة يحلم بمطاردة الأمواج، واكتشاف أنواع الأسماك الصغيرة المختبئة في الصخور، وبناء القصور الرّملية وحفر الترهات؟ لم تطل إقامتهما في تلك القرية على شاطئ البحر أكثر من ثمانية أسابيع، لأنهما قرّرا الانتقال إلى مدينة مانشستر حيث سيكونان في مكانٍ غير بعيد عن جدّته التي عادةً ما كانت تفوح منها روائح دخان الغليون والخردل. كان الأولاد في تلك المدرسة يسخرون من صوته الأجش، فتعلّم أن يبقى صامتاً في أثناء أوقات الاستراحة في الملعب لكي لا يتكلّم إليه أحدهم بأصوات مضخّمة ساخرة فتجعله يتمنى أن تنشقّ الأرض وتبتلعه. واستمرّا في الانتقال بهذه الطريقة طيلة أربعة أعوام قبل أن يستقرّا في يولثورب.

تُرى هل تفعل الأمر نفسه الآن في إسبانيا؟ هل هربت من

مصادر أذيّة جديدة؟ هل حدث لها سوء؟ هل السبب يتعدّى أمر المتجر؟ تمنّى لو يتمكّن من طرح تلك الأسئلة عليها بشكل مباشر. تعوّدت في السابق أن تُطلعه على أخبارها وأفكارها، ولكنّه بات في السنوات الأخيرة يتردّد في طرح الأسئلة عليها، وفي التحدّث بطريقة واضحة حول بعض الأمور. كان يظنّ أنها سعيدة. ولكنّه أحسّ فجأة بذلك الهاجس القابع في خبايا قلبه منذ كان في الثامنة. كان يجلس على أعلى الدرج ينتظر عودتها من السهرة مترقّباً اللحظة التي يسمع فيها صرير المفتاح في قفل الباب، وطقطقة حذائها العالي على بلاط المدخل، فيرتاح لكونها لم تتخلّ عنه هي أيضاً.

«كان الأمر محبطاً للغاية يا حبيبي؛ توقف الناس عن المجيء كليّاً»، قالت.

«إلى المتجر؟»، سألها.

«إلى متجرنا»، قالت مصحّحة. وتابعت: «حبّذا لو تعود تلك السنوات عندما كان الناس يقصدوننا من أمكنة بعيدة، هل تذكر؟».

هزّ جو رأسه بصورة تلقائية ولم ينبس بحرف.

وتابعت: «كان متجرنا رائعاً والقلب النابض في القرية، ولكن يبدو وكأن أحداً قطع عنه فجأةً شريان الحياة. أمست القرية مثل مدينة الأشباح، ولولا غافن والأصدقاء لغادرتُ منذ زمن طويل».

«إذاً ماذا تريدين فعله الآن يا أمّي؟».

«لا أعلم»، أجابت بصوت خافت، «ولكنّي لم أستطع المكوث هناك لوقتٍ أطول».

«أتريدين البقاء خارج البلاد لفترة أطول؟ هل ترغبين في أن أهتم بأمر المتجر بنفسي؟».

تغيّرت نبرة صوتها، وأحسّ جو أنه يكاد يخسر فرصة التواصل

معها من جديد. إلّا أنها أجابت: «لا أعلم ما أريد. الأمر ضاغط وجدّي وأشعر وكأني أدور حول نفسي. أوه، أظن أني رأيت بدرو... لا، ليس هو، بل شابّاً آخر يمشي متلوّياً... ما زلت أفتش هنا منذ ساعات».

«حقّاً يا أمي دعيني أساعدك»، قال جو محاولاً جهده لكي يعودا إلى التحادث المجدي. وتابع: «يمكنني أن أؤمّن لك عروضاً. يمكنني عرض المتجر للبيع أو الإيجار لكي تتمكّني من استعادة رأسمالك. أريدك أن تكوني مرتاحة وأن تستمتعي بعمر التقاعد».

«أعلم ذلك يا حبيبي - أنت ولد صالح. ولكن لنترك الأمور المزعجة جانباً فإني عاجزة الآن عن مواجهتها. كلّمني عن لندن... هل لديك صديقة؟ هذا لا يعني أني أرغب في الضغط عليك. لست في عجلة من أمري لرؤية الأحفاد، فإني لا أجيد حياكة الصوف على كلّ حال، وبالتالي ربّما لا أصلح لأكون جدّة...».

كانت قد ابتعدت عن الموضوع الأساسي، وعلم جو أنّ الاتصال بينهما أوشك أن ينتهي وأنها لا تريد الاستمرار في مناقشة الأمور الجدّية. كان بحاجة ماسّة إلى النوم -ممتاز أنه استطاع أخيراً التحدّث إليها- ويجب أن يعود إلى المكتب بعد بضع ساعات. تركها تتكلّم ونغمة صوتها تداعب أذنه وتسري في جسده فيما كان يغمض عينيه ويستسلم لنوم عميق على الأريكة الجلدية.

الفصل الحادي عشر

لـم يصـل الأسبوع إلى نهايته حتى وصلت كلارا إلى درجة الإرهاق. كانت بحاجة إلى الراحة يوم الأحد وإلى الاسترخاء على طريقة هيغي الدنماركية. ولذلك خرجت منذ الصباح وتنزّهت في الطبيعة وقطعت مسافات طويلة على قدميها، ثمّ عادت وطبخت حساء خضار مع اللّحم، ومعكرونة مع الصلصة الحمراء، وأعدّت أصنافاً متعدّدة لتحتفظ بها في الثلاجة مستخدمة المواد التي كانت قد طلبتها عبر الإنترنت؛ ولم تنسَ حاجتها إلى الدفء فأشعلت الحطب في الموقد.

استيقظت صباح الاثنين وجهّزت كلّ الأمور في المتجر ووضعت رقماً جديداً في زاوية الواجهة يُظهر عدد الأيام المتبقية للعرض الجديد. كانت في غاية الحماسة لتنفيذ هذا العرض بالذات، ولم يبقَ سوى يومٍ واحد لموعده. وقبل أن تصل عقارب الساعة إلى الثالثة بدقائق، صعدت إلى الشقة وبدّلت ثيابها بثياب صالحة للرياضة. لبست سروالاً قطنيّاً مطاطّاً يأخذ شكل الساقين أخرجته

بسرعة من حقيبتها، وارتدت فوقه كنزة فضفاضة كفيلة بتغطية أي نتوء في جسمها تتحاشى إظهاره. جذبتها فكرة السير في الهواء الطلق فانطلقت وصمّت أذنيها عن صفير الريح الباردة عندما انحرفت في سيرها إلى الطريق المتفرّع من الشارع العريض قاصدة آخر الدرب حيث رأت بيتين صغيرين مستقلّين وبعيدين عن الطريق.

كان أحدهما بيت لورين، وقد طليت جدرانه الخارجية باللون الأبيض وبدا سقفه وكأنه مغطّى بالقش. أمام البيت أحواض زُرعت فيها شتول الخزامى، وتحت النافذة مقعد مستطيل مصنوع من الحديد المشغول والمدهون، إلّا أنّ بعض دهانه يبدو متقشّراً. اقتربت كلارا وطرقت الباب بالمطرقة الضخمة المثبتة عليه، وابتسمت ما إن رأت لورين تظهر أمامها للتوّ في سروال مشابهٍ لسروالها، وقميص قطنيّ قصير الكمّين، وربطة شعر ذات لونٍ زهري مشعّ. وبادرت لورين إلى الكلام: «يا إلهي، ما إن ذهبا منذ عشر دقائق حتى غمرتني حماسة فائقة لكونك ستأتين...». ثمّ لفّت لورين ذراعيها فوق كتفيها، وقالت: «الهواء بارد جدّاً، تعالي، ادخلي في الحال». وأمسكت بيد كلارا وشدّتها إلى الداخل.

كانت كلارا قد استدارت لترى المنظر خلفها، وقالت: «يا إلهي، كلّ شيء يبدو جميلاً جدّاً، وإنجليزيّاً جدّاً».

«إنه كذلك حقّاً. إلّا أن البيت مدرج على لائحة البيوت التراثية ولذلك لن نتمكّن أبداً من توسيع المطبخ»، قالت لورين، وقد ظهرت الخيبة على وجهها، ثمّ أضافت: «وكاد باتريك يبيعه في السابق عندما اكتشف أنه من غير المسموح تركيب صحن لاقط للبرامج الفضائية». فنظرت كلارا إليها نظرة استغراب.

«من أجل مشاهدة برامج التلفزيون الفضائية»، سارعت لورين إلى التوضيح عندما قرأت علامات التساؤل على وجه كلارا.

«بالطبع»، قالت كلارا، وأضافت ببطء مدّعيةً عدم الفهم: «لدينا ذلك في الدنمارك وكذلك الإنترنت».

«أنت غريبة»، قالت لها لورين بمحبّة، ودَعَتها للدخول فيما وقفت جانباً في موازاة الحائط لتتيح لكلارا المساحة الكافية لتخترق الممرّ الضيّق إلى غرفة الجلوس. «أعتذر على أصغر ممرّ في العالم، اذهبي إلى اليسار حيث غرفة الجلوس، وقد أشعلت النار في الموقد. لذلك تجدينني في قميص قطنيّ مع أنّ درجة الحرارة في الخارج عشرين تحت الصفر».

دخلت كلارا إلى الغرفة الأمامية، وقالت: «تصل درجة البرودة إلى هذا الحدّ في بلادي»، وتصوّرت طبقة الثلج الكثيفة التي ربّما باتت تغطّي المرج حول بيتهم العائلي في الدنمارك. ولكنّها نسيت كلّ شيء عندما وقع بصرها على داخل الغرفة الأمامية بسقفها المنخفض ذي اللون العاجي، والسُّقْف[1] الخشبية العريضة. وعلى الأريكة إلى جانب النافذة وضعت لورين مساند مقلّمة باللونين الرمادي والأصفر. وفي زاوية الغرفة ينتصب صندوق طافحٌ بالألعاب البلاستيكية، باستثناء بعض قطع الليغو التي لم تزل مبعثرة على السجادة. وفي الجهة المقابلة للباب كانت النيران في وسط الموقد تطقطق وتفرقع كأنها قلبه الأحمر والبرتقالي النابض. «هذا رائع!»، قالت وأحسّت بالارتياح ما إن وقفت أمامه ثمّ مدّت كفّيها تلقائيّاً نحو مصدر الدفء.

---

(1) السُّقْف: جمع سقيفة وهي العارضات الخشبية الأفقية المستخدمة لدعم السَّقف.

«ممتع إشعال الموقد»، قالت لورين بعد أن دخلت إلى الغرفة وراء كلارا، وأضافت: «ولكنّي لا أقوم بذلك سوى نادراً لأنه مصدر خطر على الأطفال في سنّ روري. لا أثق أنه لن يتسلّق الحاجز الشبكي ولن يفتح الباب ويحاول اللعب بالرّماد وربّما بالنار...». قالت لورين، وارتجفت لمجرّد تصوّر الفكرة: «يبدو لي أنه يذهب مباشرة إلى مصادر الخطر في كل مناسبة. حاول في المرّة الماضية الطيران بعد أن شاهد طائرة في الجوّ، وبعد حديثي المثير حول قوّة الطيران، الذي جعله على ما يبدو يفكّر بأنه يستطيع أن يرمي نفسه من السرير لأنه، كما قال، لديه جناحان عريضان أيضاً. كدت أموت رعباً عندما سمعت صوت ارتطامه بالأرض - وشعرت بارتياح كلّي عندما دخلت إلى الغرفة ووجدته يبكي، ثمّ يركض بعيداً عني إذ حاولت التأكّد من عدم إصابته بأذى جرّاء السقطة».

«يا إلهي، أتصوّر ذلك»، قالت كلارا، وتساءلت للحظة كيف ستكون هي نفسها إن أصبحت أمّاً. هل ستبالغ في الانتباه إلى سلامة أولادها، أم ستتركهم يسرحون ويمرحون بحريّة؟ ثمّ تابعت: «رؤية الأطفال في المتجر ممتعة للغاية؛ لم أتعوّد أن أكون في مثل هذا الجوّ من قبل. ولكني سعيدة جدّاً لأنهم يملأون المكان فرحاً وجنوناً».

«لا شكّ عندي بأنهم مجانين»، أكّدت لورين. «أخبريني، هل أتيت إلى هنا من الدنمارك لقضاء فترة محدودة؟ ولكنّك تبدين مثل فتاة إنجليزية بالضبط... كيف وصلت إلى سوفوك؟».

«أوصلني الترحال إلى هنا. إني في بريطانيا منذ بضعة أعوام. تركت وظيفتي منذ مدّة غير قصيرة»، أجابت كلارا، ثمّ تابعت: «لم أرغب في الاستمرار. جئت إلى هنا في الأساس لأني كنت أفتّش عن قرية مماثلة لتلك التي نراها في مسلسل «ميدسومر موردرز»

(Midsomer Murders) - وهو معروف جدّاً في الدنمارك»، أضافت ضاحكة لكي يبقى الجوّ مسلّياً.

«حقّاً؟»، سألت لورين.

هزّت كلارا رأسها إيجاباً، وقالت: «يعدّ دي.سي.آي. برنابي اسماً كبيراً في الدنمارك».

«غريب!»، علّقت لورين بعد أن رمت حطبة جديدة في الموقد.

«عملت في لندن بضع سنوات. ولكن ذلك أصبح الآن من الماضي»، قالت كلارا بسرعة وهي تتظاهر بالانشغال بخيط ناتئ من كمّ كنزتها.

انشغلت لورين فجأةً ولحسن الحظ بصوت فرقعة عالية صدر عن اشتعال الحطب في الموقد فتوقّفت عن طرح الأسئلة. إلّا أنها عادت لتقول: «بما أنك ترتدين لباساً رياضيّاً والطقس قطبيّ في الخارج، ما رأيك أن نمارس تمارين فيديو مسجلّة. لديّ تمارين على أقراص مسجّلة من أميركا وهي موجّهة إلى مستويات مختلفة في الجدارة. يمكننا القيام بتمارين المستوى الأوّل الآن وننتقل في الأسبوع القادم إلى المستوى الثاني».

«حسناً»، قالت كلارا مرتاحةً لابتعاد لورين عن الموضوع الأوّل، وإنّما غير متحمّسة للانزلاق في مطبّ التمارين الرياضية.

«دعيني أحضّر كلّ شيء إذاً. ولكن ماذا تتناولين؟ قهوة؟ شاي؟»، قالت لورين وتحرّكت في اتجاه المطبخ فيما سمعت كلارا تجيب: «قهوة». ثمّ عادت وبيديها صينية محمّلة بكوبين كبيرين وأنواع من البسكويت وصحن مليء بالفوشار.

«من المستحسن أن نشاهد التمارين أوّلاً لكي نأخذ فكرة عمّا

سنقوم به»، اقترحت لورين وأخذت تنزع غطاء النايلون عن القرص بأسنانها.

«آه، إنه جديد!»، قالت كلارا.

ضحكت لورين وقالت: «نوعاً ما، لكنه في الواقع منذ عيد الميلاد الأخير، ولكن لا تقولي شيئاً لباتريك فهو يظنّ بأني بلغت الآن المستوى الثالث في تمارين البطن».

ربّتت على بطنها، وتابعت: «الرجال بسطاء». ثمّ مدّت يدها ووضعت القرص في الآلة وعادت لتستريح على الأريكة. «تفضلي هناك حليب في الإبريق الصغير، وكريما وسكر إن أحببتِ». ثمّ أخذت حفنة من الفوشار وبدأت موسيقى المقدّمة تُسمع.

لم تمرّ عشر دقائق حتى كانت الأكواب قد فرغت، ونزعت كلّ منهما حذاءها وطوت ساقيها تحتها على الأريكة. راقبت المرأتان ثلاثة نساء على الشاشة تتمدّدن على الأرض، ثمّ تتكوّمن وتتحوّلن إلى كرات من لحم وعظم.

قذفت لورين قطعة ثانية من البسكويت المغطّى بالشوكولاتة إلى فمها. «صعب التنفيذ على ما أعتقد»، قالت، وتطاير بعض فتات البسكويت من فمها. قهقهت كلارا وسألت: «ألا ترين أنهنّ من نوع النساء الآليّات بالأحرى؟».

«ربّما يتمرّنّ طيلة ساعات النهار وكلّ أيّام الأسبوع ليصبحن كذلك»، أضافت كلارا وهي تفكّر.

«ربّما أجريت تحسينات على الصورة في الفيديو»، قالت لورين.

«أظنّ ذلك»، قالت كلارا ومدّت يدها لتأخذ قطعة بسكويت ثانية.

«لا، هذه مبالغة»، قالت لورين مشيرةً إلى الشاشة. وتابعت: «لا شكّ أنّ لديهنّ وظائف فوق السّحاب، ويحافظن على رشاقتهن إلى أقصى الحدود، «وكذلك» يعاشرن أزواجهنّ على أفضل وجه كلّ ليلة».

«هولد دا كايفت»، قالت كلارا معلّقةً بإعجاب على ما ترتديه إحدى النساء الثلاث وهو ثوب رياضي خاص يدعى ليوتارد.

«ماذا قلت؟ ماذا تعني هذه العبارة؟»، سألتها لورين.

«لا أعلم معناها بالتحديد. ولكنها غير لائقة حتماً. قد تعادلها بالإنجليزية عبارة «بلودي هيل»[1] بحسب ما أعتقد».

«أوه، عظيم!»، قالت لورين والتفتت إلى كلارا بعينين واسعتين، وأوضحت: «أستخدم دائماً كلمات تافهة بديلة لمفردات الشتائم التي لا أريد لروري أن يحفظها. حتى أن باتريك يصرّ بأن عليّ عدم استخدام كلمة تباً بعد الآن. وهي ليست حتى بشتيمة ولكن...». ثمّ مدّت يدها إلى صحن الفوشار ووضعت حبّة في فمها وتابعت: «علّميني بعض العبارات الدنماركية. معظم عباراتي الإنجليزية من غير معنى. تصوّري أني البارحة استعضت عن لفظ إحدى الشتائم باسم نوع من حلوى الشوكولا لأعبّر عن تأففي. كدت أبكي من هذا الوضع وأشعر أنه من الضروري أن يتغيّر».

«حسناً، ربّما الشتيمة الأكثر بذاءةً هي عبارة «رند كوس»»، قالت كلارا فيما شربت لورين الشاي الذي بقي في كوبها.

«لا أدري إن كانت كافية»، قالت لورين وهي تمسح محيط فمها بظهر يدها.

---

(1) Bloody hell: تعني هذه العبارة حرفيّاً: «جهنّم الدامية أو جهنّم الحمراء».

««رند ديغ» تحمل المعنى ذاته ولكنها أقوى»، قالت كلارا، وتابعت: «هناك «كولينغ» وتعني «ساقطة»، ولكني أستعين بالأولى عندما أشعر باستياء حادّ وأريد حقّاً قذف ذلك الشعور إلى الخارج. أمّا لو أردت عبارة موازية لعبارة «اذهب إلى الجحيم» فهي «غا آد» ويمكنك اللجوء إلى «لورت» فهي توازي عبارة «يا للقرف!»».

«أحب هذه الأخيرة، إنها أكثر قوّة ممّا يوحي به لفظها»، قالت لورين وهي تردّد الكلمة. «لورت!»، قالت من جديد وهي تشير إلى الموقد، ثمّ تلتقط لعبة على شكل رجلٍ من السلّة القريبة وتشتمه في وجهه: «غا آد!».

«جيّد جدّاً»، قالت كلارا مقهقهة وأشارت إلى الشاشة «انظري إليهن في حركة عصر المعدة».

ارتاحت لورين في المقعد بشكل أكبر وقالت: «أيّ امرأة هي هذه؟ أشعر بأني أكثر رشاقة لمجرّد وجودي معها في الغرفة».

أسندت كلارا رأسها إلى جلد المقعد الناعم إذ ساهمت رائحة الفوشار وقرقعة الحطب في الموقد في شعورها بالنعاس، فأغمضت عينيها للحظات مستمتعة بالدفء فتذكرت الأمسيات الدافئة في ليالي الشتاء الباردة مع عائلتها في الدنمارك: شرب مزيج البيض الطازج والحليب الدافئ حول الموقد العائلي، ولعب الورق الذي لا ينتهي. أحسّت باشتياق كبير لحلوى الشوكولاتة رومكوغل المنكّه بمشروب الروم. وتنبّهت كلارا إلى الغصّة في صدرها عندما تذكّرت مَن كان يحبّ هذه الحلوى بنوعٍ خاصّ. ثمّ قالت وهي تزفر نفساً كسولاً: «هيغي بامتياز».

«هل معنى هذه الكلمة سيئ أيضاً؟»، سألت لورين بقلق ظاهر.

«كلا»، أجابت كلارا بابتسام. «**هيغي** أمرٌ جميل جدّاً. إنه يعني... حسناً، لا توجد كلمة محدّدة في الإنجليزية تعادلها ولكنها تعني أن الجوّ حميم ودافئ جدّاً. نيران الموقد والمشروبات الدافئة، والصحبه اللطيفة والإنارة الخافتة... كلّ هذا يعني **هيغي**».

«**هيغي**»، ردّدت لورين وأضافت: «هذا جميل: أحبّه».

وما هي إلّا لحظات حتى اضطّرب جوّ الغرفة الهادئ، وتغيّرت إضاءتها بفعل نور مصابيح سيارة اقتربت من البيت، فنهضت لورين عن الأريكة فجأةً وتمدّدت على الأرض وطلبت من كلارا أن تفعل مثلها: «بسرعة كلارا، بسرعة».

أسرعت كلارا وتبعتها من غير أن تعلم حقّاً ماذا جرى. تمدّدت كلارا على ظهرها على السجادة وطوت ركبتيها فوق صدرها وكأنها في وضعية الولادة. حذت كلارا حذوها بالضبط وكانت على وشك السؤال عن سبب كلّ ذلك، عندما سمعت الباب يفتح، وأصواتاً خارج غرفة الجلوس.

«لورت»، همست لورين وهي تقوم بتمرين عضلات البطن.

ضحكت كلارا وفعلت مثلها، وتنبّهت لوجود فتات من البسكويت على صدرها.

ظهر باتريك وروري عند باب الغرفة، فاستدارت المرأتان لتنظرا إليهما واجتهدت كلّ منهما من أجل كبت أنفاسها اللاهثة. لاحظ باتريك للتوّ العشوائية في وضعيتهما على الأرض، ثمّ لاحظ الصينية وأوراق البسكويت الفارغة، وبقايا الفوشار والقهوة فرفع حاجبه بشيء من الاستغراب. «هل استمتعتما بالتمرين؟»، قال.

«بلى..»، أجابت لورين، وهي تستقيم لتجلس، وقد رفعت

إحدى ذراعيها لتضعها وراء رأسها في حركة تُسهم في مَغط العضلات وإراحتها. «مفيد جدّاً ومثير»، أضافت بعفوية مصطنعة.

أما كلارا وهي التي لا تتقّن الكذب أبداً، فهزّت برأسها قليلاً من مكانها المقابل للموقد. ولحسن الحظ، ساهم الدفء في الغرفة في احمرار وجهيهما وفي نجاح الحيلة.

«ماما، هل هذا نوشار؟»، قال روري.

«أوه لورت»، أجابت لورين.

الفصل الثاني عشر

بقيت كلارا لتناول العشاء مع لورين وباتريك. وكان العشاء طبقاً من الأرز المحضّر على الطريقة الإسبانية قدّمته لورين على صينيات في غرفة الجلوس. تناول الثلاثة العشاء فيما شاهدوا أحد أفلام الرّعب على شاشة التلفزيون؛ ويتناول الفيلم قصّة كاتب يعيش في الغابات. بعد انتهاء الفيلم، رافق باتريك كلارا إلى المتجر ولكنّ صور الرّعب لم تكن قد غابت عن ذهنها بعد، فإذا بها ترتعب كلّما لاحظت شبح أحد المارّة في الشارع.

لم تلحظ كلارا كم كانت الساعة عندما سمعت جلبة مفاجئة، وفتحت عينيها للتوّ في ظلام الغرفة الدامس. لمحت الأرقام المضيئة على شاشة المنبّه وهي تشير إلى ما بعد الثانية بقليل. هل استيقظ رودي؟ أم تحرّكت ليدي كاكا في قفصها؟ وفكّرت بفيلم الرّعب وبالرجل الذي يطارد الكاتب في الغابة. وبدأت الجلبة من جديد: هناك صوت؛ صوت خافت. تمدّدت وشعرت بالخوف يشلّها عن الحركة، وباتت وكأنها التصقت بالسرير. أحسّت بتوتّر وتشنّج في

عضلات جسمها، فاستكانت لتصغي إلى الصوت. ها هو يعود: حشرجة صادرة عن حنجرة رجل؛ شيء يصطدم بشيء آخر. يا إلهي، لم يكن ذلك وهماً. هناك شخص في الطابق السفلي. تسمع أصواتاً من أمام باب المتجر... إنهم هنا لسرقة المتجر؛ لسرقة غلّة يوم السبت. ليتها لم تترك المال في الصندوق.

ولعلّ تصوّرها بأنها تتكلّم إلى لويزا وتخبرها بصعوبة عن إهمالها الذي أدّى إلى سرقة المتجر جعلها تتحرّك فجأةً؛ فوضعت قدميها على الأرض ببطء واستقامت في جلوسها وشدّت نفسها لتتمكّن من الوصول إلى روب لويزا الملقى على إحدى الكراسي القريبة. قفزت أفكارها أشواطاً إلى الأمام فتصوّرت ماذا يمكنها فعله بينما لبست جواربها السميكة مدارية عدم التسبّب بأدنى ضجة. توقّفت الأصوات في الأسفل، فتوقّفت هي أيضاً عن الحركة وتأمّلت أن يكون السارق قد تراجع عن مشروعه عندما وجد القفل على الباب. ولكن عاد الرّعب ليستولي عليها ما إن فكّرت - هل أقفلت حقّاً ذلك الباب الداخلي المؤدّي إلى المتجر؟ أم نسيت إقفاله؟

علمت أنّه يتوجّب عليها إيقافه؛ فمشت ببطء شديد عبر الشقة وفتّشت بعينيها عن أي أداةٍ تساعدها. ثمّ أخذت بيدها رأس الحصان الخشبي المثبت على عصا طويلة، والذي كانت قد حملته إلى الشقة وجدلت شعر رقبته لكي يكون جزءاً من العرض في المستقبل القريب والذي سيتناول مشاهد من حياة رعاة البقر الأميركيين. اطمأنّت لثقل العصا في يدها ثمّ التقطت شريطاً كهربائيّاً طويلاً مزوّداً بلمبات صغيرة ويُستعمل عادةً للزينة، ولفّته حول ذراعها وكأنّه الحبل الذي يستخدم لاقتناص الخيل. شعرت إذ ذاك أنها أكثر استعداداً للمواجهة، واخترقت كيانها موجة غضب عارمة لوقاحة ذلك السارق

الأرعن . كيف يتجرّأ على الدخول خلسة ويُرعبها بهذه الطريقة؟ كيف تسوِّل له نفسه سرقة متجر ألعاب للأطفال؟ سوف تلقّنه درساً لن ينساه وتُفهمه بأنه سارق منحطّ.

ثمّ قرّرت بأن السرعة أساسية في مهمّتها ففتحت الباب واسعاً على الفور، واندفعت إلى الأسفل قفزاً والشتائم تنهمر من فمها صراخاً بالإنجليزية تارةً، وبالدنماركية تارةً أخرى. وعندما لمحت رجلاً ضخماً في معطفٍ طويل أسود عند أسفل الدرج يستدير فجأة لينظر إليها مشدوهاً استنتجت في اللحظة أنّ اعتماد أسلوب الصدمة خيار ممتاز ورفعت للتوّ الحصان الخشبي وضربت به الرجل على رأسه بأقصى ما لديها من قوّة.

«اللعنة!»، قال الرجل وانحنى إلى الأمام ورفع يديه ليقي رأسه من ضربة ثانية غير أنها سارعت ودفعته أرضاً ولفّت حوله الشريط الكهربائي بسرعة فائقة.

«يا للّعنة، ماذا تفعلين. . .؟»، وتعثّر خروج الكلام من فمه إذ التفّ الشريط حول وجهه وفمه.

لاحظت على الفور أنه غير مسلّح ولا يحمل بيده سوى مجموعة مفاتيح فسارعت إلى انتزاعها منه.

هدر بألفاظٍ غير مفهومة فأجفلها وقفزت بعيداً عنه إلى الوراء.

ثمّ استدارت وعادت بسرعة إلى الطابق العلوي لتدخل شريط الهاتف في المقبس، لأنها كانت قد نزعته من مكانه لتغلق الطريق على أحد المتصلين من شركة لبيع النوافذ كان قد اتصل أربع مرّات متتالية خلال أقلّ من نصف ساعة حتى نفد صبرها وشتمته بالدنماركية، وقالت له أن يذهب مع نوافذه العصرية إلى الجحيم.

ها قد نجحت وفعلتها؛ نعم، لقد قيّدت السارق بإحكام.

ولكنّها لن تطمئن قبل وصول الشرطة. ومن حسن حظّها أنه لم يتمكّن من الدخول إلى المتجر.

«لا تتحرّك فهم قادمون! لا ترتكب أي حماقة!»، وجدت نفسها تقول بصوتٍ عالٍ إذ عادت إلى مخيّلتها فجأةً بعض مشاهد فيلم الرّعب الأخير وتصوّرت الرجل يزمجر، ويزحف على بطنه صعوداً نحوها مستعيناً بإحدى يديه التي تشبه مخلب الحيوان، ومفتّشاً عن أداة حادّة قد تكون مرميّة في مكانٍ قريب (مذراة حديقة، أو سكين قاطع، أو منجل).

ما زال صراخه يعلو من حين إلى آخر، أما كلماته فلغط غير مفهوم بالنسبة إلى كلارا التي انشغلت في التفتيش عن الهاتف، فنزعت وسادات المقاعد، وأزاحت الأغراض في المطبخ من أمكنتها، لتعود وتجده في الدرج حيث وضعته تحت فوطة الشاي. حدّقت إلى الجهاز الذي بات في يدها، ولاحظت أنها، ولشدّة رعبها، لا تتذكّر رقم الشرطة الإنجليزية. طلبت رقم الشرطة الدنماركية بيدٍ مرتجفة وأنفاسٍ لاهثة فأتى الجواب بأنه لا يمكن الاتصال بذلك الرقم.

«لورت! يجب ألّا يعلم هذا»، قالت في نفسها، ثمّ صرخت بصوت مرتجف: «إنهم قادمون في الحال». وتخيّلت أنه ممدّدٌ على الأرض أمام مدخل الشقة يحدّق بها من تحت الباب، وقد حرّر أطرافه من الشريط وسيدبّ على ركبتيه نحوها لكي يقتلها.

لم ترفع عينيها عن الباب ولكنّها تمكّنت من طلب رقم هاتف مكتوب على ورقة كانت مثبتة على لوح الفلين المعلّق على الحائط. سمعت ضجّة أكواب ثمّ صوتاً تعرفه يقول: «أهلا بكم، هذه حانة فوكس أند هود، كيف أساعدك؟».

«غافن، أنا كلارا»، همست بصوت مكبوت، «هل تسمعني؟» قالت وضغطت الهاتف على أذنها وتمنّت من كلّ قلبها في تلك اللحظة لو كانت هناك في الحانة بين أشخاص لا يريدون قتلها.

«لويزا! هل هذا أنتِ؟ هل تتكلمين من إسبانيا؟ الحانة ملأى بالزبائن حتى الرّمة كما كان الحال في الماضي، ولكن نشتاق إلى وجودك. . . ».

لم يكن لدى كلارا الوقت لتتنبّه إلى أن صوته كان مختلفاً وأكثر رقّةً. فأسرعت إلى تصحيح الخطأ قائلةً: «كلا، هذه أنا كلارا»، وأضافت على الفور: «شخصٌ يريد اقتحام المتجر. أتصل بك من الشقة، والسارق في الطابق السفلي!».

سمع غافن ما يكفي من كلارا ليعلم بأنّ الأمر خطير، فبادرها بصوت عالٍ: «حسناً، امكثي حيث أنت وسوف آتي إليك في غضون ثوانٍ». شعرت للتوّ بشيء من الارتياح، وسمعته يقول لمساعده: «كلايف، عليّ أن أخرج لبضع دقائق، انتبه إلى الحانة ولا تسمح لأحد بفتح صندوق البقشيش. فُتح المرّة الماضية ولم يكن ذلك مستساغاً. لا تسمح للأمر أن يتكرّر».

كلام غافن لمساعده كان طبيعيّاً وساعد كلارا لكي تشعر بشيء من الأمان؛ فشدّت الهاتف إلى أذنها أكثر حتى ابيضّت أصابعها حوله.

عاد صوت غافن إلى السماعة: «اختبئي في مكان آمن، سوف أغلق الخطّ الآن ولكني قادم إليك في الحال. هل فهمت يا كلارا؟ لا تخافي ولكن اختبئي في مكان آمن».

«شكراً، همست كلارا»، وشعرت وكأن حنجرتها انعقدت لشدّة التأثر.

أقفلت الخطّ ووقفت تنصت لعلّها تسمع أصواتاً قادمة من الأسفل. ولكن عدا عن صوت لهاثها، وأنغام الموسيقى الوهمية المشحونة بالشؤم التي تتضارب في رأسها، لم تتمكّن من سماع صوتٍ آخر. ساد الصمت في الطابق السفلي فتجرّأت على الاقتراب من الباب مجدّداً واسترقت النظر إلى الأسفل.

ثمّ تنفّست الصعداء؛ ما زال مقيّداً حيث تركته ولكنّه يتأرجح ذات اليمين وذات اليسار محاولاً التحرّر من قيده. غير أن شعوراً بالفخر بقدراتها على تقييد رجل مثله سرى في جسمها كوميض البرق الهارب. وعادت إلى هواجسها: تُرى هل تختبئ في الحمّام؟ لن يتأخر غافن في الحضور فقد بدا في غاية القلق. سوف يحضر للتوّ، ولكن عليها أن تختبئ.

توقّف الرجل عن الحركة ومكث مكوّماً على نفسه كما الجنين في بطن أمّه. غير أنّه ما لبث أن نادى مخاطباً كلارا التي ربّما لاحظ ظلّها على الحائط: «أنا ابنها! أنا ابن لويزا!» صرخ مردّداً.

تجمّدت كلارا في مكانها. كيف عرف اسم لويزا؟ ربّما حالفه الحظّ ورأى اسمها على إحدى الرسائل في صندوق البريد.

«هذا ما قد يقوله السارق»، أجابت بصوتٍ متردّد، ثمّ عادت إلى الوراء لتدخل إلى الشقة.

استيقظت ليدي كاكا من نومها فجأةً، ونفضت جناحيها، ثمّ مدّت عنقها إلى الأمام وانطلقت: «جو، جو، السيّد جو، جزيرة الحبّ جو». تغلّب صراخها على ما بدأ السارق بقوله عالياً على مسامع كلارا.

«. . .، ابن المرأة التي سمحت لك السكن في بيتها، وسمحت لك إعادة فتح متجر الألعاب التي كانت تريد إقفاله. المرأة التي

أوكلت إليك الاهتمام ببغاء لعينة ومزعجة، وبأحد أكثر الهررة كسلاً في العالم. هل يمكن للسارق أن يعلم كلّ هذا؟ هل يمكنه؟».

بدأ الجزع يسيطر على كلارا فيما كان يتكلّم، وما إن انتهى من كلامه حتى خرجت من الشقّة وهبطت السلّم وانحنت فوقه مردّدةً: «أنت ابن لويزا. أنت جو؟».

نظر إليها عبر دوائر الشريط الملتفّ حول وجهه بعينين غطّت جفن إحديها لمبة منه. وقال: «أنا هو وأقدّر أنك الفتاة التي أوكلتها أمر الاهتمام بالبيت».

بلعت كلارا ريقها، وقالت بصوتٍ خفيض: «أنا كلارا»، ثمّ مدّت يدها لتحاول فكّ قيده. «آسفة... دعني، أعتذر، هناك لمبة في طيّة فخذك».

كان يتمتم بشيء غير مفهوم والعرق يتصبّب من فروة رأسه، وقد احمرّ خدّاه وتشعّث شعره.

شعرت كلارا بموجة من السخونة تعلو وجهها فيما حاولت نزع اللمبات التي كانت تعقّد عمليّة تسريح الشريط وكانت تسحب يدها في الحال بعيداً عن جسده كلّما لمسته عن طريق الخطأ، وتقول: «عذراً، هناك عقدة صعبة هنا»، ثمّ تبتعد قليلاً لكي يحاول حلّها بنفسه.

عندما استقام واقفاً ظلّل نور المصباح رأسه العالي وبدا وكأنه ملأ المدخل بقامته الضخمة. ثمّ رفع يده ليرتّب شعره فيما نظر إليها من عليائه بقرف.

«لا تتحرّك من مكانك. اذهبي يا كلارا من هنا!»، صرخ صوتٌ من الباب الخارجي. واندفع غافن إلى وسط المدخل ورفع زرّ

الكهرباء بإصبعه فعمّ الضوء المكان، فرمشت كلارا عينيها جرّاء التغيير المفاجئ.

مشى غافن بجزمته الضخمة، وما زالت فوطة مسح الأكواب ملقاة على كتفه. كان السارق -ابن لويزا- واقفاً في بحيرة من الشريط البلاستيكي المتشابك، وأثر ضربة الحصان الخشبي ما زالت ظاهرة على وجهه، وما زال ذلك الحصان المشؤوم ملقًى على الأرض بشعره البنّي المنتصب ينظر إليها بعينيه الزجاجيتين الرماديّتين ببرود. تذكّرت كلارا الصورة المعروضة في شقّة لويزا، وفكّرت في أن الشاب في الصورة كان مبتسماً، ولكن وباستثناء ذلك، استنتجت أنّ الوجهين متطابقان. ولكنّها لاحظت أنّه في الحقيقة أكثر نحولاً وشحوباً عمّا يبدو عليه في الصورة. ولكنّه أكثر أناقةً الآن، ومعطفه الطويل كما البذلة تحته يبدوان من تصميم دار أزياء فاخرة.

«ابتعِد عنها»، صرخ غافن وتقدّم قبل أن تتمكّن كلارا من التفوّه بكلمة، وأمسكَ بذراع الشابّ ولفّها إلى الخلف.

«آخ. . . اللعنة!»، صرخ جو وانحنى إلى الأمام.

«أمسكتُ به يا كلارا، لا تخافي». ولفّ ذراع جوّ بقوّة أكبر.

«آخ!».

«لا تتلوّى»، صرخ به غافن. «لا تخافي كلارا فأنت في أمان».

كانت كلارا قد رفعت ذراعيها إلى أعلى ملوّحةً بهما لتُنذر غافن بالحقيقة قائلةً: «لا بأس يا غافن، إنّه جو. كنت على خطأ». ونظرت إلى وجه غافن بعد أن سمع كلماتها.

«جو؟»، ردّد غافن. فيما تخلّى عن ذراع الشابّ، وأداره نحوه محدّقاً في وجهه. «جو. . . ابن لويزا؟» ثمّ ارتبك وقفز إلى الوراء

بعيداً عن الشابّ، وبادره مستغرباً: «ما الذي دهاك لكي تأتي إلى هنا في الثانية صباحاً؟».

«جئت من لندن وكنت أعمل على صفقة مع نيويورك»، أجاب جو، وانحنى ليخلّص قدميه من أشباك الشريط. وتابع بصوت هادر: «وإذا بأحدٍ يهاجمني في عقر داري». وصوّب إلى كلارا نظرة اشمئزاز أجفَلَتها.

«ظننتُ أنه سارق»، تمتمت في محاولة لإقناع نفسها بأنها فعلت الصواب. أما الحصان الملقى على الأرض فما زالت عيناه مصوّبةً إليها بتلك النظرة الزجاجية.

«حسناً، لماذا لا نصعد إلى فوق ونشرب شيئاً ساخناً؟»، اقترح غافن بعد أن أحسّ بأن الجوّ السائد بين الاثنين قادم على مزيد من الصقيع.

«فكرة جيّدة!»، قالت كلارا، وسرى فيها شعور حارّ بالامتنان، وتابعت: «سوف أغلي الماء في الحال. الشاي على الطريقة الإنجليزية كفيل بحلّ العقد».

وتسلّقت الدرج بجواربها السميكة بهدوء وتنبّهت إلى أنها كانت تلبس بيجامة لويزا وروبها الزهري الفاقع. مشت إلى المطبخ وصفّفت شعرها بيدها، ولكنّها لا تشعر بالسيطرة الكاملة على الموقف من غير حمّالة صدرها. ولم تفتها ملاحظة وَسامة وجه جو على الرغم من حمرة الغضب التي كانت تصبغه في تلك الساعة.

وقفت تضرب أظافرها على الإبريق الكهربائي في انتظار أن تغلي الماء داخله، وأمسكت أنفاسها عندما دخل الرجلان إلى الشقة. خلع جو معطفه وكان يرتدي بذلةً كحليّة اللون وقميصاً ناصع

البياض تحتها، فبدت أناقته المتميّزة غير منسجمة مع جَو الشقّة من حوله.

أمّا ليدي كاكا التي بدت أنها الوحيدة التي فرحت بقدومه، فراحت تقطع القفص جيئةً وإياباً وتشدّ برأسها إلى الخلف لتردّد: «سُررت برؤيتك، برؤيتك سُررت، يا جو»، حتى أنها لم تنعته بالأبله ولا مرّة واحدة. فتح رودي عيناً واحدة ليرى أنّ في البيت عدداً أكبر من الأشخاص، فرفع يديه إلى وجهه وتكوّم على نفسه لينام من جديد، وكأنه يقول: «أرجو احترام النائمين وعدم الإزعاج!».

«أهنئك فقد أنجزت الكثير في الشقّة»، قال غافن فيما تنقّل في أرجاء الغرفة ولاحظ النظافة والترتيب واللمسات التي أضافتها كلارا.

هزّت كلارا رأسها شاكرةً أنّه لاحظ الفرق. وفكّرت أنّ احمرار يديها وأوجاع ذراعيها ليست ثمناً باهظاً لقاء التحسين الذي أنجزته.

«يمكنك الآن رؤية الأرض على الأقلّ؛ كانت لدى لويزا دائماً أغراض كثيرة...، غير أن المكان يبدو مختلفاً الآن...، أكثر اتساعاً». وتابع التأمّل في التغييرات التي أحدثتها كلارا، وكانت هذه الأخيرة قد وجدت مجموعة من العلب المتروكة جانباً داخل بعضها البعض ففتحتها وضّبت في داخلها مئة غرض وغرض. ثمّ أخرجت أغطية جميلة من الخزانة ووضعتها فوق المقاعد والكراسي وأصلحت قواعد المصابيح وأضافت إليها اللمبات التي كانت تنقصها.

رفع جو نظره عن هاتفه الخليوي من طراز «آي فون» ليجول بنظرة سريعة على الغرفة، وليعود فوراً إلى الرسالة التي كان ينقرها. أرخت كلارا كتفيها ارتياحاً عندما وصلت الماء إلى درجة الغليان وارتفعت موجة من البخار في الهواء.

«شاي؟»، سألت.

«لن أبقى»، أجاب جو من غير أن ينظر إليها.

غيّرت كلارا طريقة وقوفها؛ أمرٌ غريب بشأن جو كان يُشعرها بالتوتّر. حاولت ألّا تبالغ في الاعتذار منه، ولكن تلك العلامة الحمراء التي ما زالت على وجهه لم تساعدها على الاسترخاء.

«لديكِ عددٌ كبير من الشموع»، قال غافن فيما انحنى لينظر إلى مجموعة الشموع إلى جانبي الموقد، وكان هناك مزيد منها على البلاطة الرخامية فوقه؛ وكذلك على مجموعة الطاولات الموضوعة في الزاوية، وعلى حافة كلّ نافذة بمختلف الأشكال والأحجام. «أتوقّع أنها تبدو رائعة جدّاً عندما تضاء».

«ربّما ستشتعل الشقّة»، تمتم جو بصوت خافت ولكنّه حرص على أن تسمعه كلارا التي تشنّجت في مكانها.

«لم ألمس في حياتي نسيجاً ناعماً مثل هذا»، قال غافن بعد أن اقترب من الكرسي الهزّاز ولمس الغطاء الصوفي الذي وضع مطويّاً على ظهرها. «أشعر بالدفء في هذا المكان»، أضاف.

«لديّ أفكار جديدة لم أنفّذها بعد»، قالت كلارا مرتاحة لذهاب الحديث في اتجاه آخر.

«هل تنوين استدعاء مهندس معماري لكي تقومي بهدم بعض الجدران وإقامة غيرها؟ أليس كذلك؟»، رمى جو السؤال بسرعة، وأدخل الهاتف في جيب سترته الداخلي.

«إنّي..»، فتحت كلارا فمها وعجزت عن إكمال جملتها لشدّة مفاجأتها بكلامه الجارح؛ فطوت ذراعيها فوق صدرها كأنها تتّخذ موقفاً دفاعيّاً.

فرك جو العلامة الحمراء على خدّه.

«هل ترغب بقطعة من الثلج لتضعها على وجهك؟»، سألته، وتوجّهت للتوّ نحو الثلاجة.

«ماذا، لأجل تخفيف الكدمة التي «صنعتِها»؟»، قال ورمقها بعينين ضيّقتين.

عضّت على شفتها. «إني آسفة حقّاً»، قالت، ثمّ صمتت لحظةً قبل أن تضيف: «على الأقلّ كنت أحاول الدفاع عن ممتلكاتكم». وابتسمت قليلاً محاولةً جذبه.

نظر إليها بصمتٍ قاسٍ. ويبدو أن محاولة جذبه كانت في غير أوانها.

«أدعوكِ لكي تأتي إلى الحانة وتساعديني ببعض الأفكار الجديدة»، تمتم غافن وبدا سارحاً في عالمه الخاص غيرَ متنبّهٍ للجوّ الجليدي الذي كان حوله.

«أحبّ ذلك بالطبع»، أجابت كلارا وهي تفتّش في الثلاجة جاهدةً عن قالب مكعّبات الثلج. وعندما وجدته استخرجت بضع مكعّبات وضعتها على فوطة شاي وأعطتها لجو. هزّ جو رأسه من غير أن يأخذ الثلج من يدها. «أين ستذهب إذاً؟»، بادرته من غير أن تفكّر في كلامها فيما تبعته بعينيها وهو يدور في الشقّة مقلّباً شفتيه، ثمّ رأته يتوقّف أمام السرير غير المرتّب ولاحظت أنه رأى حمالة صدرها متروكة على الأرض. ارتفعت الدماء إلى وجهها عندما أدار وجهه نحوها، وأجاب:

«سوف أنام في الحانة. هل لديك غرفة يا غافن؟».

«لديّ غرفة ومن غير مقابل»، أجاب غافن وهو يشير بيده موضّحاً العرض الذي يقدّمه.

«سوف أدفع الأجر بالتأكيد»، قال جو بصوتٍ خشن.

فتدخّلت إذ ذاك كلارا بالقول: «حقّاً؟ ولكن من غير المنطق أن تذهب إلى الحانة. أرجو أن تمكث هنا. هذا بيتك؛ بيت والدتك».

«أفضّل ألّا أفعل»، قال وهو يُخرج الهاتف من جيبه، وكانت المرّة الألف ربّما التي أخرج فيها ذلك الهاتف وأعاده إلى جيبه.

شعرت كلارا وكأنه رمى ذلك الثلج الذي في يدها على رأسها.

«لا حاجة لتتصرف مثل...»، وتفوهت بكلمة بذيئة بالدنماركية.

«مثل ماذا؟»، قال.

«لا شيء»، تمتمت، وحاولت أن تتذكّر بأنها ضربت هذا الشاب على وجهه وأنها تنام في بيته ويجب ألّا تُسيء التصرّف معه. ولكنّه لم يتوقّف عن إثارة غضبها بعينيه الضيّقتين، وثيابه الأنيقة جدّاً، وهاتفه الذي لا يتوقّف عن الرنين أو الارتجاج. ثمّ أحسّت بقطرات ماء بارد على قدمَيها فاستدارت بسرعة وأفرغت الثلج في حوض غسيل الصحون خلفها.

كان جو قد سار إلى الجهة المقابلة ليلتقط معطفه فأحسّت ليدي كاكا بأنه سيغادر من جديد، وما إن باشر بارتداء المعطف حتى انطلقت تردّد: «أنا والدك!»[1].

قطّب غافن حاجبيه مفكّراً ثمّ أعلن: «لا شكّ أن البقاء هنا ممتع ولكن عليّ الانصراف الآن. نهارٌ طويل في انتظارنا غداً». ثمّ التفت إلى كلارا قائلاً: «غداً موعد رفع الستارة عن واجهتك الجديدة؛ أليس كذلك؟».

«رفع الستارة؟»، سأل جو ورفع حاجبه مستغرباً.

«القرية كلّها تتكلّم عن الأمر يا جو. تعتمد كلارا أسلوب العدّ

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Star Wars.

العكسي في التشويق قبل موعد الكشف عن العرض الجديد في الواجهة»، شرح غافن.

ابتسمت كلارا ابتسامة هزيلة، فقد بدا لها موضوع المتجر والخطط التي تعدّها له بعيدة كلّ البُعد عنها في تلك الليلة.

«هل تعدّين شيئاً مثيراً؟»، سأل غافن بابتسامة عريضة، ولكنه عاد ورفع يده مقاطعاً كلارا عندما حاولت الردّ قائلاً: «كلا، كلا، لا أريد إلغاء عنصر التشويق... تعلمين أنّ لديّ فضولاً لمعرفته، ولكني سأنتظر إلى يوم غد». ثمّ توجّه إلى جو: «هل نذهب يا جو الآن ونترك كلارا لتنام وترتاح؟».

«يمكنني أن أبقى في الحانة... ويبقى جو هنا...»، أسرعت كلارا إلى القول بكلمات متعثّرة، فشعورها بالذنب كان يقيّد لسانها.

«لا أبداً! إني مصرّ على قراري»، ردّ جو فيما سار إلى الباب بأسلوب ينمّ عن السخرية.

«ولكن...»، قالت كلارا وعضّت شفتها بينما أمسك غافن بذراعها وهمس: «لا تخافي سوف أتدبّر كل شيء».

بلعت ريقها وهزّت رأسها ونظرت إليه متوجّهاً إلى الباب. أمّا جو فكان قد غادر الشقة وتناهى إلى سمعها وقع خطواته عند أسفل الدرج.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثالث عشر

مشى جو بصمتٍ إلى جانب غافن نحو الحانة ولَفَته وجود الفوطة على كتف هذا الأخير. رفع ياقة معطفه ليغطّي أذنيه وما زالت العلامة الحمراء التي تركتها الضربة بتلك العصا واضحة على صُدغه. كيف تتصرّف تلك المرأة المجنونة بهذه الطريقة؟ لو ازدادت قوّة الضربة قليلاً لقتلته. شعر بنبض مؤلم في رأسه. ويبدو أنّ ألم الرأس الخفيف الذي يشعر به عادةً قد اشتدّ الآن إلى درجة غير محمولة حتى أنه لم يتمكّن من الإصغاء إلى حديث غافن.

«حدث بعض التغيير بحسب تقديري منذ زيارتك الأخيرة للبلدة»، قال غافن مشيراً بيده إلى المتاجر في الجهة المقابلة. لم ينظر جو إلى جانبَي الشارع قبل أن يلفت غافن انتباهه إلى واجهات العرض الفارغة والتنزيلات المغرية بقصد الإقفال.

علّق جو بتمتمة غير مفهومة، إذ لم يكن قادراً على الإدلاء بأيّ كلام مفيد وسط غمامة الألم التي تضغط على رأسه.

«أثبتت لويزا بمغادرتها المفاجئة أمراً واقعاً بالفعل»، تابع

غافن، وأضاف: «كنت أعتقد أننا نمرّ بأزمة عابرة لا غير. ولكن عندما أغلقت الحانة القديمة عند منعطف الشارع في قرية غيغلزوورث المجاورة أبوابها، وذهب الزبائن في اتجاهٍ آخر، قلت لنفسي إني سأجتاز المرحلة وأنتظر انقضاء فصل الشتاء وسأنطلق في بداية جديدة بعد ذلك. جرى تصنيف قريتنا يولثورب كأفضل قرية من حيث ترتيبها وحُسن المحافظة عليها منذ أربعة أعوام لا أكثر. إنها قرية رائعة...»، تابع ببطء وقد أحنى رأسه.

«ولكنّها معزولة وسَبَقها الزمن بعض الشيء»، قال جو.

«ليس بالنسبة لنا نحن الذين نعيش هنا»، أجاب غافن بصوتٍ فظّ.

هزّ جو كتفيه استهجاناً وأضاف: «ما الحاجة لكل هذه السلسلة من المتاجر عندما يستطيع الناس الحصول على كلّ شيء عن طريق الإنترنت!؟ ثمانية وسبعون بالمئة من الشعب البريطاني يتسوّقون بهذه الطريقة. والمخازن الكبرى تحوّلت إلى مستودعات للبضائع في انتظار التوزيع».

«مع الأسف»، قال غافن.

التقط جو أنفاسه قليلاً ولاحظ أنه لم يخطر في باله يوماً أنّ هذا الأمر قد يكون مدعاةً للأسف؛ بل يجد فيه باباً لاختصار الوقت والجهد. وأخذ حذره من المعنى الضمني لكلام غافن بأنّ خياراته غير سليمة.

«لا أشعر بالأسف قطّ عندما أستقبل أينما كنت، وفي غضون ساعة من الوقت، طبقاً من السوشي بالقريدس مع صلصة واسّابي محضّراً في أرقى المطاعم اللندنية. كما أن الطلب عبر الإنترنت يعني

كلفةً أقلّ»، قال، وأسرع موضّحاً: «ولا أدّعي بالطبع أنّ أمر الكلفة يعنيني شخصيّاً».

هل أدار غافن عينيه تبرّماً بما سمع، أو توهّم جو رؤية ذلك؟

«أتوقّع مثلاً أنك تستمتع بتداول الأحاديث في كلّ مرّة تتوقّف لشراء سندويش»، قال جو بأسلوب دفاعي. وكان متعباً وغير قادرٍ على الاستفاضة في التفكير بسبب ألم رأسه المستمرّ.

«قد أكون من الطراز القديم»، صرّح غافن مستنكراً.

وصل الاثنان إلى الحانة وفتح غافن الباب الزجاجي أمام ضيفه إلّا أنّ الإضاءة القوية في الحانة جعلت كليهما يرمش عينيه انبهاراً. كان هناك وراء المشرب رجل أصلع الرأس يرصف الأكواب النظيفة على جهة من سطح المشرب. «كلّ شيء على ما يرام يا غافن، كلّ الزبائن غادروا ولم يلمس أحد صندوق البقشيش».

شكره غافن، بينما جالَ جو بنظره في أرجاء المكان فاستنتج أنه كئيب حقّاً. لم يدخل جو إلى هذا المكان من قبل ولكنّه سمع الكثير عنه من والدته - الأمسية التي يقدّم فيها طبق شرائح اللحم الطريّة؛ والمسابقة التي تُقام في الحانة أيام الاثنين؛ ولعبة الرماية التي تلعبها والدته مع غافن، الرجل العتيد. نظر إليه جو بعين المتفحّص: إنه ضخم الجثّة، مستدير القامة؛ ذو وجه سمين، ورأس ضخم يستريح على منكبين عريضين؛ ووشم على ذراعه مغطّى بكمّ القميص ما عدا أطرافه؛ تخيّل جو أنّ الوشم قد يمثّل حورية البحر أو قلباً يخترقه سهم. ثمّ تنبّه إلى أنه كان يرى كلّ شيء في تلك الساعة بمزاجٍ عدائي لم يستطِعْ الخروج منه بعد. وكلّ ما كان بحاجة إليه في تلك الساعة لا يتعدّى فرصة أن يرتمي في السرير وينام. ثمّ تلمّس الكدمة على وجهه عندما بادره غافن قائلاً:

«سوف أصطحبك إلى الغرفة»، وأشار بيده إلى يسار المشرب.

«إذاً، أخبرني عن شخصيتها، كيف هي؟»، سارع جو إلى طرح السؤال الذي كان يشغله.

نظر إليه غافن مستغرباً سؤاله في مثل ذلك الوقت، ونظر إلى ساعة الحائط ليذكّر جو بأنّ الساعة تقارب الثالثة صباحاً. «كلارا؟»، قال غافن.

هزّ جو رأسه، وأمسك بصعوبة لسانه عن القول: «أسأل عن كلارا بالطبع وليس عن الأم تيريزا». وكان ألم رأسه على ازدياد بعد هذه الليلة المضنية، ونهاره الطويل في العمل.

فكّر غافن وقال: «إنها واحدة من أولئك الناس الذين يجدون متعةً في أبسط الأمور؛ هل تفهم قصدي؟».

«أبسط الأمور؟»، ردّد جو.

«أقصد أنها تتوقّف أمام كلّ شيء لتتذوّق كنهه، لكي تعيش اللحظة الحاضرة... وباختصار، إنها ترغب العيش في سلام».

نظر جو إليه مشدوهاً، وأشار إلى آثار الكدمة التي ما زالت واضحة على وجهه. وفكّر أنها لا ترغب السلام بالتأكيد.

وضع غافن يده على مقبض الباب؛ وتابع: «قامت بتحسينات عديدة في المتجر وجاء الناس أفواجاً لرؤية العرض الأوّل الذي وضعته في الواجهة».

«العرض؟»، قال جو ورفع حاجبه.

وجدت في خبايا المتجر مجموعة كبيرة من الألعاب الخشبية والقطع القديمة التي أشكّ أن لويزا تتذكّر وجودها - تعلم كيف هي لويزا؛ وكيف تجمع الأشياء من كلّ مكان... هذه هوايتها أو حتى عشقها.

لم يكُن جو يعلم ذلك. لم يأتِ لقضاء فترة طويلة في البيت مع أمّه منذ زمن. أسّست لويزا المتجر منذ جاءت مع جو إلى يولثورب منذ حوالي عشرين سنة. كان جو في الثانية عشرة من عمره ووجد أن الفكرة في غاية الجاذبية. كان يحبّ قضاء الوقت معها في المتجر، واستعراض الألعاب مع الأطفال ومساعدتها في طلب ألعاب جديدة. كانا يزوران التجّار الموزّعين معاً ويشعر أنه أوفر الأولاد حظّاً. ثمّ أصبح مراهقاً واكتشف سحر الفتيات، وانتمى إلى فريق كرة القدم، وكان يهتمّ بدروسه لكي يحرز أعلى النتائج. وعندما انتقل إلى الجامعة في لندن، وباشر في ممارسة وظيفته الأولى في المدينة، أصبح متجر الألعاب بالنسبة إليه جزءاً طريفاً من ذكريات طفولته. ولاحظ أنه أهمل في السنوات الماضية حتى السؤال عنه.

«لا شكّ أنها أمضت وقتاً طويلاً في العمل على تحضير العرض الأوّل»، قال غافن، وتابع مبدياً إعجابه: «بدت سكة القطار الخشبية والعربات الملوّنة والملمّعة التي تمرّ فوقها وكأنها تقطع الجبال والوديان في أرجاء الواجهة بعد أن استعانت كلارا بمشاهد من لوحات بازل تمثّل الطبيعة والأرياف لكي توحي للناظر بجوّ جميل وأخّاذ جذب الأطفال كما الكبار إليه. إنها مبدعة من دون شكّ؛ ولو رأت لويزا ذلك لأحبّته كثيراً». شرد جو في نظرةٍ بعيدة ولاحت على وجهه ابتسامة باهتة وحزينة.

«وماذا تجني لنفسها في المقابل؟».

«ماذا تجني لنفسها؟»، عبس غافن وردّد السؤال، وكأنّ شيئاً أعاده فجأةً من سماء خياله إلى أرض الواقع. وأجاب: «أظنّ أنها تريد مدّ يد المساعدة لا أكثر».

همهم جو، وبدا أنه لم يصدّق قَطْعاً أن أحداً قد يأتي على حين

غرّة إلى قرية لا يعرفها ويعمل على تحسين شقّةٍ سكنيّة، وإدارة متجر من دون مقابل.

«من أين أتت؟».

«من الدنمارك، بحسب ما أظنّ»، قال غافن، واستدرك مضيفاً: «أو من النروج. لا أعلم بالتحديد، ولكنّها من إحدى البلدان الاسكندينافية بالتأكيد. من بلاد شركة ايكيا[1]...؟».

«ما الذي حملها من اسكندينافيا إلى ريف سوفوك؟»، سأل جو.

«لم أطرح مثل هذا السؤال عليها أبداً. تبدو متكتّمة إلى حدّ معيّن بشأن الأسباب التي حملتها إلى هنا. أعلم أنها تتنقّل من مكان إلى آخر - لديها حقيبة ظهر كبيرة تضع فيها كلّ أغراضها. ولكنّها تتكلّم الإنجليزية بطلاقة كأنها تعيش هنا منذ زمن طويل»، أجاب غافن.

«متكتّمة بشأن الأسباب. ربّما لديها ما تخاف الإفصاح عنه؟»، قال جو ملتقطاً الفكرة.

«حتى لو كان لديها ما لا تريد الإفصاح عنه، أشكّ أن يكون سيّئاً. إنها فتاة ممتازة يا جو؛ أمهلها قليلاً وستتعرّف إليها بشكلٍ أفضل. لولا وجودها...»، غير أنّ غافن لاحظ تعابير وجه جو وقرّر عدم المتابعة. هل كان ينوي القول بأنه لولا كلارا لما وجدت لويزا أحداً يساعدها؟ مجرّد التفكير بهذه الطريقة جعل مزاج جو أكثر حساسية.

«سنرى»، قال جو. علّمه والده ألّا يثق في الناس من الوهلة

(1) شركة سويدية عالمية معروفة للأدوات المنزلية والمفروشات.

الأولى، وألّا يؤخذ بحسن المظاهر. ربّما سيكتشف كيف تمّ خداع أمّه: كل ذلك الشعر الأشقر ولون البشرة الوردي والغمازات على الوجنتين، لا تعني عدم توخّي الحذر منها، إذ يبدو وكأنها استحوذت على عقول الجميع في القرية.

صعد جو وراء غافن على الدرج غارقاً في أفكاره، وما إن وصلا إلى الطابق العلوي حتى استدار جو نحو الباب الأوّل إلى يمينه.

«ليس هذا الباب»، صرخ غافن.

رفع جو يده عن مقبض الباب بسرعة. لا يرغب بالطبع أن يفاجئ ثنائيّاً في السرير، أو ضيفاً آخر يسير عارياً في الغرفة.

ثم نظر إليه غافن بعينين واسعتين ليؤكّد: «تلك هي الغرفة، غرفتك»، داعياً إيّاه للدخول إلى الغرفة المجاورة، حيث رأى جو سريراً صغيراً محشوراً في زاوية ضيّقة من الغرفة وتحت سقف منخفض تدعمه سُقُف خشبية سميكة. حرص جو على عدم إظهار ردّ فعل غير لائق أمام غافن، وهو الذي تعوّد على الشقق الفسيحة الفاخرة التي تستأجرها له الشركة، وتخيّل أنه لو تمدّد على الأرض في هذه الغرفة لأمكنه ملامسة جدرانها الأربعة بساقيه وذراعيه إذا أراد.

«شكراً»، قال، ومشى إلى داخل الغرفة.

«ليس لديك حقيبة؟»، قال له غافن، فتذكّر جو أنه ترك حقيبته في مدخل المبنى أمام باب المتجر. وفكّر أنه لن يسمح لأن تصيبه اللعنة مجدّداً، ولن يعود إلى هناك وينال ضربة أخرى على رأسه.

«أوف!»، زفر جو نفساً غاضباً.

«سأعطيك فرشاة أسنان»، قال غافن.

تجعّد أنف جو تقزّزاً عندما مرّ في باله أن غافن قد يعطيه فرشاة أسنان تركها زائر قبله.

«أظنّ عندي فرشاة جديدة ولا تزال في علبتها»، قال غافن وكأنه قرأ أفكار ضيفه.

كان جو معتاداً على غرف الحمّام الرخامية في الفنادق الفخمة المجهّزة بكل ما يحتاجه الضيف من المستحضرات الفاخرة والمناشف القطنية من الصناعة المصرية عالية الجودة. وإذا بكشرة تقتحم وجهه لدى رؤية المرشّة الصغيرة، وكرسي الحمام الأخضر اللامع بلون قشرة الأفوكادو، ومربّع المرآة الصغير المثبت على الحائط. ثمّ عاد غافن بالفرشاة وتمكّن جو من إظهار امتنانه عندما أعطاه أيضاً معجون أسنانٍ ومنشفة.

«حسناً، أتمنى أن تكون مرتاحاً، ليلتك سعيدة!»، قال غافن بصوتٍ أجشّ عندما همّ بالانصراف.

هزّ جو رأسه وأغلق الباب، إلّا أن شعوراً بالندم على مزاجه السيئ انتابه على الفور. كان يريد أن ينام في سريره بعد ذلك اليوم غير الطبيعي في المكتب. سوف يعتذر منه في الصباح، ولا يبدو أن غافن من الذين يحقدون.

وفيما كان واقفاً في الغرفة لاحظ أن ارتفاع السقف عن رأسه لا يتعدّى بوصتين. ثمّ نظر إلى السرير الضيّق تحت السقيفة والستارة المفتوحة، والنافذة التي لا ترى منها سوى السماء الكحليّة والنجوم. أما أقرب الأضواء الأخرى فتبدو على بعد أميال. لم يأنس جو إلى بحر الهدوء العميق الذي غرق فيه، وفكّر بالاختلاف الشاسع بين لندن وسوفوك.

نظر إلى ساعة يده: الثالثة وعشر دقائق صباحاً؛ سوف يتحقّق

من بريده الإلكتروني، ويبعث ببعض الرسائل السريعة إلى فريق عمله؛ من المفيد بالطبع تذكيرهم أنه ما زال يعمل هو أيضاً حتى هذا الوقت.

أقفل الستائر المطبوعة بالأزهار وألقى رأسه على ظهر السرير المغطّى بقماش مخملي، ولكنه وفيما حاول التركيز على الرسائل التي وصلته، طار فكره ليستعيد أحداث تلك الليلة. يبدو أن فريقه بات على وشك إتمام الصفقة. سيكون هناك شركة جديدة على قائمة الأهداف ولكنّه يستطيع إدارة المشروع الجديد من هنا خلال بضعة أيّام. سيطلب من باميلا المساعدة والتغطية على غيابه. لدى الشركة هدفان في هذه المنطقة؛ سيقول إنه جاء لكي يدرس من قرب موضوع الصفقة المقبلة. يرغب في البقاء في سوفوك ليرى حقيقة ما تنوي هذه المرأة فعله. وحاول ألّا يقلق بشأن ما قد يقول زميله توم، وهو المدير الآخر الذي في مثل منصبه، لو علِم بغيابه.

قام إلى الحمّام لينظّف أسنانه فرأى وجهه رمادياً في المرآة، وعينيه حمراوين بلون الدماء، ثمّ استنتج أنّ السبب يعود إلى الإضاءة السيئة. وقبل أن يعود إلى السرير مدّ يده إلى جيب قميصه وأخذ منه حبتين من الدواء لتسكين وجع رأسه. ثم خلع حذاءه، ودخل تحت اللّحاف الرقيق وأغمض عينيه. كان رأسه لا يزال ينبض ألماً عندما تسلّلت صورة كلارا لتختبئ تحت جفنيه قبل أن يغرق في نوم متعسّر.

وجدت منطقة الداخل الإسباني شديدة البرودة فقرّرت التوجّه إلى جزر الكناري. إني الآن في إلكوتيللو على شاطئ فيرتفنتورا، والطقس هنا أكثر دفئاً بكثير. ولكن الرياح أشدّ ولذلك فقدت قبعتي التي أحضرتها معي لوقاية رأسي من الشمس. انضممت إلى مجموعة تقوم بتمارين يوغا، وأرجو أن تخبر كلارا إن المدرّب من الدنمارك ويستطيع القيام بحركات «سيرزا باداسانا» بأسلوب رائع. يبدو وكأن لديه مفاصل مزدوجة في كلّ جسمه؛ لا تتخيّل كيف يمكنه التلوّي وطيّ أعضائه.

لا أصدّق أنها ضربت جو المسكين. حبيبي، هل الكدمة كبيرة؟ سيغضب منها بالطبع. ولكن كان عليّ تحذيرها من أنه قد يأتي في أيّ وقت. أرجو أن تُعطيه قبلة مني. كم جميل منه أن يأتي للزيارة! أتمنى أن ينسجما. إنها قادرة على جذب أيّ كان، أمّا جو فيحتاج إلى أن يهدأ قليلاً. كنا متلاصقَين ومتعاضدَين لدرجة عالية عندما كان صغيراً وغادر أبوه البيت. أتذكر يا غافن إني أخبرتك كيف كان يقف على الطاولة في وسط الشقّة ويتلو لي أشعاراً عندما يراني حزينة لأنه كان يَعلم حبّي للشعر. إنّه شابٌ طيّب في العمق - أشتاق أن أضحك معه. غير أنه بات جديّاً إلى درجة مستحيلة الآن.

شاطئ فيرتفنتورا رائع. الجميع هنا شبه عارٍ؛ نمرح في البحر ولا شيء مستور.

يسرّني أن يكون حال المتجر قد تحسّن، ويبدو أن العرض في الواجهة كان رائعاً. ولكن ماذا عن حيواناتي؟ هل ما زالت ليدي كاكا بذيئة؟ هل ما زالت تقذف الماء من فمها كلّما ظهر فيليب شوفيلد على شاشة التلفزيون؟ مسكين فيليب! لا أفهم ما الذي يُغضبها بشأنه مع أنه يبدو خلوقاً للغاية. نصحني الطبيب البيطري أن أضع قفصها على الأرض فقد يساعد هذا على تسوية حالة «الاضطراب في الشخصية» التي تعاني منها. بحسب قوله، إن وضع قفص الببغاء في مكان أعلى من مستوى رؤوس الناس حولها، يجعلها تعتقد بأنها متفوّقة عليهم فتتصرّف بعجرفة. يا له من أحمق وشرّير؛ سوف أستشير الطبيب البيطري في غيغلزوورث بعد عودتي. قلت له مراراً أن لا علاقة لمكان القفص بالأمر. ليدي كاكا تتصرّف دائماً وكأنها متفوقّة على الناس وأقول بصراحة إن تعليقاتها المصيبة على نشرة الأخبار كلّ مساء يبرهن على أنها حقّاً متفوّقة. تخيّل لو أخذت بنصيحته. هل يمكنك تصوّر ليدي كاكا محتقرة وضعيفة تتسوّل قطعة من الخبز. هذا أمر مرفوض وعقيم!

هل قرّر رودي أن يفعل شيئاً أفضل في حياته، أم ما زال يترنّح من مكانٍ إلى آخر في معطفه الدافئ غارقاً في أحلامه؟ أشتاق إلى يوم يعود فيه إلى البيت ممسكاً بفأر ميت في فمه. ربّما وجوده الآن مع فتاة دنماركية سيساعده ليصبح محارباً. لا بدّ أنها تحمل بعض دماء الفايكنغ في عروقها.

لجأت يائسة إلى استخدام القطع ذات الأحرف المزدوجة ولكنّها لم تفدني كثيراً. أشعر أنني سأقع تحت خسارة فادحة. أخاف من أني لن أنجح سوى إذا استخدمت كل القطع الباقية لديّ. إن كنت تمتلك حرف «ك» فسوف أصرخ وجعاً: لأني أحتفظ بكلّ الأحرف التي تناسبه.

الفصل الرابع عشر

استبدلت كلارا الرقم الخشبي (1) برقم (0) ورفعت الستارة وشهقت عندما رأت ثلاثة أطفال وذويهم ينتظرون أمام الواجهة. لوّحت لهم بيدها وابتسمت، فيما تقدّموا من الواجهة لاكتشاف ثمرات عملها الطويل. وإذا بفتاةٍ صغيرة تصفّق وتُشير إلى أحد الرجال الآليين ثمّ تشدّ بثوب أمّها لكي تقترب أكثر.

كانت كلارا مرتاحة حقّاً لنتيجة عملها. فقد أمضت ساعات في التنظيف والتفتيش عن البطاريات المطابقة لجميع الرجال الآليّين، ثمّ انتهت إلى تشغيل بعضها التي باتت تحرّك أذرعتها صعوداً ونزولاً ولكن من غير أن تتحرّك من مكانها. أما أرض الواجهة فجعلتها تبدو مثل سطح كوكب يتخلّله عدد من النتوءات والحفر؛ ثمّ وضعت ألعاباً تمثّل حيوانات غريبة الأشكال كأنها مخلوقات فضائية متنوّعة تجتمع حول مجموعة أخرى من الرجال الآليين الذين يُصدرون أصواتاً ويتحرّكون. أما خلفية المشهد فصبغتها باللون الأزرق الغامق -ولعلّ آثاره ما زالت باقيةً تحت أظافرها- ونثرت مجموعات من النجوم

بأحجام مختلفة فوقه، واستعانت بشريطٍ كهربائي مزوّد بعدد من لمبات الزينة الكبيرة التي صبغتها باللون الأحمر وتتوهّج بأنوارٍ متقطّعة، حتى اكتمل العمل بمشهد فضائي متحرّك من المستقبل.

سمعت خشخشة الجرس التي تعلن عن انفتاح الباب وهمهمة الأصوات داخل المتجر قبل أن تصل إلى مكانها وراء الصندوق، فارتجف قلبها وكاد يقفز من مكانه.

«ما هذا يا كلارا؟ العرض رائع!»، اندفعت لورين قائلةً وقد دخلت بسرعة الريح، وروري على ذراعيها يتلوّى ويشير إلى الألعاب محاولاً التحرّر والنزول إلى الأرض. «يعشق روري الرجال الآليّين ذوي الرموش المخيفة والمفكّات في مكان الأيدي. لا يمكنني البقاء طويلاً ولكن أهنئك على العرض الرائع؛ سأخبر جميع المعلمات في الحضانة عنه مع أن الأضواء الوامضة تلفت النظر إليها من مسافة مئة ياردة أو أكثر - يبدو هذا المتجر مثل شعلة مضيئة وسط المحيط الرمادي».

«يسرّني سماع هذا، وإني في غاية الحماسة بشأن هذا العرض»، قالت كلارا.

اقتربت لورين منها وهمست: «أرى ذلك لأنك تبدين وكأنك لم تنامي في الليلة الماضية قطعاً».

«ملاحظتك في مكانها»، قالت كلارا، وكبتت تثاؤبةً كادت تخرج من فمها قبل أن تضيف: «جاءني زائر الليلة الفائتة».

«زائر؟»، ردّدت لورين وقد رفعت حاجبها: «يبدو أن أمراً غامضاً ومثيراً قد حدث».

إلّا أن زبوناً اقترب من كلارا قبل أن يتسنّى لها الشرح.

«اسمعي، عليّ الذهاب بسرعة. تعالي إلى منزلي بعد إغلاق

المتجر لنتحدّث». وخطت إلى الوراء في اتجاه الباب بعد أن نقلت روري حول خصرها من جهة إلى أخرى، قائلةً له: «أعلم يا حبيبي أننا تأخرنا؛ ولكنّنا نتأخر دائماً وقد تعوّدوا علينا».

لم تبرح كلارا مكانها خلف الصندوق بعد ذلك، وانشغلت طيلة ساعة أو أكثر بتلبية طلبات الزبائن ولفّ الألعاب، ولكنّ عدد الرجال الآليّين الذين يجري تحريكهم عن بُعد لم يكن كافياً؛ كما أنّ المخلوقات الفضائية الغريبة المزوّدة بثمانية أعين قد نفدت تقريباً. وكل هذا في صباح يومٍ واحد؛ غمرت كلارا موجة من الحماسة تدفعها إلى الاتصال بغافن لكي يتّصل بلويزا ويُخبرها بما يحدث. وسارعت إلى التقاط صورٍ للمتجر مليئاً بالزبائن. يا لروعة سماع مثل هذه الضجة وأصوات الأطفال وضحكاتهم!

وما إن همّت لتضع آلة التصوير جانباً حتى لمحت كلايف في وسط المتجر يمشّط سوالفه بيديه ويعضّ على شفته. أومأت إليه بتحيّة وابتسامة وتساءلت عن سبب وجوده في المتجر، فاحمرّت وجنتاه وكذلك تلك البقعة الخالية من الشعر في أعلى رأسه.

اقترب من الصندوق وقال: «أريد شراء نجوم مضيئة لأضعها على سقف الغرفة الإضافية في منزلي لكي أفاجئ بها ابن أختي عندما يأتي ليزورنا». كان يتكلّم بصوتٍ خفيض متلعثماً بألفاظه، ويسترق النظر إلى الخلف ولا يبدو مرتاحاً.

«بالطبع»، انطلقت كلارا بالقول: «فكرة رائعة»، غير أنّ كلايف ازداد احمراراً.

وما إن وضعت كيس النجوم أمامه على المنضدة حتى شعرت فجأةً بتيّار من الرّيح الباردة يخترق المتجر. كانت روز بهيكلها الطويل تقف قبالتهما أمام باب المتجر المفتوح وتنظر إليهما شزراً.

وكان كلايف قد سارع محاولاً الاختباء وكاد يختفي وراء المنضدة. ولكنّه ما لبث أن غمغم:

«روز!».

«كلايف»، قالت وهي تقترب وعيناها على الكيس، «هل اشتريت شيئاً؟».

بدا كلايف ذليلاً، وسرعان ما نفض يديه كأنه ينفي وجود الكيس وإيصال الدفع إلى جانبه.

وقبل أن تتمكّن كلارا من مساعدته، لاحظت أنّ الرجل ذي العينين الخضراوين والنظرة الثاقبة دخل إلى المتجر، ولكن من غير ابنته هذه المرّة، وبمزيدٍ من الشعر المتروك من غير حلاقة عند أسفل ذقنه. مشى متلكّئاً أمام التماثيل الصغيرة التي تمثّل أعضاء فرقة «وان دايركشن» الموسيقية وابتسم ابتسامةً غير واضحة وهو يومئ إليها بالتحية.

عرفت كلارا أن عيني روز تسمّرت عليه منذ أن أخرج آلة التصوير الكبيرة واقترب من الصندوق. «هاي»، قال، وابتسم ابتسامة رائعة أظهرت أسنانه البيضاء وخطّ فراغ رفيع بين سنّيه الأماميّين. «أنا سام» ومدّ يده ليصافحها بقوّة، فوصلت إلى أنفها رائحة النعناع عندما تكلّم. «سبق وتقابلنا بسرعة»، قال.

«أذكر ذلك»، أجابت كلارا، وكادت أن تضيف: أنت الأرمل الوسيم ذو العينين الثاقبتين؛ ولكنّها أحجمت عن قول ذلك بالطبع، وأجابت: «أنا كلارا».

«مرحباً كلارا»، ولفظ حرف اللام في اسمها بطريقة لا تخلو من الجاذبية. نظرت إلى وجهه بتمعّن حتى انشغلت عن الانتباه حقّاً لما

قاله بعد ذلك: «إني صحافي أعمل في الجريدة المحليّة وأرى أنّ واجهة متجرك قد تكون مادّة لقصّة شيّقة في الجريدة. هل توافقين؟»، سألها وهو يحمل الكاميرا استعداداً لتصويرها.

«أوه!»، قالت كلارا ما إن وصلت فحوى كلماته إلى ذهنها. وأضافت: «لست متأكّدة»، وكانت تريد القول بأنها لا تملك المتجر، ويترتّب عليها طرح السؤال على صاحبة الملك قبل أن تجيبه. في تلك اللحظة ظهر جو في المدخل وطفق يتأمّل في كلّ شيء؛ في الأطفال وحماستهم، وفي الواجهة والعرض، وفي الرجل الذي يحمل الكاميرا أمام كلارا التي تقف خلف الصندوق وكأنها تستعدّ ليصوّرها. علمت كلارا للتوّ كيف سيبدو الأمر في عينيّ جو؛ سيظنّ أنها دعت الصحافة المحليّة للتحدّث عنها والتقاط الصور؛ وسيظنّ أن حبّ الظهور لديها كبيراً وأكبر من كلّ شيء آخر.

«جو، هذا سا ـــ»، باشرت كلارا إلى القول.

ولكنّ جو الذي قلب شفته السفلى امتعاضاً وبدا غير آبهٍ بما تقول، قاطعها بأنه جاء ليأخذ حقيبته لا غير، ومشى نحو الباب الجانبي مضيفاً: «لن أبقى هنا أكثر من دقائق؛ ولن أزعج عمليّة التقاط الصور»، قال محدّداً، وغاب بسرعة عبر الباب وإلى الممرّ.

أحسّت كلارا بموجة من الحرارة تعلو وجهها. أرادت التوضيح بأنه جاء يعرض عليها التقاط الصور ولم ترسل هي نفسها في طلبه، وأنها كانت ستسأل رأيه بهذا الشأن.

فرحت روز بما يجري أمامها، وأسرعت وراء جو وهي تناديه. عندما عاد جو حاملاً حقيبته، حيّاها بابتسامة جامدة ولكنها أصرّت على احتضانه وتقبيل خدّيه.

تراجع كلايف أمام هذا المشهد خطواتٍ إلى الوراء، وتمنّى لو كان باستطاعته الذوبان بين أعداد الألعاب المعروضة وراءه والاختفاء من ذاكرة روز كلّياً. أما كلارا فانشغلت بزبون كان قد اقترب من الصندوق.

«يبلغ ثمنها اثني عشر باونداً»، قالت فيما حاولت استراق السمع إلى حديث روز وجو. غير أن خطّاً طويلاً من الزبائن ارتسم أمامها في تلك اللحظات، وكان سام قد انسحب إلى إحدى زوايا المتجر، ثم قرّر الخروج فجأةً فتبعته بعينيها عندما مرّ من أمامها.

وقف جو مع روز في إحدى جهات المتجر، ولم يرفعا أعينهما عنها، وكانا يراقبان كلّ حركة تقوم بها. وما إن خفّ الازدحام أمام الصندوق حتى باتت تصل إلى أذنيها انتقادات روز فتشعر بالتوتّر وتنقبض يداها ضيقاً واستياءً. ومن التعليقات التي سمعتها: المتجر مبتذل وحقير؛ والعرض في الواجهة غير حقيقي ويعتمد أسلوب الحيلة لاجتذاب الزبائن. وتقول روز إنها لا ترى أي فحوى للضجة التي يثيرها المتجر.

«حتى النجوم المضيئة فهي غير مضيئة بسبب نور النهار»، أضافت، وذيّلت كلامها بضحكة خسيسة ساخرة جعلت كلارا تستدير نحوهما وتقول:

«تبدو تلك النجوم رائعة في الليل. أنوي إبقاء الستائر مفتوحة إلى ما بعد موعد الإقفال بقليل حتى يتمكّن الأطفال من زيارة المتجر ومشاهدتها، خصوصاً وأن الشمس تغيب باكراً في هذه الأيام».

«إبقاء الستائر مفتوحة في الليل يعرّض المتجر للخطر»، قالت روز، ونظرت إلى جو الذي لم يُعِر الشرح الذي أدلت به كلارا انتباهاً.

«لا يمكنك ترك الستائر مفتوحة طوال الليل»، قال، وبدا موقفه المشكّك بشأن حريّة التصرّف التي أعطيت إلى كلارا في الشقّة والمتجر أكثر بروزاً.

«أعلم ذلك»، تمتمت كلارا مستهجنة كلامه. ثم ابتسمت عندما اقترب صبيّ ذو وجه منموش ليضع إحدى الألعاب الطرية التي تمثّل كائناً غير أرضي على الطاولة أمام الصندوق، ووالدته التي تداعب بإحدى يديها شعره الأحمر، تحاول باليد الأخرى فتح حقيبة يدها لتدفع ثمن اللعبة.

«سيكون تصرّفاً غير مسؤول كلّياً. وستعرّضين المتجر إذ ذاك للسرقة بالفعل»، تابع جو توجيهاته إلى كلارا بنبرة المحاضر، وكان يبدو مثيراً للضحك بمظهره الرسمي والأنيق بين ألعاب «باربي»، وسكك القطار الخشبية الملوّنة بالأصفر الفاقع.

استغلّ كلايف الفرصة وتسلّل إلى خارج المتجر، غير أن روز لمحته خارجاً فلحقت به تؤنّبه بهسيس منخفض. وعرفت كلارا بأنّ كلايف المسكين سيدفع ثمن زيارته للمتجر وقرّرت أن تبادره بالتحيّة كلّما رأته.

كان جو قد اقترب من كلارا عندما ظهر سام وبيده آلة التصوير من جديد. وما إن أطفأ سام الضوء القويّ المنبعث من الكاميرا إلى يسارها، حتى التقطت أنفاسها ومشت حول الصندوق، ووقفت إلى جانب جو ولفّت ذراعها حول ذراعه. كانت تحاول استمالته لتُخبره عن الأمور الرائعة التي تريد تحقيقها في المتجر.

«إنه ابن السيدة التي تملك المتجر»، أعلنت كلارا أمام سام بابتسامة. ثمّ توجّهت إليه: «ابتسم يا جو فالصحافة تساعد في إنجاح المتجر».

رفع جو يده ليحجب وجهه عن عدسة الكاميرا وكأنه أحد المشاهير الذين يضيقون ذرعاً بملاحقة المصوّرين لهم. إلّا أن الحركة التي قام بها جعلتها ترغب في مضايقته قليلاً، لأنه يبدو مبالغاً بالجدّية وكأنه لا يعلم معنى الاسترخاء أبداً. وفكرت بصورته المعروضة في الشقة. كان أصغر سنّاً ومرتاح البال. ولكن أين أصبح ذلك الشابّ الآن؟

«هيّا جوّ، يجب أن يرى قرّاء الصحيفة وجهك القوي ونظرتك الحديدية»، قالت، واندفعت تتكلّم وتتحرّك بمرح وجاذبية بعد انكفاء الكاميرا. وتابعت: «ونريد كل الصحافة هنا أن تشهد على انطلاقة الحدث الكبير».

«أيّ حدث كبير هذا؟ لم أسمع به من قبل؟»، سأل جو.

«مشروعنا الكبير»، قالت بلهجة رسمية، واستدارت إلى سام: «مشروع ضخم؛ انطلاقة كبرى لنا. إني أعلن هذا الخبر لأوّل مرّة وأخصّ به صحيفتكم. أَدْخِلْ هذا الخبر إلى مقالك لأننا نريد الجميع أن يعلموا به ونريد حضوركم. وسيحدث في غضون أربعة أيّام».

«ولكن...؟ ماذا...؟»، وراح جو يفتح ويغلق فمه فيما تابعت كلارا الابتسام للكاميرا.

كان سام ينظر إلى كليهما، ثمّ قال: «أرجو التقاط بعض الصور لكلارا وحدها الآن». وعيناه تحومان حولها وتكاد تحترق في وهجها.

«هل تريد مني الوقوف هنا أو هناك؟»، سألته بنعومة فيما مشى جو بتشامخ إلى خارج المتجر. راقبته وهي تضحك في سرّها. الاستفزاز ليس من عاداتها ولكن شيئاً بشأن جو يجعلها ترغب في

استفزازه. إصراره على النظر إلى الحياة بهذه الدرجة من الجديّة يذكّرها بشخص آخر ومجرّد التفكير به يجعلها غير مرتاحة. تعلم تماماً ماذا يعني أن يعيش الإنسان بهذه الطريقة وتعلم أيضاً السعادة التي يحملها العيش بانفتاح وتسامح.

الفصل الخامس عشر

سوف يعود إلى المتجر عند وقت الإغلاق؛ يكاد لا يصدّق أنها تنوي عدم إغلاق ستائر الواجهة. ماذا بعد؟ هل ستترك الصندوق مفتوحاً أيضاً، وتسهّل على المارّة والجيران سبيل الدخول إلى المتجر وسرقة مال والدته؟ إنها بالتأكيد فتاة هيبيّة غير مسؤولة كليّاً. نعم، كان المتجر مليئاً بالزبائن ولكن ربّما تكون روز على حقّ، واهتمام الناس بزيارة المتجر ليس سوى من باب الفضول وعاصفة في فنجان، والجديد سيصبح قديماً في وقتٍ قريب.

وفكّر أنه كان على حقّ عندما قرّر البقاء؛ اهتمامها والتفافها حول ذلك المصوّر سيشغلها عن الاهتمام بالمتجر. واقشعرّ جسمه عندما تذكّر كيف نظرت إلى المصوّر. أيّ سبب يدفعها إلى التقاط الصور على كلّ حال؟ وحاولت جرّه إلى الظهور في الصورة أيضاً. كيف سيكون موقف رؤسائه لو شاهدوا الصورة؟ المفكّرة اليومية في المكتب تقول بأنه ذهب إلى منطقة نورويتش ليقابل أحد الزبائن، ولن يسمح لمقالةٍ في صحيفة محليّة أن تفضح كذبته.

انقضى النهار ولم يغادر الهاتف يده ولم تهدأ المخابرات والرسائل الإلكترونية عن حركة الذهاب والإياب بينه وبين أفراد فريقه في المكتب، الذين ما زالوا منشغلين في ترتيب التفاصيل النهائية بشأن الصفقة الأخيرة. كان أحد الموظفين قد اختفى عن السمع، ولم يُجب على الاتصالات القادمة إليه من المكتب يوم أمس، وزميل جو الذي يُدعى توم يصرّ على طرده. أمضى جو عشرين دقيقة على الهاتف محاولاً إقناع توم لكي يعود عن قراره، لأن الموظّف المذكور متفانٍ في عمله وغالباً ما يستمرّ في العمل وفي الردّ على الرسائل حتى ساعات الفجر الأولى.

عاد الألم إلى رأسه وتحديداً في المنطقة الأمامية خلف عينيه، فراح يمسّد صدغيه. ذهب عن فكره افتقار القرية إلى محلٍّ لبيع القهوة - ولا يعني ذلك أنه تعوّد في السابق الذهاب إلى مطعم بيرتري الذي غالباً ما كان يمتلئ بالزبائن، وغالباً ما كانت خدمته بطيئة لأنّ صاحبه كان يتمهّل ليسأل كلّ داخلٍ إلى المطعم عن صحته ونهاره. لم يتوقّف جو عن الإجابة على المخابرات والرسائل عندما صعد إلى سيارته وقادها إلى أقرب بلدة وأقرب مقهى ستاربَكس. وفيما كان يدفع أجرة المرأب العمومي حيث ركَن سيارته، لمح امرأةً تقرأ الجريدة، وثنائياً يجلس على مقعدٍ خشبي يتبادلان اللمسات والقبل، فمرّ في باله أنّ تلك البلدة على الأقلّ تعدّ نصف متمدّنة.

يا إلهي، عليه الاتصال بالفتاة التي تُدعى جيمّا وكان قد قابلها في الأسبوع الماضي بعد أن تبادلا بعض الرسائل القصيرة على صفحة تندر التي تسهّل التعارف بقصد الزواج. لا بأس بها وتبدو جميلة، وكانا قد تواعدا على اللقاء ثانيةً الليلة بعد العمل. ولكنّه أرسل لها رسالة فورية معتذراً وأحسّ أنه لن يلقاها مجدّداً. ثمّ تفقّد

صفحته الشخصية ووجد أن لديه ستة عروض للتعارف من فتيات يظهرن في غاية الشوق للقائه. وعندما استعرض أوصافهن تواليًا، استنتج أنهنّ جميعاً يتطابقن في صورة عامّة واحدة: امرأة بيضاء البشرة، تخطّت الثلاثين بأعوام قليلة، وترتدي زيّاً مهنّياً أنيقاً. كثيرات هنّ النساء في لندن، وفرص المواعدة واللقاء عديدة. لم يعُد يعلم في الواقع حقيقةً المواصفات التي يبحث عنها في المرأة. متى سيتوقّف عن كلّ ذلك؟ وهل سيحاول مرّةً أخرى مع هذه أو مع الأخرى؟ ولكنّه كان يمرّ بإصبعه على الواحدة تلوَ الأخرى من دون التوقّف عند أيّ منهن.

عاد إلى الحانة واستحمّ، وكان عليه أن يمدّ عنقه وفق زوايا مختلفة لكي يغسل شعره تحت المرشّة؛ ثمّ ارتدى قميصاً وسروالاً نظيفين. ترك سترته وربطة عنقه جانباً، وأسرع إلى ارتداء كنزة من صوف الكشمير من تصميم رالف لورين، ولبس حذاء من جلد الشاموا ومن طراز إيرلندي خاصّ يحمل توقيع المصمّم غرينسون. وعندما انتهى من تحضير نفسه وأحس بتحسّن في مزاجه بشكلٍ عام، تناول حبّة الدواء الثانية في ذلك النهار لمعالجة ألم رأسه. وعندما انطلق إلى الخارج، لفحه الهواء ببرودة مفاجئة فلفّ رأسه وعنقه بشاله الصوفي وتابع سيره في اتجاه المتجر.

كانت قد أغلقت باب المتجر ولكنّها لم تغلق ستائر الواجهة بعد. فإذا بالعرض الذي يدور حول موضوع الفضاء يطالع بوميض أضوائه المارّة من مسافة ميلٍ أو أكثر، وكأنه سهمٌ مضيء من أجل إهداء السّارقين إلى المكان بدقّة. لاحظ جو أنّ فتاة صغيرة ذات شعر طويل مجدول كانت تمسك بيد والدها وتحدّق في النجوم المضيئة المتألقة في سماء المشهد؛ حاول النظر إلى المشهد بعيني

تلك الطفلة واقتنع أنه مؤثّر بالفعل. ولكنها غير مسؤولة... فكّر وهزّ برأسه، وما إنّ همّ ليدخل ويكلّمها مجدّداً بشأن إغلاق الستائر حتى رأى الستائر تنغلق.

دخل إلى الممرّ فيما كانت تخرج من المتجر وتقفل بابه وراءها. «أوه، هذا أنت»، قالت ووضعت يدها على صدرها.

«هل أشعر بالأمان لأنك لا تحملين رأس حصان خشبي في يدك؟»، بادرها، مع أنه فوجئ بالكلام الذي خرج من فمه.

لم تتوقّع وصوله بغتةً بهذه الطريقة ولكنها أخفَت عن وجهها ومضة المفاجأة وابتسمت، فأحسّ للتوّ أنّ شيئاً في داخله يذوب. ثمّ جلست على أسفل الدرج لتُدخل قدميها في الجزمة المخصّصة للسير في الحقول.

«أودّ التكلّم إليكِ»، قال لها.

رفعت عينيها وأجابت بصوتٍ لا يخلو من نبرة دفاعية: «انظر، لقد أقفلت الستائر. لم أتركها مفتوحة سوى لوقتٍ قصير لكي يشاهد الأطفال العرض في طريق عودتهم من المدرسة».

«ليس بشأن الستائر -أعتذر، إنك على حقّ فالعرض لافت حقّاً. وإنّما بشأن ــــ».

«كان يوم عملٍ طويل»، قاطعته كلارا وانتصبت واقفة، ثمّ تابعت: «وأحتاج إلى السير في الهواء الطلق قبل الظلام وقبل أن يشتدّ البرد. أما إن أردت الكلام حقّاً فتعلم أين تجدني».

لم يتعوّد أن تجري مقاطعته في منتصف الجملة؛ ولم يتعوّد المشي في الطبيعة. «هل يمكنك...»، قال محاولاً إقناعها، ولكنّها بدأت تطقطق بلسانها معلنةً نفاد صبرها، فسلّم بالأمر الواقع، وقال «حسناً».

توجّه جو إلى الخزانة تحت الدرج ليُخرج منها معطفاً، وقال: «أحتفظ ببعض الأغراض القديمة هنا لوقت الحاجة». كان المعطف من طراز «باركا»[1] ومن مجموعة «كندا غوز» للشتاء الماضي. ثمّ أخرج هاتفه ومفاتيحه من جيبه ووضعها على الدرج لكي ينقلها إلى جيب المعطف لاحقاً.

كانت تغطّي رأسها بقبعة صوفية بنفسجيّة اللون وينساب من تحت القبعة شعرها الطويل الأشقر حتى أسفل ظهرها. «هل ستأتي إذاً؟»، سألته، ثمّ مشت إلى الخارج وتركته في عتمة الممرّ.

لحق بها وما زال يُدخل ذراعه في كمّ المعطف. «يا للعنة!»، تمتم مستنكراً فيما رآها تنعطف نحو شارعٍ فرعي. «ما الذي ينتظرها هناك ويستوجب كلّ هذه العجلة؟»، تابع في نفسه مسرعاً الخطى وراءها.

وجدها تقف مستندة إلى بوابة خشبية عريضة، كانت تدير ظهرها إليه وتنظر إلى الحقول وقد علا الزبد الأبيض سطح الأتلام المرتّبة والمستقيمة وتجمّعت بعض مياه الشتاء بينها.

«لنتحدّث عن المتجر»، قال محاولاً الشروع في كلامٍ كان قد أعدّه وتمرّس عليه في السيارة عندما كان قادماً من لندن.

«أوَليسَ المشهد أخّاذاً ويجعلك تنسى وجود البيوت كليّاً؟»، قالت، فيما كانت تتأمّل في المشهد المفتوح والممتدّ إلى مسافة أميال بعيدة.

مشى نحوها إلى البوابة والهواء البارد يعبث بشعره، ثمّ ضرب بقدميه على الأرض مراراً لتعلو حرارة جسمه. كان قد نسي كيف

(1) معطف من القماش مقاوم للماء والريح ومحشو بمادة عازلة للبرودة.

تتحوّل القرية فجأةً في هذا المكان إلى مساحات شاسعة من الحقول وخلفها الغابة. كان يمضي ساعات طوال هنا مع رفاق المدرسة فيبني الخيم على طريقة الهنود الحمر، ويقطع مجرى السواقي، وينحدر بدراجته فوق الممرات المغطّاة بأوراق الشجر الذابلة ويتسلّى برسم الدوائر على الوحل بعجلات دراجته. ولكن كل ذلك انتهى فجأة عندما أصبح مراهقاً وانشغل في الدرس والامتحانات، وبات يذهب أحياناً في عطلة نهاية الأسبوع لزيارة والده في لندن. كما لم يعُد يرغب غالباً في العودة إلى هذه المنطقة النائية، فكثرة أعماله تمنعه من القيام برياضة المشي المفيد في الطبيعة التي غالباً ما تغنّت بها أمّه لدرجة كان يخالها اكتشفت العجيبة الثامنة بعد العجائب السبع في العالم.

«إنّه كذلك»، أجاب موافقاً لكي يجلب انتباهها إلى ما سيقوله. ثمّ تابع: «لا بأس إنك دخلت إلى المتجر وتسلّمتِ كل شيء بهذه الطريقة، ولكن... هل تصغين؟».

«عذراً»، قالت كلارا وأدارت وجهها نحوه وأشعّة الشمس الغاربة تنعكس على بشرتها فتتلوّن بظلالٍ وردية ناعمة. «إنه في الحقيقة مساء جميل جدّاً، ولكنني أصغي»، أضافت بصوت غامض يوحي بأنها لم تكن حقّاً مصغية. «هل نمشي؟»، قالت، وخطت نحو الدرب الذي يطوف حول الحقول.

شعر جو أنه يكاد يفقد ثقته بنفسه فيما سار إلى جانبها متفادياً الغطس في بؤرة وحلٍ هنا أو هناك، ولم يسلم حذاؤه الأنيق من بقع الوحل التي أصابته. «يجب أن أزور المتجر لتسجيل محتوياته»، قال، وانتظر ردّها فيما راح ينفض غباراً اكتشفه على كمّ معطفه. ولكنّ كلارا كانت قد توقّفت مجدّداً لتتأمّل في مشهدٍ آخر. ما الذي

تفعله هذه المرأة؟ كيف يمكن لأحدٍ أن يتمهّل في خطواته لهذه الدرجة؟ مَن لديه الوقت الكافي ليضيّعه في تنشّق روائح الأزهار، وليتأوّه ويتلهّف كلّما مشى على عضادة عبور؟

«سوف أبقى لكي أرتّب وضع الحسابات؛ لأرى مدخول المتجر ومصاريفه»، قال أخيراً، وتأمّل في وجهها ليرى ردّ فعلها. . . ، هل سيخرّب قراره هذا مخطّطها؟ ثمّ تابع: «وبعد ذلك سأفتّش عن مَن يشتري المتجر».

قصد التوقّف لحظةً عن الكلام ليرى ردّ فعلها الذي تأخّر. وعندما فتح فاه ليُكمِل، قالت بصوت منخفض وهادئ:

«هل هذا ما قد تريده والدتك؟ أن تبيع المتجر؟».

تأهّب للدفاع عن نفسه، فإن شيئاً في كلامها يتّهمه بأنّه ليس قريباً من والدته ولا يفهم ميولها الحقيقية. وأجاب: «حسناً، إنها غادرت البلاد وكانت تهدف إلى إغلاقه. وأتوقّع أنها ستشكرني لو استطعتُ أن أعيد إليها بعض المال منه». وغطست قدمه فجأةً في بؤرةٍ فتسرّب الماء البارد إلى داخل حذائه وابتلّت جواربه، وغطّى الوحل حذاءه ولامس ذيل سرواله.

«هل أنت بخير؟»، قالت كلارا بالصوت الحالم والمغيظ عينه وكأنها لم ترَ ما حدث له.

«بخير»، ردّ ساخراً.

هزّت كلارا كتفيها وقالت: «لا يبدو لي أنّ والدتك كانت تهتمّ للجانب المالي من الوضع بقدر انزعاجها من أنّ الناس عزفوا عن زيارة المتجر. أما الآن فالوضع قد تغيّر».

كان يعلم أنها تقصد بكلامها إقناعه بعدم بيع المتجر؛ لديها خططها الخاصّة بشأن المتجر؛ فكّر جو.

وتابعت كلارا: «وعندما يزداد عدد الزبائن يعود المتجر إلى جني الربح».

ثمّ أجاب جو بنغمةٍ ساخرة: «ما هو معدّل الربح الذي تتوقّعينه بحسب الأسبوع الذي أمضيته هنا؟».

رفعت كلارا كتفيها مجدّداً وأرختهما. أيّ لعبةٍ تحاول لعبها؟ هل أسلوب اللامبالاة هذا حيلةٌ تقنيّة تعتمدها؟ تساءل جو في نفسه.

«سآتي وأبدأ مراجعة الأمور. سأعمل من الشقة خلال النهار لأني أحتاج إلى أن أكون في مكان مجهّز بخدمة «واي فاي» كي أبقى في تواصل مع الخارج على الإنترنت، على كلّ حال...».

كانت كلارا قد توقّفت مجدّداً أمام أحد الأسوار الصغيرة وطوت ذراعيها فوقه، ثم التفتت إلى جو قائلةً: «أعلم أنك تريد الكلام ولكن هل يمكنك التوقّف لحظةً لتسترخي قليلاً وتتأمّل في كلّ هذا؟»، ورفعت ذراعها في حركة دائرية.

هزّ رأسه متسائلاً ماذا تنوي فعله؟ هل تحاول التغلّب عليه بهذه الطريقة؟ هل هي حقّاً مهتمّة بالمشهد المحيط بهما أم تحاول كسب الوقت؟ راقبها متفحّصاً وجهها عندما أرخت ذقنها فوق ذراعيها على السور وأغمضت عينيها فيما تلاشت شعاعات الشمس الغاربة وراء أفق الأشجار البعيد. لاحظ أنه لم يرَ من قبل رموشاً طويلة مثل رموشها التي تشبه رموش لعبة من البورسلين؛ ولاحظ أيضاً بشرتها المشرقة وملامحها التي بدت أشدّ نعومة في ضوء الغروب اللطيف.

كاد ينسى للحظةٍ مَن هي، وينسى الأسباب الموجِبَة للحذر منها.

«إن كنّا سنتوقّف عن الكلام حول الموضوع، فما رأيك بالعودة الآن وخصوصاً أن الظلام بات قريباً؟»، قال.

تأوّهت قليلاً كأنّه أزعج مزاجها. ولكنه لا يأبه لانزعاجها، ويجب أن توضع الأمور في نصابها. وافقت على العودة غير أنها كانت تمشي بسرعة لا تصل إلى نصف سرعته ففكّر أنهما لن يصلا إلى القرية قبل الليل.

هناك أعمال ما زالت في انتظاره اليوم، ولكنّه لا يستطيع مواصلة السير بسرعة وتركها وراءه.

«غروبٌ رائع!»، قالت، وهي تشير إلى الحقول الممتدّة حتى الأفق.

آن الوقت له لكي يتنهّد. إنها تتعاطى معه وكأنه كان مغمض العينين طيلة النزهة. «نعم»، أجابها، ونظر إلى الجهة التي أشارت إليها بإصبعها، وتنبّه إلى صحّة ما تقوله فالمشهد جميل حقّاً: الأثلام المكلّلة بالزبد الأبيض والممتدّة في خطوط مستقيمة إلى مسافة أميال وأميال، والحقول المقسّمة إلى مربّعات متنوّعة، ثم السماء الواسعة الوردية والمائلة إلى الزرقة أحياناً. لم يرَ غروباً مثل هذا في لندن حيث تحجب الأبنية العالية والبيوت الأفق؛ غير أنه، وفي جميع الأحوال، لا يغادر مكتبه عادةً قبل الظلام. تذكّر ذلك، وتذكّر معه العمل الذي لا يزال في انتظاره.

تذكّر المكتب واشتدّت ضربات قلبه، واستعاد في فكره الأمور التي ما زالت غير منتهية في ذلك النهار. تساءل إن كانت تلك الشركة التي يتحاورون معها بشأن الصفقة قد ردّت على فريقه. لم يجدوا العرض الأخير كافياً؛ ويطالبون بثلاثة أضعاف المبلغ. يعلم جو أن عليه التدخّل ليمارس الضغط في مكان معيّن. ذهبت يده بشكل تلقائي إلى جيبه ليستخرج هاتفه. سوف يسأل باميلا عن التطوّرات الأخيرة ويسألها إن كان توم قد لاحظ غيابه، إذ لا يريد

لهذا الأخير أن يتدخّل ويعكّر مجرى الأمور. آخر ما يرغب في سماعه هو أن أحداً من فريقه ذهب إلى مكتب كارين.

ربَت على جيبه فوجده خالياً.

كانت كلارا قد ابتعدت عن السور وقطعت من أمامه عندما رأته يسحب بطانة جيبَي المعطف إلى الخارج وكأنه توقّع أن يجد الهاتف في نسيج البطانة؛ وما هي إلّا ثوانٍ حتى غيّر مكان وقوفه وخطى إلى الوراء قليلاً فوقعت قدماه على كومة جافّة من بعر البقر فسحقها، وتناثرت أجزاؤها على جلد حذائه. ولكنّ انشغاله الشديد في التفتيش عن الهاتف منعه من ملاحظة ما حدث لحذائه.

«أين هو؟»، دمدم حانقاً، وألم الرأس الذي كان قد سكن خلال النزهة، عاد ليطرق على صدغيه. تلمّس من جديد جيوب معطفه وإنما من غير تركيز. كانت كلارا قد سبقته مسافة أمتار فظهر مشهد القرية وراءها كلوحةٍ جميلة عندما استدارت ونادته: «هل أضعتَ شيئاً؟». كانت تعابير وجهها غريبة، وظلّ ابتسامة يتراقص حول شفتَيها فيما وضعت يديها في جيبَي معطفها وانتظرت ردّه.

«هاتفي، ظننت أني وضعته في هذا المعطف، ولكن...»؛ ثم راح يربّت على جيبي سرواله فتتضاعف دقّات قلبه مع كلّ محاولة فاشلة. «يا إلهي»، تمتم في سرّه: «إن لم أجده سيترتّب عليّ العودة إلى المكتب حالاً». كلّ حياته كانت معلّقة على هذا الهاتف. كان عليه الشروع في اجتماع هاتفي مع الأفرقاء بشأن الصفقة بعد ساعتين تحديداً، وكلّ أرقام هواتفهم محفوظة على هاتفه. «لماذا لم أحتفظ بتلك الأرقام كتابةً؟»، تساءل معاتباً نفسه.

«إنه في الممرّ خارج المتجر»، قالت بمرح، «تركته هناك على الدرج مع مفاتيحك».

«ماذا؟»، رفع عينيه وقال مستنكراً عندما نجحت كلمات كلارا أخيراً في الوصول إليه عبر ضباب أفكاره. ثمّ شدّ حنكيه العريضين ممسكاً غضبه ليسألها بحدّة: «ولمَ لم تقولي لي ذلك؟».

«فكّرت أنّه من الأفضل لك أن تبقى من دونه قليلاً؛ إذ تبدو كثير التعلّق به». ثمّ استدارت في اتجاه القرية وشعرها الأشقر الناعم يتطاير خلفها.

لحق بها متعثّر الخطى بسبب الطريق غير المستوية في بعض الأماكن، وكان حذاؤه مبلولاً؛ وقد لا يصلح سرواله للاستخدام ثانيةً. واندفع قائلاً: «أنت تجهلين الأذى المحتمل لتصرّفك. يجب أن أبقى جاهزاً لتلقّي الاتصالات في كلّ وقت. إنها صفقة بالمليارات؛ نعم بالمليارات».

كانت قد توقّفت عن المشي، ولكنّها لم تستدِر نحوه.

«ذلك سهلٌ بالنسبة إليك طبعاً وأنت تلهين وتفرحين في نزهاتك الريفيّة، تتأمّلين في الحيوانات وغروب الشمس. «أووه، هذا غزال، هذه زهرة، هذا غروب»»، تابع بصوتٍ عالٍ ورفيع كأنه يقلّد صوتاً نسائيّاً، وبلكنة ألمانية مقصودة. وأضاف: «كل هذا وغيرك لديه وظيفة يؤدّيها، وعمل يتمّمه. وليس هذا ربّما سوى مشهد تمثيلي تقومين به على كلّ حال؛ أعلم أنها لعبة طويلة الأمد تلعبينها».

استدارت في تلك اللحظة لتواجهه، وتجعّد أنفها غيظاً حين ردّدت كلامه: «لعبة طويلة؟ لسنا هنا في مجمّع كاناري وارف[1] يا جو».

«نعم إنها لعبة طويلة»، قال ومشى بضع خطوات نحوها، ثم

---

(1) أكبر مجمّعات المال والأعمال والفنون في بريطانيا.

تابع: «رأيتِ بطريقة أو بأخرى أن أمي ضعيفة. وجدتها على وشك المغادرة إلى إسبانيا تاركةً بيتها ومتجرها خاليين. وإذا بكِ تظهرين فجأةً، ومن العدم، بنواياك الحسنة» -وكان يرسم علامات التعجّب أو السؤال بإصبعه في الهواء- «وبهذا الموقف، الذي يبدو وكأنك وُجدت ببساطة وبيدك عصاً سحرية على رأسها نجمة مضيئة ستمحو الظلام. وكأنّ كلّ ما حدث كان وليد مصادفة سعيدة...». كان يعلم أنه يتكلّم وكأنه أصيب بجنون الشكّ، غير أنه لم يتوقّف، وما زال قلبه يضاعف خفقانه ويداه تتعرّقان.

فتحت كلارا فمها وأغلقته مراراً في محاولات فاشلة للردّ.

«نعم، كانت محض مصادفة»، أكّدت أخيراً، وأضافت: «ما السبب الذي قد يجعلني أطمح إلى أن تغادر لويزا البلاد؟ خصوصاً وأن المتجر ليس مخازن هارودز الضخمة بالتحديد». ازدادت ثقتها بنفسها مع كلّ كلمة قالتها واحمرّت وجنتاها.

«أوه، حسناً، استمرّي في ذمّ المكان الذي هو مصدر رزق أمّي قبل كلّ شيء»، قال مقاطعاً وغير راغبٍ في سماع مزيدٍ من أعذارها الواهية.

«أعلم أنه كذلك، وإني أحاول تقديم المساعدة لا أكثر، أريد أن أساهم بعمل جميل»، قالت وتمهّلت عند الكلمات الأخيرة. وإذا بخصلة من شعرها تتحرّر من القبعة وتطير فوق وجهها فتُعيدها إلى الوراء بحركة من يدها.

«ولا تتوسّلين شيئاً من كلّ ذلك لنفسك؟ لا أصدّق»، قال جو، وأضاف والسخرية تنضح من كلامه: «لا شيء سوى تقديم المساعدة لامرأة لم ترينها أبداً في حياتك ولا تعلمين شيئاً عنها».

«أحببتها»، قالت كلارا وقد رقّ صوتها وانبسطت يداها. أحسّ

جو للحظة أنها قد تبكي. لا تبدو كلارا من هذا النوع من النساء، ومن حيث أن لا سبيل أمامه ليتأكّد، فضّل تلطيف نبرة صوته درجات بسيطة.

«أنا أحبّها أيضاً»، قال ببطء، وتابع: «ولذا أريد أن أعلم لماذا أنتِ هنا وما الذي تنوين القيام به تماماً؟».

«اسمع يا جو، لا أدري ما الذي حدث لك في حياتك ودفعك لتكون على هذا القدر من الريبة. ولكنّي، ومن حيث أتيت، فإننا في الواقع نثق ببعضنا»، قالت.

قاطعها مجدّداً بصوت أعلى، ويده على صدره ليقول: «هل تلك هي بلاد الجنيّات والأقزام حيث تختالون فخراً لأنّكم تغنّون للريح، وللحيوانات الأسطورية التي تسبح في السماء فوق قوس القزح؟».

لم تستطع كلارا الإجابة فوراً، وكانت تراقبه يقفز على إحدى قدميه ثمّ على الأخرى. ثمّ قالت: «من الدنمارك في الحقيقة».

شعر ببلاهته، فوقف للتوّ من غير حراك وتنفّس.

«حسناً، ولكنّي لا أعلم لماذا لا تمارسين هذا المستوى من اللّطف مع أحد الناس هناك؟»، وفكّر بإمكان إنهاء النقاش عند هذه النقطة الجيّدة التي سجّلها، فهزّ رأسه وتابع السير وتجاوزها.

أسرع خطاه محاذراً الانزلاق بسبب حذائه المبلّل والملوّث بالوحل. ولكنّه فوجئ بالعرق يتصبّب من وجهه فتساءل إن كان قد فقد حقّاً لياقته الجسديّة؟ وفكّر أنّها، ولحسن حظّه، كانت تسير ببطء وسيكون لديه ملء الوقت ليصل إلى المتجر ويأخذ هاتفه ويرسل رسالة إلكترونية، وليعود إلى الحانة من غير أن تراه ثانيةً هذا المساء، وربّما قبل أن تقطع منطقة الحقول.

حسناً، قال لنفسه. وتذكّر تعابير وجهها عندما وجّه إليها كلامه الاتّهامي: عيناها الحزينتان ووجهها الكئيب بعض الشيء. وإذا بفكره يوحي إليه للحظة بأنها قد تكون صادقة. ولكنّه ما لبث أن شدّ كتفيه إلى الوراء وتابع سيره مصغياً إلى صوت غريزته التي تقول بأنه لا يمكن لأحد من الناس قطعاً أن يكون خيّراً ولطيفاً إلى هذه الدرجة.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل السادس عشر

«ها قد أتيتِ!»، قالت لورين وهي تفتح الباب، «روري في سريره، وباتريك يعمل حتى ساعة متأخرة. . .». ولوّحت بقنينة النبيذ التي كانت تحملها.

لم تنتظر كلارا دخولها إلى البيت، بل أعلنت وهي لا تزال عند العتبة: «إنّه «رند كوس»»، ثمّ نزعت القبعة عن رأسها وانحنت لتفكّ رباط حذائها. ««رند كوس» بالتمام والكمال».

«واه، واه، واه، مَن هو الذي تسمّيه ماذا؟ أليست تلك هي الكلمة السيئة جدّاً؟ والتي لا نلجأ إليها سوى في الحالات الطارئة؟ الكلمة التي تعني. . .»، وهمست لورين بمعنى الكلمة الفاحش وأومأت بيدها في الوقت عينه.

هزّت كلارا رأسها إيجاباً وأكّدت: «إنها حالة طارئة بالفعل؛ إنه «كوس» بكل معنى الكلمة؛ يقول إني هنا لكي أسرق متجر أمّه وأستولي على شقتها وعلى ما فيها من ذهب وفضة، و. . .». -ثمّ

تبعت خطى لورين إلى المطبخ وأخذت كأساً من النبيذ- وعادت تومئ بيدها وتتكلّم: «وربّما أسرق حيواناتها، و...».

«تنفّسي»، قالت لها لورين. «دعينا لا نوقظ روري بفورتك الدنماركية المشوّشة؛ لنذهب إلى الغرفة الزجاجية الخارجية». وأشارت برأسها في اتجاه الغرفة والتقطت في طريقها غطاءين صوفيين.

جلست لورين على أريكة قديمة ولفّت ساقيها بالغطاء ودعت كلارا لتجلس إلى جانبها. اجتمعت المرأتان تحت الغطاء، وتأرجح النبيذ في كأس كلارا عندما بدأت بالكلام:

«يظنّ أني ماذا؟ ما هي تلك الكلمة؟ نصّابة؟ نعم، يظنّ أني نصّابة. تعلمين ما أقصد». وأضافت بالدنماركية «يقول إني «كونستر»».

«يا إلهي، انتبهي إلى مفرداتك»، قالت لورين، وقهقهت وترنّحت في جلوسها نحو اليمين حتى لامست قليلاً يسار كلارا.

«كلا، كلا، تعلمين ما أقصد»، وكانت تلوّح بكأسها وإذا بها تكاد تصرخ عندما اكتشفت العبارة الإنجليزية: «كون آرتيست»[1].

«نعم يتهّمني بأني نصّابة، وأني هنا من أجل غاية مشبوهة فيما كلّ ما أردتّه هو تقديم المساعدة وتحسين الوضع»، شدّدت على الكلمات الأخيرة، واسترخت في الأريكة وغرقت بين المساند الوثيرة بعد أن أخرجت الغضب من داخلها وارتاحت.

«حسناً»، قالت لورين واحتست جرعة صغيرة من كأسها، وتابعت: «ممتاز، إن هذا الجزء أصبح واضحاً. ولكن، عمّن نتكلّم

(1) العبارة تعني بالعربية: نصّاب.

وماذا حدث بالضبط؟»، ارتعشت شفتاها وكأنها تحاول منع نفسها عن الابتسام، فأحسّت كلارا بشيء من الارتياح بعد التوتّر الشديد.

ألقت كلارا رأسها على المسند إلى الوراء وتمتمت: «دعينا نستمتع بشرب النبيذ ونتأمّل من هنا في سماء الليل». ثمّ لاحظت عبر الزجاج الذي يلفّ الغرفة مجموعات النجوم التي تملأ السماء؛ «كم السماء جميلة!»، قالت، وشعرت بدفء النبيذ في جوفها وبالاسترخاء نتيجة التحديق في ظلام الليل المضيء. وإذا بشهبٍ يلمع فجأةً وكأنّه رسالة أرسلتها السماء إليها شخصيّاً لتبتهج.

«جيّد»، قالت لورين فيما اقتربت لتملأ كأس كلارا، «كفى تأمّلات فضائية؛ أريد معرفة ما حدث، الآن وباختصار».

«حسناً»، قالت كلارا بعد أن احتست جرعة من كأسها، «جاء جو إلى المتجر في آخر النهار واتهمني بأني أريد البقاء في القرية لكي أسرق أرزاق أمّه».

«هل قال ذلك؟»، سألت لورين بفمٍ فاغر.

وعندما استعادت كلارا الحديث الذي دار بينهما، أجابت: «نعم، هذا ما قاله في الجوهر».

«واو»، قالت لورين ثمّ أخذت جرعة أخرى من كأسها وتابعت: «هذا سيئ للغاية».

هزّت كلارا رأسها بحزن.

«ما الذي تنوين فعله الآن؟»، سألت لورين.

«عليّ أن أرحل؛ هذا ما يريده»، أجابت بحسرة.

«وهل هذه رغبتك؟».

فكّرت كلارا بخطّتها بشأن المتجر، وأجابت: «كلا أريد

البقاء؛ ليس إلى الأبد، بل إلى حين أن أكون قد صنعت فرقاً وحقّقت التغيير».

«إذاً عليكِ البقاء. لا تسمحي له بالسيطرة عليك وحملكِ على الرحيل. أعطتك لويزا ثقتها وأوكلت إليك أمرَ الاهتمام بهذه الأمور وهذا ما تفعلينه، وبصورة رائعة»، قالت لورين ويدها على كتف كلارا.

سرت ابتسامة خجولة على وجه كلارا، وقالت: «إذاً ماذا يمكنني أن أفعل بشأنه؟»، ثمّ شربت جرعةً من كأسها؛ ولكن مجرّد أن تصوّرت وجهه أمامها جعلها تفرغ الكأس بسرعةٍ أكبر.

«حسناً»، أجابت لورين وتابعت: «قمتِ حتى الآن بضربه على رأسه ورميه أرضاً».

وعندما نظرت إليها كلارا باستهجان، هزّت كتفيها وأضافت: «القرية صغيرة والأخبار تنتشر بسرعة».

«هل أخبرك غافن؟»، سألت كلارا.

أخذت لورين جرعة ثانية من النبيذ وأجابت: «نعم أخبرني غافن بكلّ شيء. وفي المناسبة، أعجبتني حكاية شريط الزينة. تُرى ماذا ستكون عمليّتك التالية؟ ضربة تودي به إلى المشفى...؟».

«لورين، أحتاج إلى مساعدتكِ، صدّقيني»، قالت كلارا.

هزّت لورين رأسها بالموافقة وبدت تعابيرها جدّية عندما قالت: «أعتذر، وإنك على حقّ، وسوف أساعدك». ثمّ بادرت بعد صمتٍ قصير لتقول: «حسناً، يمكنك معاتبته وتوضيح موقفك الآن حالاً في الشقة».

«إنه ليس في الشقة، بل مقيم في الحانة»، أجابت كلارا.

تغيّرت معالم وجه لورين وانطلقت بتعجّب: «في الحانة، فيما تسكنين أنت في شقّة والدته حيث توجد غرفتان للنوم. يا له من أمرٍ غريب!».

«رفض البقاء في الشقة»، قالت كلارا واعترفت: «بعد أن ضربته على جانب وجهه برأس الحصان الخشبي».

«لا بأس، تفسير مقبول، اشطبي الفكرة. على كلّ حال، علينا التصرّف بمهارة أكبر». وما هي إلّا ثوانٍ معدودة، حتى استقامت لورين في جلوسها، وانسكب بعض النبيذ على الغطاء الصوفي نتيجة حركتها المفاجئة، وأعلنت: «ها إني وجدتها!».

«وجدتِها؟»، سألت كلارا، فيما مسحت النبيذ عن الغطاء بمنديل ورقي.

نظرت إليها لورين وهزّت رأسها بحدّة: «عليك معالجة الموضوع بالطريقة المعاكسة». وأوضحت: «لا تعاتبيه أبداً، بل استميليه إلى جانبك. دعيه يقتنع أوّلاً أنك لست هنا من أجل غاية غامضة أو سيئة. مارسي جاذبيتك عليه! اغويه، اغويه!».

قالت وشدّدت على حروفها.

«أغويه؟»، سألت كلارا.

«تودّدي إليه! استخدمي فتنتك!»، قالت لورين.

«كيف يمكنني ذلك وهو مقتنع كليّاً بأنني هنا لأجل النصب والسرقة»، سألت كلارا.

«ادعيه لينتقل إلى الشقّة، ودعيه يرى بأنّكِ قوّة خير لا قوّة شرّ».

«يمكنني القيام بذلك على ما أعتقد. . .»، قالت كلارا وهي تدير عنق الكأس بأصابعها. وتابعت: «ولكنني لست متأكّدة إن كان

سيوافق على الانتقال إلى الشقّة. ولست متأكدة قطعاً إن كان لديه ذلك الاستعداد الطبيعي لكي يكون لطيفاً ومتفهّماً».

هزّت لورين رأسها بالموافقة، وقالت: «أخبرتني لويزا مرّةً بأنّه قاسٍ بعض الشيء؛ ويعمل باستمرار، ولا يمكث في مكانٍ واحد طويلاً، ولا يسمح لنفسه بالاسترخاء أبداً». قالت لورين ولمعت عيناها فجأةً إذ خطرت في بالها فكرة تدعم خطّتها، وأضافت: «وهذا أفضل، انظري، يجب أن تقنعيه بأنّ الحياة لا تقتصر على الصفقات في المدن الكبرى وعلى المال، والربح، والضغط النفسي. أنت تمارسين حياتك على طريقة **هيغي** أليس كذلك؟»، ولفظت لورين الكلمة بطريقة عوجاء فقالت «**هوغا**». «نجحتِ بتغيير أحوال المتجر والشقّة؛ إذ أخبرني غافن بأنها باتت تشبه أجمل البيوت المعروضة في المجلات المتخصّصة بالهندسة والديكور».

صمتت لورين قليلاً لترمق كلارا بنظرة تشجيعية. أما كلارا فهزّت رأسها ببطء متسائلةً عمّا تريد أن تصل إليه لورين في نهاية الحديث.

«هيّا يا كلارا، عليك أن تغيّريه؛ أن **تهيّغيه!** فعلتِ العجائب في الشقّة والمتجر؛ هيّا فكّري الآن في ما يمكنك فعله مع الأشخاص».

هزّت كلارا رأسها نفياً. «كلا، كلا، لا يمكنك أن **تهيّغي** شخصاً يرفض أن **يُهيَّغ**»، قالت مجاريةً لورين في استخدام الكلمة بهذه الطريقة الغريبة، ولكنّها علمت أنّ الأخيرة لم تتنبّه إلى الخطأ اللغوي في الأصل.

«ولكن لا تقولي له ذلك»، قالت لورين وضربت كفّها على جبينها، «انطلقي في خطّتك إلى تغييره وإلى تهدئته وإلى تليينه، فتعلّمينه تلقائيّاً أسلوب الحياة على طريقة **هيغي**». تابعت لورين

وعيناها تلتمعان، وكان قد انسكب معظم النبيذ الذي في كأسها على الغطاء.

صمتت كلارا قبل أن تعود إلى معارضة الخطّة، وما لبثت أن فكّرت بها ثانيةً. لا بدّ أنّ جو يعاني من ضغوط قاسية، وهي على أتمّ المعرفة بما يعني ذلك. وتذكّرت تلك اللحظة من حياتها عندما اقتنعت بضرورة التغيير. تذكّرت تلك الأيام عندما كانت ترتدي ثياباً فاخرة من صناعة مصمّمين عالميين، وتنتعل أحذية عالية على الرغم من التقرّح الذي كان يصيب قدميها ويؤلمها فيما كانت تذرع تلك الأرض الرّخامية اللامعة جيئةً وذهاباً. اجتماع آخر يجب عليها حضوره؛ مؤتمر هاتفي يجب عقده؛ اتصال من أحد العملاء يجب الردّ عليه. وتذكّرت التوتّر الذي كان يسيطر عليها كلّما كانت تدخل إلى المصعد وتضغط على زرّ الطابق حيث مكتبها، فتشعر في كلّ مرّة وكأنّ ذلك القفص الحديدي سيطبق على أضلاعها. كان الخوف من التقصير يلازمها على الرغم من ساعات العمل الطويلة التي كانت تقدّمها. أليس جو حقيقيّاً في عدم قدرته على قبول التغيير وهو الذي يعيش وسط الأجواء الضاغطة المماثلة للأجواء التي عاشتها؟ هل يمكنها حقّاً أن تُريه بأن هناك إمكانية للعيش بطريقة أخرى؟

«إذاً، لنفتح زجاجة جديدة من النبيذ ونضع خططاً تفصيلية أكثر دقّةً»، قالت لورين فيما تركت الغرفة مترنّحة والكأس بيدها. «سأحضر لوح الكتابة من غرفة روري في طريقي؛ يبدو وكأن الأمر بات جدّياً».

لم تمضِ ساعتان حتى كانت كلارا تقطع الطريق بخفّة إلى شقّة لويزا، والأفكار في رأسها تتسابق وتتضارب تحت تأثير النبيذ.

يترتّب عليها قبل أن تذهب إلى مقابلة جو أن تُنجز بعض الأمور. وعندما دخلت إلى الشقة لم تكترث إلى مناداة ليدي كاكا: «سُررت برؤيتك، برؤيتك سُررت، يا أبله». فكّرت بالأشياء التي تحتاجها وفي أيّ الخزائن ستجدها. المرحلة الأولى من الخطّة تقول: «اجعلي غرفة جو تسبح في أجواء **هيغي**».

وباشرت في تنظيف المكان وترتيبه وتحويله إلى جنّة للهدوء والتأمّل. فرشت الأغطية النظيفة على السرير الكبير، ونفضت الوسادات، وألقت غطاء من الفرو الناعم الصناعي فوق اللحاف، ثمّ أدخلت كيساً خاصّاً للماء الساخن تحت الأغطية لتُبقي الفراش دافئاً. توقّفت عن الحركة لتتناول كأساً إضافيّاً ولكن لم يكن عملها قد انتهى بعد. وضعت بساطاً مصنوعاً من جلد الخروف أمام الموقد الكبير ووزّعت شموعاً بأحجام متنوّعة في كلّ مكان. وبعد أن احتسَت من النبيذ بضع جرعات، بدأت بتلميع كلّ الأسطح حتى فاحت رائحة مادّة التلميع المصنوعة من شمع النحل في الهواء. وعندما مشت مجدّداً وإنما بتمايلٍ ملحوظ إلى داخل غرفة جو، أغلقت الستائر الرّمادية ثمّ أحضرت شمعتين من غرفتها، ووضعت واحدة إلى جانب النافذة بقرب مقعد جلدي أحمر قديم وُضِعَ في الزاوية، والأخرى إلى جانب السرير. ثمّ وضعت عدداً من الكتب ومعظمها كتب شِعر على منضدة جانبية، ثمّ مشت بضع خطوات إلى الوراء لكي تتأمل نتيجة عملها. كلّ شيء بدا جاهزاً، وعمليّة «كيف تبدأ حياتك على طريقة هيغي» انطلقت. أما الآن فحان الوقت لاستدعاء النموذج الذي سيكون محور التطبيق.

كانت حرارة النبيذ ما زالت فاعلة في رأس كلارا. اندفعت إلى الشارع في اتجاه الحانة، ووصلت إليها بفيضٍ من الحيويّة، ودخلت

بقبعتها البنفسجية ومعطفها غير المنسجم مع لون القبعة فإذا بذاكرتها تنقلها للتوّ إلى الليلة الأولى التي قضتها في القرية عندما رأت لويزا تدخل إلى الحانة مع كلّ تلك الجلبة التي أحدثتها. فأحسّت وكأنها كانت تمشي في خطى لويزا تماماً.

«كلارا!»، نادى غافن من وراء البار فيما حمل بيده كوباً فارغاً ليملأه بالبيرة.

أجابته بكلامٍ غير واضح بينما تقدّمت واصطدمت عن طريق الخطأ بأحد الزبائن، وبكرسي منخفض كان في طريقها.

«أووف، أوه، المعذرة!»، قالت.

«إنك هنا لتحتفلي. أليس كذلك؟»، سألها غافن.

رمقته كلارا بنظرة استفهام.

فاستدرك بضحكةٍ:

«لتحتفلي بالعرض الجديد. إنه بالتأكيد انتصار؛ والأطفال يسألون منذ الآن عن العرض المقبل».

شعرت كلارا وكأنّ العرض الجديد حدث منذ زمن طويل؛ وإذا بها ترمش بعينيها وكأنها تتذكّر، وتقول: «طبعاً، العرض، طبعاً».

توقّف غافن عن تعبئة كوب البيرة وانحنى فوق البار في اتجاهها: «هل كل شيء على ما يرام؟».

هزّت كلارا رأسها، وأحسّت بتأثير الكحول على نظرها الذي بات ضبابيّاً؛ «على ما يرام»، أجابت، وبها شكّ حول مدى وضوح كلماتها. وتابعت: «أتيت لأرى جو».

«انتظري»، قال غافن، وسار في اتجاهها. «نسيت أن أخبرك أني أرسلت صورة الواجهة هذا الصباح إلى لويزا وأحبّتها كثيراً.

انظري ما كتبت: «تخيّلت ابتسامات الأطفال فهتفت وتحمّست. كما أريد القول بأن كي ليست كلمة» - عذراً، الجزء الأخير يخصّني». وتنحنح ليغطّي إحساسه بالحرج.

رسالة لويزا التشجيعية وصلت في وقتها تماماً. اشتدّت عزيمة كلارا في تلك اللحظة فمشت في اتجاه الدرج لكي تصعد إلى غرفة جو. إنها تريد البقاء في القرية وتريد أن تكون في حُسن تفاهم مع جو. مشت من أمام الباب الممنوع وكانت قد أبطأت خطاها قليلاً أمامه عندما فكّرت في إمكان الدخول ولو قليلاً إلى الغرفة الغامضة قبل مقابلة جو. ولكن سرعان ما أحسّت بحركة وراءها، ورأت رأس غافن يظهر عند أسفل الدرج. «تقدّمي بضع خطوات إلى الأمام؛ إنه في الغرفة ذاتها حيث كنتِ؛ الغرفة الوحيدة». نادى فيما كان يراقبها تتقدّم في الممرّ.

«نعم، نعم، بالطبع»، أجابت كلارا وقفزت جرياً إلى الأمام وكأن عصا ساخنة لسعتها ودفعتها إلى الإسراع.

وقفت أمام الباب لكي تدقّ وعرفت بأنها وصلت إلى خطّ لن تتمكّن من العودة إلى الوراء بعده. سمعت صوت جو في الداخل. هل لديه زائر؟ ثم وقع الصمت. تُرى هل تخيّلت الصوت وهل هي ثملة أكثر ممّا تعتقد؟

دقّت الباب ولم تلقَ جواباً. ثمّ دقّت ثانيةً لعلمها بأنها لو لم تفعل ما جاءت لتفعله الآن، لن تجد الشجاعة للقيام به لاحقاً.

وإذا بالباب ينفتح بسرعة، وإذا بكلارا التي اتكأت عليه تندفع إلى الداخل من غير استئذان.

«أنتِ؟»، قال، وعاد إلى الوراء فيما حطّت فجأةً في وسط

الغرفة. ولا عجب لو ظنّ أنها أتت لتضربه بأيّ شيء خشبي. أجلست قامتها ورفعت يديها كمَن يُعلن استسلامه، أو لتؤكّد له أنها لا تحمل أيّ سلاح حادّ أو خشبي لتصرعه به.

جمعت قواها للكلام، وقطع اللّهاث كلماتها: «أحتاج أن أراك. لأقول إني آسفة».

«ما هذا!؟».

«جئت لأقول إني آسفة»، قالت بعد أن التقطت أنفاسها.

كان قد فتح فاه وبدا جاهزاً لمهاجمتها، ولكنّه، وما إن وصلت كلماتها إليه حتى أطبق شفتيه ليعود ويفتحهما من جديد قائلاً: «أوه!» ورفع يده إلى شعره. كان يبدو غريباً، إذ ارتدى قميصاً رسميّاً وعقدة عنق مستقيمة، ولكنّ سرواله كان ملفوفاً حتى الركبتين وكأنّه ذاهب لممارسة رياضة التجديف. ثمّ لاحظت كلارا حذاءه وجواربه المتّسخة بالوحل على الأرض بقرب السرير. «كلارا، هذا لطيف من جانبك ولكني مشغول الآن ـــ».

لم تصغي، ولم تلاحظ أنه أشار بذراعه في اتجاهٍ معيّن. كلّ ما كانت تطمح إليه في تلك اللحظة كان إيصال الكلمات التي جاءت بشأنها.

«جئت لأقترح عليك أن نفتح صفحة جديدة، وأن تمكث في الشقّة. لا أتقبّل فكرة أن تكون أنت هنا بينما أمكث أنا هناك؛ وربّما نقرّر بشأن بقيّة الأمور بعد ذلك».

راقبت كلارا جو وقد صوّب نظره في اتجاه السرير الضيّق وتخيّلت أنه يضطرّ إلى أن يطوي ظهره إلى نصفين تقريباً قبل أن يستلقي عليه. ثمّ، ويا للغرابة، تكلّم وكأنه يتوجّه إلى السرير قائلاً: «أعتذر عن التأخير، وسأعود إليكم حالاً».

«المعذرة»، قالت، «لماذا علّقت شرشفاً فوق الحائط؟» ثمّ مشت نحو الحائط، واكتشفت أنه علّق الشرشف بالسقف وتركه ينسدل فوق الجدار وكأنّ المقصود اختراع خلفيّة مناسبة كما في استديو التصوير. هل كان يلتقط صوراً لنفسه؟

وراح يتكلّم مجدّداً وإنما بلغة كأنها صينية. فظنّت أنها تهذي، ثمّ انحنت واستدارت حوله لتنظر في عينيه لترى في تلك اللحظة الحاسوب على الطاولة بجانب السرير وشاشته المضاءة والمقسّمة إلى أربعة أقسام. وإذا بأربعة رجال ينظرون إليها من مكاتبهم في زوايا العالم. إنه اجتماع على الإنترنت، وكلٌّ من هؤلاء كان يرمقها مستغرباً.

«أوه، مرحباً!»، قالت وأومأت بالتحية إلى الشاشة؛ فإذا باثنين يبادلانها التحية بإيماءة من اليد فيما حافظ الآخران على وجهٍ جليدي.

«كلارا، لن أتأخّر طويلاً...». وانحنى إلى الشاشة ليقول: «أعتذر، إنها إحدى عاملات النظافة في الفندق».

«أوه»، لاحظت كلارا بعد لحظات أنّ جو كان يشير إليها بقوله: «إحدى عاملات النظافة في الفندق»، ولكنها، ولسببٍ لا تعرفه، قرّرت أن تتكلّم بلكنة معيّنة، والتقطت كوباً فارغاً كان موضوعاً على طاولة صغيرة وراء جو. «أوه سيّد آلدن...، أوكه» واختارت اللكنة الاسكتلندية لسببٍ لا تعرفه أيضاً، وقالت وهي تنحني أمامه: «سوف أذهب، أوكه». وابتعدت.

نظر جو إليها مذهولاً وتمنّى أن تكون قد خرجت من نطاق الكاميرا عندما مشت إلى الباب وهي تهزّ بكتفيها. ثمّ عاد إلى

الشاشة وقال شيئاً باللغة الصينية، فأحنى أحد الرجال رأسه مودّعاً وأطفأ حاسوبه. ثمّ اختفى اثنان عن الشاشة أيضاً، ولم يبقَ سوى رجلٍ واحد وكان صغير الرأس أمّا كتفاه فعريضان ويملآن الشاشة.

«توم، سأتابع معك في الصباح. يبدو أن الأمور تجري لصالحنا»، لاحظت كلارا شيئاً من الارتجاف في صوت جو. تُرى هل أفسدَت شيئاً بدخولها بالنسبة إلى جو، خصوصاً وأن توم لا يبدو في غاية الرضا؟

«في أيّ فندقٍ تقيم؟».

«على مشارف نوفيتش؛ تعلم كيف هي الفنادق في هذه الأماكن. لا وجود لفندق هيلتون هنا»، أجاب جو وذيّل كلامه بقهقهة قصيرة كأنها سعال، لم يسبق لكلارا أن سمعت مثلها من قبل. كانت كتفاه مشدودتين تحت قميصه وعضلات رقبته تنتفض فيما بدا مبتسماً أمام الشاشة.

غادر توم أخيراً الشاشة، ومدّ جو يده وأطفأ حاسوبه وجلس على السرير ويداه خلف رأسه. لم تنبس كلارا بكلمة، بل عضّت على شفتها إلى أن رفع نظره إليها.

«أوه»، قالت عندما التقت عيناها بعينيه، وتابعت مرتبكة: «إنك تتكلّم الصينية؛ هذا... لافت حقّاً».

«وأنت تتكلّمين... الإيرلندية؟».

«الاسكتلندية»، تمتمت.

ضحك، وارتاحت لضحكه. كانت ضحكة لطيفة وهادئة هذه المرّة. عسى أن يمرّ كلّ ما جرى بسلام، فكّرت كلارا.

«يا إلهي»، قال، وفرك كفّيه، ثمّ بدا وكأنه عاد إلى تشنّجه

عندما نظر إليها ثانيةً؛ ربّما تذكّر المشادّة الكلامية التي جرت بينهما في آخر ذلك النهار. «إذاً، . . .»، باشر بالقول.

أرادت كلارا أن تستخرج تلك الكلمات من جوفها، وأن تُطلعه على سبب مجيئها. «أرجو أن تأتي وتمكث معي في الشقّة وإني أعتذر عمّا حدث سابقاً»، قالت أخيراً. وحدّقت به فيما نظر إليها وفكّ ربطة عنقه بيدٍ واحدة. ثمّ هزّ برأسه ونهض ليضع بعض الأغراض في الحقيبة الجلدية. ثم مشى إلى الخزانة وراءها وسحب منها عدداً من البدلات المعلقة في أكياسها الخاصة وطواها فوق زنده. وعندئذٍ، هزّ برأسه مجيباً: «حسناً، سأذهب».

هزّت كلارا برأسها أيضاً، وابتسمت ابتسامة خفيّة لأنّ المرحلة الأولى من الخطّة تمّت من دون عراقيل؛ من دون عراقيل تقريباً. استدارت لتغادر قبل أن يغيّر رأيه ومشت في الممرّ نحو الدرج.

لم يتبادلا كثيراً من الكلام في طريق العودة. حرصت كلارا على مراقبة بلاط الطريق وعلى السير في خطّ مستقيم. أما جو فمشى بخطوات متثاقلة وقد أربكه ما جرى وكيف سارت الأمور. التقط هاتفه في منتصف الطريق وابتعد قائلاً: «مخابرة عمل، عليّ أن أخبر فريقي بحصيلة الاجتماع». هزّت رأسها، وكانت تنتظر بفارغ الصبر لحظة وصولها إلى البيت لكي تشرب كوباً كبيراً من الماء على الفور.

جلست على طرف الأريكة وانتظرته حتى ينتهي من مكالمته في الممرّ في الطابق الأرضي بعد أن أضاءت الشموع في غرفته وفي غرفة الجلوس، وأشعلت بعض المصابيح الكهربائية في زوايا البيت وكان لديها ملء الوقت لفعل ذلك. ثمّ استرخت على الأريكة ورأسها ما زال مشوّشاً، أمّا شوقها لرؤية ردّ فعله فعارماً.

وما هي سوى لحظات حتى دخل جو وأضاء للتوّ المصباح السقفي الكبير.

«أوه»، رمشت كلارا عينيها وكادت تقع عن الأريكة. وبدأت ليدي كاكا تقطع القفص صعوداً ونزولاً وتصرخ: «صباح الخير فيتنام»[1] وكأن الوقت هو الثامنة صباحاً. وحتى رودي النائم فوق سلّ الغسيل استيقظ من نومه. «هل تطفئ هذا الضوء، لو سمحت؟»، قالت كلارا.

ثم سمعت تأوّهاً ودمدمة خفيفة ولكن سرعان ما عادت الغرفة لتسبح في دوائر النور الخافت والظلال المتراقصة على الجدران.

«المكان مظلم هنا»، تمتم جو، ثمّ توجّه إلى غرفته وتوارى عن نظر كلارا.

انتظرت كلارا وأمسكت أنفاسها.

ثمّ عاد ليظهر من جديد. «أضأتِ شموعاً، وعدداً كبيراً منها»، قال، وإحساس المفاجأة بادياً في صوته. هل كانت مفاجأة سعيدة أم العكس؟ تساءلت كلارا.

«فكّرت أن ضوء الشموع يعزّز الشعور بدفء البيت وبالهدوء»، أجابت.

نظر خلفه وقال: «أمرٌ لطيف»، ولم يكُن ميّالاً بالطبع إلى تجميل الأمور.

ابتسمت قانعةً بكلمة «لطيف».

«هذا جيّد. أعتذر عمّا حدث من قبل، وإني سعيدة بوجودكَ هنا الآن. وسأذهب الآن لأنام». قالت، ونهضت وهي تتثاءب.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Good Morning Vietnam.

«من جهتي سأسهر قليلاً. رسائل وأمور. . . كما تعلمين»، قال من غير أن ينظر في عينيها، وأضاف: «ولكن، نعم وشكراً، إني سعيد أيضاً».

«حسناً، ليلة سعيدة، وأهلاً بك في بيتك»، قالت ومشت إلى غرفتها.

أسرعت في الدخول قبل أن تسمع جوابه، وأغلقت الباب وراءها وأسندت ظهرها إليه، وفي رأسها صوت يقول: لن تكون الأمور سهلةً بالتأكيد.

من الجميل جدّاً أن أسمع بأن الكلّ يتكلّم عن المتجر. أجد وكأن كلارا عادت بالمتجر إلى تلك الأيّام عندما كان الناس يحوّلون وجهة سياراتهم لكي يأتوا إلى القرية وليزوروا المتجر. إني في غاية السعادة وأرى أنّك تهتمّ بها كملاكها الحارس. شكراً على الصور الرائعة. أرجو أن تستمرّ في إرسالها فهي تجعلني أشعر وكأني ما زلت هناك.

يبدو لي أن فويرتيفنتورا هي مكان إقامتي المفضّل. قمتُ باستئجار غرفة مطلّة على الميناء ويمكنك الجلوس على الشرفة ومراقبة مغيب الشمس وراء الأفق. هبّت عاصفة في المحيط الأطلسي وعلت أمواج ضخمة. من المثير جدّاً مراقبة تلك الأمواج العاتية تقترب لتتكسّر في مشهد مذهل على الصخور التي تنتشر على طول الشاطئ عند فم الخليج. أمّا الجلبة التي تصدر عنها فحدّث ولا حرج.

تحمي الصخور شاطئ الخليج من خطر الأمواج العالية. هناك سلّم ينحدر من الفندق إلى مياه الشاطئ يشبه إلى حدّ كبير السلّم الذي ينصب في بركة السباحة؛ وتراني عندما تكون حركة المدّ والجزر مؤاتية والأمواج هادئة أنزل وأغطس في المحيط فأشعر بانتعاش عظيم. ربّما أبقى لأعيش هنا إلى

الأبد؛ أتغذى من السمك وأدّعي إني رسّامة، أو كاتبة، أو من بنات الليل. المطاعم هنا كلّها تقدّم أطباقاً شهيّة جدّاً من الأسماك. وهي تعرض ما لديها من صيدٍ طازج كلّ يوم على منضدة زجاجية خارج المطعم. أما أنا فأحرص دائماً على اختيار السمكة ذات التعبير الأشدّ حزناً لعلّها تشعر في جوفي بدرجة أكبر من الأمان.

ماذا عن الحانة؟ هل بدأت بإعداد مسابقة ليلية جديدة؟ يجب ألّا تتراجع بسبب ما حدث في تلك الليلة: كنتَ على حقّ في طردها فقد كانت ثملة جدّاً ومخطئة كليّاً. الكلّ يعلم أن ماري الأولى كانت أوّل ملكة على العرش الإنجليزي. أما ماتيلدا فالأرجح أنها شخصية وهمية. رتّب الأمر في ليلة لا تكون روز حاضرة كي لا تأتي وتفسد المسابقة عندما تشكّك في صحّة الإجابات، وتتدخّل في أتفه التفاصيل. إن أردتَ فلديّ بعض الأسئلة الحاضرة. يمكنك أن تسأل الناس عن ابن سيمون كويل، ما اسمه. اسمه إريك، وكان معروفاً بشجاعته. أليس ذلك رائعاً؟ وهل تعلم أنّ جزر «غران كناريا» لا تدعى كذلك بسبب طير الكنار، بل بسبب الكلاب؛ لأن كلمة كناريا باللاتينية تعني «الكلاب»؟ وهذا ما لا تعرفه روز بالطبع.

الفصل السابع عشر

مرّت الأيام التالية بسرعة خاطفة. قبل خروجها من الشقّة في كلّ صباح، كانت كلارا تنظر إلى غرفة جو وترى الباب مغلقاً فلا تعلم إن كان في داخلها أو خرج. ومن المتجر، وفيما تكون منشغلة بتلبية طلبات الزبائن، ترى سيارته مركونةً في الخارج، وتلمحه داخلها والهاتف على أذنه. أما في المساء فكانت تخبز بعض المعجنات اللذيذة وتضعها في علب خاصّة لكي يتناول منها عندما يأتي. كما تعوّدت أن تترك له ملاحظات لطيفة أو هدايا صغيرة؛ ولكنها شعرت بالإحباط لكونها لا تلتقي به، فإمّا تسمع صرير باب غرفته، أو رجيج فرشاة أسنانه الكهربائية، أو تمتمة كلامية على هاتفه في منتصف الليل. وتتساءل: كيف يمكن أن تهيّغ رجلاً لا تلتقي به البتّة؟

ولكن رأسها هذا الصباح كان منشغلاً كلّياً بشؤون المتجر. حانت اللحظة الحاسمة، وموعد تحقيق فكرتها الكبرى بات قريباً جدّاً. بدأت نهارها باستبدال الرقم الكبير في الواجهة إذ وصل العدّ

العكسي إلى الرقم «واحد». ثمّ أومأت بالتحية لولد وأبيه كانا يسيران على الرصيف من أمام المتجر. ثمّ استقبلت عدداً من الأطفال مع ذويهم؛ ولاحظت مرور وجوه كثيرة تعرفها في الشارع العريض، فشعرت بالألفة وبأنها باتت جزءاً من القرية وليس مجرّد زائرة.

هو النهار الأخير قبل إعلان المفاجأة وما زالت بعض التحضيرات المهمّة قيد الإنجاز. وإذا بكلارا تعدو من الغرفة الخلفية إلى الجزء الأمامي من المتجر كلّما سمعت خشخشة الجرس معلناً دخول الزبائن الذي بات يحدث غالباً في الأيام الأخيرة. وفيما كانت تحضّر اللافتة الجديدة بعناية، كانت تتوق إلى يوم غد، وإلى رؤية الأمور تجري كما خطّطت لها تماماً. أما الكلمات التي كتبتها بالطبشور الملوّن على اللوح الذي سيوضع خارج الواجهة غداً صباحاً فجعلها تشعر بأن الفكرة أصبحت واقعاً.

مرّ النهار بسرعة وغياب يد المساعدة جعلها تشعر بأوجاع في جسدها مع حلول موعد الإقفال. ولكن الغرفة الخلفية أصبحت جاهزة للكشف عن المفاجأة يوم غد، وكانت قد اتفقت مع لورين لكي تساعدها حتى يسير كلّ شيء على ما يرام. شعرت بالتعب وإنّما أيضاً بالسعادة عندما أضافت بعض النبيذ إلى الصلصة التي كانت تحضّرها للعشاء. ثمّ طحنت بعض حبوب البهار الأسود فوق الصلصة التي كانت تغلي وأغمضت عينيها مستمتعة برائحتها الغنيّة وبالبخار الناعم المتصاعد إلى وجهها. كان جو قد عاد منذ حوالي الساعة إلى البيت، ومشى إلى غرفته كأنه رجل آلي، وارتمى على السرير ونام من غير أن يغيّر ملابسه أو ينزع حذاءه. ولكنّه لم يطِل النوم، بل استيقظ فجأةً، وربّما بفضل الرائحة الشهية التي وصلت

إلى أنفه، ووقف عند عتبة الباب ممشّطاً شعره بأصابع يده. ولاحظت كلارا أنّ الجيوب تحت عينيه باتت أكثر بروزاً.

«ما رأيك بوجبة عشاء؟»، قالت، وفي داخلها اندفاع لمتابعة «عمليّة هيغي» والسير بها إلى النهاية الرابحة.

نظر إلى مائدة العشاء حيث فرشت كلارا غطاء مرتّباً ووزّعت الصحون مع المحارم الورقية، ووضعت إناءً زجاجيّاً وسط الطاولة ملأته بأغصان خضراء طريّة من نباتٍ متسلّق، وبأغصان صغيرة أخرى ذات أوراق دقيقة وملتفّة. ونشرت عدداً من الشموع لتُضيف إلى الطاولة حرارة وجمالاً. «لست معتاداً. . .»، قال، وبدا رمادي الوجه حقّاً.

«ماذا؟ لست معتاداً على تناول الطعام؟»، قالت ضاحكة ووضعت طبقاً كبيراً فوق المائدة.

«لا أتناول العشاء في وقتٍ محدّد عادةً، بل أعتمد في معظم الأحيان على وجبات جاهزة وخفيفة أتناولها في المكتب».

«أوه»، قالت، وحرصت على ألّا تبدو مشفقة عليه. وتابعت بأسلوب لطيف وغير متكلّف: «حسناً، ولكنّي أعددتُ كمّاً وافراً من الطعام».

دار حول الطبق. «يبدو شهيّاً حقّاً»، قال، وجلس ليرتاح في كرسيّ حول الطاولة.

«هل تشرب شيئاً؟»، قالت. وإذا به ينتصب واقفاً من جديد. أوهلها بحركته المفاجئة، وفكّرت في سرّها أنه أقلّ الناس قدرةً على الاسترخاء.

ولكنّه قال: «أنتِ قمتِ بإعداد الطعام، وسوف أحضر الشراب

بنفسي. . . ماذا تريدين؟»، سألها، ومشى إلى المطبخ وحدّق حائراً في الخزائن التي أمامه.

«هناك قنينة نبيذ مفتوحة في البرّاد»، قالت، وهي تجلس في كرسيّها محاولة حبس قهقهاتٍ تتسابق إلى حنجرتها.

وعاد مع القنينة وسكب لها كوباً. لاحظت ارتجافاً طفيفاً في يده ممّا تسبّب بانسكاب قليل من النبيذ خارج الكوب.

دغدغ كلارا شعور بالارتياح لجلوس شخص آخر قبالتها حول المائدة الواسعة. طالما تعوّدت وجود أفراد العائلة والأصدقاء حول مائدة الطعام. وغالباً ما يطول الجلوس حول وجبات العشاء في الدنمارك وحتى ساعات متأخرة من الليل. الضيافة هي إحدى مهاراتها المتميّزة. تعشق إعداد الطعام وترتيب المائدة، وخلق أجواء ممتعة مع وجود باقة أزهار جميلة في وسط الطاولة. ولكنها تشتاق إلى شمعدانها الخاص من الطراز المعروف بكوبوس، ويجدر بالمصمّمين الدنماركيين تصميم شمعدان من نوعه يسهل حمله في السفر. وكانت سعيدة بالأغصان التي جمعتها في نزهتها المسائية.

«هل هذا لحم عجل؟»، سألها جو بين لقمة وأخرى.

هزّت كلارا رأسها إيجاباً وقالت: «طهوته ببطء لكي ينضج تماماً». وأضافت: «وضعته على نار هادئة طيلة النهار. إنه طبق دافئ لفصل الشتاء. كانت أمي - كنا نتناول هذا الطبق في بيتنا». توقّفت عن الكلام بعد أن شعرت بوخزة ألم في صدرها.

يبدو أن جو لم يكن مصغياً، بل منشغلاً في ازدراد الطعام. أمّا كلارا فلم ترَ في حياتها إنساناً يأكل بمثل تلك السرعة، وربّما يجب أن تجد في ذلك إطراء لمهارتها في الطبخ. ثمّ نظرت إلى صحنها وكان لا يزال ممتلئاً.

مسح جو صحنه بقطعة من الخبز في حين أنها انتظرت منه التلفّظ بكلمة، أو على الأقلّ بكلمة شكر. وإذا بهاتفه يضيء وكان على الطاولة حيث وضعه، وما إن أزاح كرسيّه إلى الوراء لينهض حتى بدأ الرنين، فقال: «عليّ أن أجيب». امتعضت كلارا عندما وقف أمامها وقطع وجبة العشاء ليعود إلى غرفته ويتكلّم بصوتٍ عالٍ:

«قلت لك أن تُعلمني عندما يتّصلون. لا تقُلْ لي إنك لم تسمع قبل الآن ردّ. . .».

أكملت طعامها وكانت تستمع إلى حديثه عبر الجدران غير العازلة:

«إذاً قُل لكلارك إنه لا يستطيع الاستمرار في مجادلتنا إن كان يرغب في أن نذهب إليهم بعرضٍ مقبول. إنك تعرف الأسلوب. . .».

خطر في بالها أنه قد لا يعود، فتنهّدت وبدأت بتنظيف الطاولة بسرعة حتى ارتطمت الصحون ببعضها، واضطرت بعد ذلك إلى تفحّص أطرافها لتتأكّد من سلامتها. نظّفت الصحون بحركات دائرية سريعة فسخنت يداها واحمرّت تحت رغوة الصابون الكثيفة. وكانت تسمع صوته عبر الجدران يعلو تارةً وينخفض أخرى، فشعرت بالفضول لمعرفة محدّثه.

كانت قد انتقلت إلى غرفة الجلوس، وجلست في وضعٍ مريح على كنبة جلدية واسعة وإلى جانب مصباح مضيء وشموع صغيرة مُضاءة، وغرقت في كتابها. كانت تقرأ قصّة جرت أحداثها في قرية على شواطئ ديفون الفرنسية في خمسينيات القرن العشرين.

«أعتذر، مخابرة عمل؛ صفقة نكاد نخسرها»، قال وفَرَكَ صدغيه.

شيء في سلوكه، ووجهه المهزول جعلاها تلين في موقفها، فقالت: «أعددتُ حلوى «ريزالاماند» وهناك الشوكولاتة الساخنة في الوعاء».

«شكراً»، قال فيما نظر إلى الطاولة التي تمّ تنظيفها، والأوعية التي غُسلت وتُركت لتجفّ. وما إن فتح فمه ليُكمل جملته، حتى رنّ الهاتف من جديد وأجاب على الاتصال، فإذا بكلارا تُراقبه بابتسامة موتورة.

وتمتمت كلارا بردٍّ مختصر: «لا بأس؛ بكل سرور». فنظر إليها من مكانه وبدا وكأنه لم يسمعها.

أدار جو ظهره وهسهس بعض الكلام الفظّ: «حسناً، أقنعه بالعودة. هل كنتُ مخطئاً عندما وثقتُ بك في هذه المسألة؟. . . كلا؟ إذاً تدبّر الأمر». وأقفل الخطّ متأفّفاً.

«أنت مطرود!»، صرخت ليدي كاكا من عليائها؛ وكأنّ كلامها جاء في موقعه هذه المرّة.

كانت كلارا تستعدّ للنهوض والذهاب إلى غرفتها لأجل متابعة القراءة وشرب الشوكولاتة الساخنة بهدوء، عندما عادت إليها كلمات لورين الهادفة إلى إجبار هذا الرجل على الاسترخاء؛ فإذا بها تقفز من مكانها وتشير إلى الأريكة التي كانت قد فَرَشَتها بأغطية دافئة، قائلةً: «تمهّل، اجلسْ هنا». مشى جو نحو الأريكة مرتبكاً وجلس عليها مستقيم الظهر وقدماه منبسطتان على الأرض، وكأنه ينتظر دوره في عيادة طبيب جرّاح.

وما هي سوى لحظات حتى وجدها أمامه تحمل صينيةً وضعت عليها كوباً من الشوكولاتة الساخنة وصحناً من حلوى الريزالامند، وهو عبارة عن عصيدة الأرز المحلّاة بصلصة الفراولة. «لمَ لا

تتناولهما هنا وتحاول أن ترتاح قليلاً؟»، وأحسّت للتوّ بومض من الشعور بالنصر عندما لاحظت الانفراج في عينيه ما إن وضعت الصينية على الطاولة أمامه. ثمّ قطعت إلى الجهة المقابلة وأدارت جهاز الموسيقى واختارت إحدى القطع اللاتينية الكلاسيكية من المجموعة التي تخصّ لويزا. ومع الإضاءة الناعمة المنبعثة من المصباح وظلال الشموع المتراقصة على الجدران، أحسّت كلارا أنها نجحت في خلق جوّ هيغي بامتياز.

وعادت إلى مكانها على الكنبة وراقبته، ونسيت حتى التظاهر بتقليب صفحات الكتاب ليظنّ بأنها كانت تتابع قراءتها، وكي لا يلاحظ نظراتها. تذوّق الشوكولاتة وأغمض عينيه عندما انحدر السائل الدافئ إلى حنجرته؛ وأبدى إعجابه بعد أن تناول الملعقة الأولى من الأرز. بدا عليه الاسترخاء حقّاً فقد أسند ظهره وغرق بين الأغطية الدافئة وأرخى رأسه على المساند. انسابت الموسيقى العذبة حولهما وتراوحت ما بين صوت الناي الرقيق وأنغام القصب والمزمار المرافقة. شعرت كلارا بجسمها يرتاح وبعضلاتها تسترخي، فحملها مزيج الموسيقى والطعام الطيّب إلى حالة من النعاس اللذيذ. ولكن، وما إن بدأ جفناها بالانغلاق حتى اخترق السكون صوت جارح ومتكرّر صادر عن منبّه الهاتف.

قفز رودي من حيث كان ممدّداً أمامها على بساطه المصنوع من جلد الخروف واختبأ تحت الكنبة. أمّا ليدي كاكا فطفِقت تعلن وتردّد: «يا إلهي، قتلوا كيني!»[1]، قفز جو واقفاً وألقى كوبه الفارغ بقوّة على الطاولة.

---

(1) عبارة اشتُهرت في برنامج South Park.

«ماذا. . .؟»، قالت كلارا بعد أن اهتزّت يدها وانسكبت الشكولاتة على صدر قميصها.

«إنه المنبّه»، قال جو موضّحاً، وكأنها اعتقدت أنه صوت شيء آخر. إنها دنماركية ولكنها ليست غبيّة.

«أعلم ذلك، ولكن لماذا؟»، قالت وهي تمسح السائل عن قميصها من غير فائدة.

كان جو قد التقط الهاتف وقطّب حاجبيه، وأجابها من غير الالتفات إليها قائلاً: «ليذكّرني بأن بورصة نيويورك أقفلت وعليّ الاتصال لمعرفة كلّ جديد».

«لكنها التاسعة مساءً ونأكل الريزالاماند»، قالت.

نظر إليها مستهجناً كلامها كأنها تكلّمت بالدنماركية. «ولكن بورصة نيويورك أقفلت»، قال مرّةً جديدة وكأنها لم تسمع في المرّة الأولى، وتابع: «وقد تؤثّر على صفقتنا».

«حسناً»، قالت وأقفلت كتابها. كانت غير قادرة على الاستمرار في التظاهر بالهدوء هذه الليلة. «ابقَ في الغرفة وحدك واتّصل بكلّ أسواق النقد في العالم، فذلك لا يهمّني»، قالت له، وعلمت أنها ستبدو سيئة الطبع في نظره، ولكنها كانت مرهقة في نهاية ذلك النهار، وكلّ ما تريده هو الاسترخاء وسهرة ممتعة. ويبدو أن الأمل بنجاح هذه التجربة مع جو ليس قريباً.

لم يُجِب جو بكلمة؛ وكان لا يزال يحملق في الهاتف ولا يبدو أنه سمعها. وحتى أنه لم يلاحظ أنها نهضت من مقعدها لتغادر الغرفة.

نفخت على الشموع الصغيرة التي كانت قد وضعتها على المنضدة الرخامية فوق سطح الموقد فأطفأتها؛ وأطفأت المصباح

الذي كان مضاءً إلى جانب الكنبة. كان يطبع رسالة هاتفية ولَمْسُ الأحرف يُصدر طقطقةً جعلتها تصرّ على أسنانها فيما كانت ترفع الإبرة عن الأسطوانة، فتوقفّت الموسيقى بعد أن تحوّلت خلال لحظة إلى أزيز مزعج. لم يكن جو شديد البُعد فحسب عن أجواء **الهيغي**، فكّرت كلارا، بل ربّما يسلب منها القدرة على الاسترخاء أيضاً.

مشت عبر غرفة الجلوس ومشت بمحاذاة الطاولة نحو غرفتها.

«كلارا»، ناداها، وبقيت يده فوق الهاتف فيما نظر إليها.

زفرت نفساً سريعاً واستدارت نحوه مُجيبة بصوتٍ متشنّج.

«شكراً على العشاء»، قال.

كانت مستاءة جدّاً ولكنّها أومأت إليه بتحية سريعة وأدارت وجهها مجدّداً واندفعت إلى داخل غرفتها وأغلقت الباب وراءها بجلبة.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثامن عشر

فتحت كلارا عينيها في الصباح على حماسة لذيذة تنعش قلبها، وبقيت في السرير قليلاً لتفكّر في النهار الطالع. إنها في غاية الشوق لترى كيف سيكون ردّ الفعل على مشروعها الجديد، حتى أنها نسيت الأسباب التي جعلتها تتقلّب طويلاً في فراشها قبل أن تستسلم للنوم في الليلة الفائتة. كانت الأفكار حول ما سيحمله ذلك النهار تزدحم في رأسها، حتى أنها لم تتّخذ أي موقف سلبي من جو عندما خرج من غرفته فسكبت له فنجاناً من القهوة وتقاسمت معه هلالية فيما كان يقرأ الأخبار عن شاشة حاسوبه المحمول. كانت تتناول فطورها بعجلة وعيناها على عقارب الساعة.

«ليكن نهارك سعيداً»، قالت، وانحدرت على الدرج قفزاً إلى المتجر.

لم تتمكّن من سماع أيّ جواب محتمل من جو بسبب ارتفاع صوت ليدي كاكا مردّداً: «هذا يلائمك[1]، يا أبله». هل رأته كلارا

(1) عبارة اشتُهرت في برنامج The Fast Show.

يُخرج من جيبه علبة دواء ويأخذ منها حبّة عندما مرّت من أمامه، أم كان ذلك من تصوّر خيالها؟ غير أن الفكرة اختفت من رأسها بمثل السرعة التي ظهرت بها، ما إن حملت اللوح إلى خارج المتجر. سرت في قلبها رعشة ترقّب وحذر عندما وضعت اللوح في مكانه، ونظرت ثانية إلى الأحرف البارزة بألوانها وأسلوب كتابتها التي تذكّر بشخصيات الصور المتحرّكة. تُرى هل سيُثير هذا الإعلان فضول الناس ويجذبهم؟

الطقس في ذلك الصباح الباكر كان منعشاً. السماء زرقاء صافية، والشمس باشرت في نثر أشعتها الذهبية على البيوت الواقعة في الجهة الأخرى من الشارع العريض فظهرت القرية وكأنها انشطرت إلى جزئين بين عتمة الليل وضوء النهار. أمّا الريح فتراجعت عن سرعتها في الأمس وتحوّلت إلى نسائم ناعمة. عادت كلارا إلى داخل المتجر وغيّرت الرقم الخشبي في الواجهة الذي بات «صفراً». هذا كلّ ما يمكن للناس رؤيته من الخارج؛ فهل سيكون كافياً ليُثير اهتمامهم؟

وصلت لورين بعد لحظات لاهثة متورّدة الخدّين، وأسرعت إلى نزع شالها وقفازاتها وهي تقول: «ارتديت ثياباً شتويّة ولكن الطقس حارّ إلى درجة الغليان». فأجابتها كلارا: «لا تبالغي -لا وجود لدرجات الغليان ونحن في ديسمبر- ولكن الحرارة مقبولة...».

كان الشك ينمو في داخل كلارا خصوصاً وأن أحداً من الزبائن لم يظهر بعد. ها قد جاءت لورين للمساعدة ولكن، ماذا لو لم يأتِ أحدٌ؟

«ماذا؟»، قالت لورين بابتسام، «هل يمكنني رؤية ما لديك من جديد؟».

شعرت كلارا بعدم القدرة على الكلام وكأنّ شيئاً كان يسدّ حنجرتها، ولكنّها مشت أمام لورين إلى الغرفة الخلفية من المتجر. كان المكان قد انقلب رأساً على عقب وانتبهت كلارا إلى وجه لورين وهي تتأمّل في كلّ شيء.

«غرفة فسيحة للغاية. ألم تكن هذه غرفة البضائع القديمة والمهملة؟»، سألت لورين.

ارتاحت كلارا لرؤية تعابير وجه لورين، إذ تذكّرت مشهد الغرفة عندما رأتها لأوّل مرّة وكانت مكبّاً لعلب الكرتون الفارغة وللألعاب المكسورة المكسوّة بالغبار.

كانت كلارا قد نظفت الطاولة المستطيلة الكبيرة وغطّتها بأوراق الجرائد ونشرت حولها عدداً من الكراسي. أمّا في الوسط فقد وضعت آنية دهان وغراء، وأباريق ملأى بالماء، وأوعية ملأى بالخرز، والأزرار الملوّنة، والبرق، وفراشي التلوين. وفي الزاوية وضعت سلّة مهملات حمراء كبيرة. وفي الجهة المقابلة من الغرفة وضعت مجموعات من المقاعد المريحة حول طاولات منخفضة. كان هناك مصباح في كلّ زاوية وشموع معلّقة بأقواس خاصّة على الجدران؛ وطاولة صغيرة وُضِعَت جانباً وعليها غطاء أبيض قطني مرتّب، وإبريق كبير للماء الساخن، ومجموعة من الأكواب والفناجين، إلى جانب تشكيلة من الكعك والكاتو على صينية وفوقها غطاء من النايلون الشفاف والرقيق.

«هذا عظيم!»، قالت لورين وراحت تدور في الغرفة كالمذهولة. ثمّ أضافت: «الجوّ في الغرفة هادئ ومشوّق. أتخيّله يعجّ بالناس». ثمّ استدارت نحو كلارا بعينين برّاقتين، وقالت: «أتصوّر أنكِ أمضيت ساعات طويلة في التحضير لكلّ هذا. رائع! إنه

المكان الذي نحتاجه بالضبط حيث يمكننا أن نجلب أولادنا ونجلس ونتسلّى مع أصدقائنا».

«ولكن، هل سيأتي أحد؟»، قالت كلارا وقد عضّت على شفتها وكانت متوتّرة وتشعر بانقباض في معدتها.

«بالطبع»، قالت لورين، وتابعت: «الإعلان في الخارج جذّاب وواضح. هل قرأت الجريدة المحلية هذا الصباح؟ هناك مقالة جميلة جدّاً عن مفاجأة اليوم هذه، وفيها صورة رائعة لك. وسوف ينشرون ذلك على الصفحة الإلكترونية أيضاً».

«حقّاً؟»، شعرت كلارا بالحماسة تعود إليها، وإذا بهما معاً تلتفتان باتجاه الباب الخارجي عندما خشخش الجرس.

«بالطبع»، أجابت لورين ومشت إلى داخل المتجر قائلة: «هيّا، ولنفتتح هذا العرض في الحال».

تبعتها كلارا وفرحت عندما رأت أطفالاً يعاينون تشكيلة الألعاب الخشبية العديدة التي عرضتها على الطاولات والرفوف.

«إنّه مشغل يحمل عنوان: «لوّن لعبتك بنفسك» ما رأيكم أن أشرح لكم كيف يتمّ ذلك؟» قالت لورين، وكانت قد استقبلت عدداً من الزبائن؛ ثمّ انحنت نحو فتاة صغيرة ذات شعر بني طويل ومجدول على شكل ضفيرة، كانت قد أمسكت بديناصور خشبي. «هل هذا ما تريدين تلوينه؟»، سألتها. هزّت الفتاة برأسها إيجاباً فنظرت أمّها في اتجاه المشغل، وما هي سوى لحظات حتى اختارت لنفسها مقعداً وجلست. «كلارا»، قالت لورين، «إنها تريد أن تلوّن هذا «التي-ركس»[(1)]» وبهذا افتتح المشغل.

---

(1) أحد أنواع الديناصورات الضخمة التي عاشت في شمال أميركا.

ضجّ المتجر والمشغل تحديداً بالأصوات والأسئلة ورائحة القهوة وضحكات الأهالي وأحاديثهم. فرغت الصواني من الكعك والحلوى ولم تتمكّن لورين من مغادرة موقعها أمام الصندوق سوى لِماماً. كانت تُدخل المال في الصندوق وتُرسل الأطفال مع الألعاب التي اختاروها إلى كلارا.

شعرت كلارا وكأنها تتمايل من شدّة فرحها لرؤية الأطفال على كراسيهم على طول الطاولة الكبيرة منشغلين جدّاً في تلوين ألعابهم. بعض الأهالي مكثوا إلى جانب أطفالهم لمدّ يد المساعدة عند الحاجة، وبعضهم الآخر ارتاح في مقعده ليتناول فنجاناً من القهوة وعيناه تتابعان طفله من بعيد.

مرّ النهار بسلام سوى من حادثة واحدة كادت تفسد الأجواء. وكان ذلك عندما قرّر أحد الأطفال وبسبب حماسته إلى تلوين عجلات سيارته باللون الأحمر القاني، حيث قفز من كرسيه بلمح البصر إلى مكان والده وجلس على الأرض أمامه؛ وفي تلك اللحظة بالذات ظهر جو في الباب ومشى إلى الداخل وتعثّر بالطفل وكاد يقع فوقه، فصرخ جو وبكى الطفل في الحال. رفع بقيّة الأطفال أنظارهم وظهرت وجوههم وأيديهم الملطخة بالألوان فبدوا وكأنهم ينتمون إلى بعض القبائل البشرية المتوحّشة. بلعت كلارا ريقها فيما رأت جو يتقدّم في اتجاهها مربّتاً بعصبية على سرواله لتنظيفه.

«يمكن نزع هذه الألوان بالماء»، قالت وأعطَتْه قطعة إسفنج مبلّلة.

نظر إليها، ثم نظر إلى الإسفنجة ولم يأخذها.

«ماذا يحدث هنا؟ هل افتتحتِ حضانة أطفال؟ هل دعوتِ معظم سكان القرية إلى هنا ليفسدوا المكان؟».

أخذت كلارا نفساً عميقاً، واندفعت بكلّ ما لديها لكي تُقنع جو بحقيقة ما تفعل: «لقد حوّلت هذه الغرفة إلى مشغل ومقهى. ليس هناك في القرية مكان يذهب إليه الناس في أثناء النهار. أردت أن أخلق مكاناً هادئاً ودافئاً يمكن للناس أن يصطحبوا أطفالهم إليه. كانت الغرفة مكاناً خالياً، وها هي الآن تضجّ بالحياة».

«تضجّ بالفوضى»، قال مصحّحاً.

«لا شكّ»، أجابت، وهزّت برأسها محاولة الحفاظ على تماسكها. ولكنها وعلى الرغم من عبوسه وتوتّرها، أضافت: «كل شيء سيعود إلى النظام في نهاية النهار. انظر إلى أجواء المرح السائدة الآن».

ألقى جو نظرة متفحّصة سريعة إلى الطاولة، وغمغم بشيء غير مفهوم. ولكن واحداً من الأطفال، وهو الصبي الذي سبق وأخبر كلارا مرّةً عن طلاق أبويه، سمع غمغمة جو وبادله بضحكة بريئة كشفت عن أسنانه الطفولية التي سقط بعضها. تلقّف جو ضحكته ونظرات عينيه، فتبدّلت تعابير وجهه أمام إشراقة الفرح الطفولي.

«هل تعرف كيف ترسم بطّة؟»، سأله الطفل.

تقدّم جو خطوة في اتجاهه، ولكنه عاد والتفت إلى خلفه من باب الاحتمال أنّ سؤال الطفل كان موجّهاً إلى غيره.

«هل تعرف كيف ترسم بطّة؟»، سأله الطفل مجدّداً وهو يميل برأسه إلى جانبٍ واحد.

«بطّة؟»، سأل جو، وبدا منظره غريباً عندما انحنى ببدلته الأنيقة جدّاً ليتكلّم إلى الطفل الجالس على الكرسيّ الصغير.

وأجاب الطفل: «بلى، لا أعرف كيف أرسمها. كان أبي ماهراً بالرسم ولكنه لا يعيش معنا الآن. هل تجرّب؟».

«أنا. . .؟ أوه، حسناً، أنا. . .»، تأتأ جو. ولكن الطفل أسرع إلى وضع قلم رصاص في يده. وعاد جو إلى التردّد قائلاً: «إممم. . . لست متأكّداً. . .». والتفت إلى كلارا مشيراً إلى القلم وكأنه شيء ملوّث يريد التخلّص منه، وقال: «يريدني أن أرسم له بطّة».

«فكرة ممتازة»، قالت كلارا وتوجّهت إلى الصبي بابتسامة مضيئة، وأضافت: «غالباً ما أحببت رؤية مزيد من رسوم البطّ على القطارات». وأخمدت قهقهة كانت ستخرج منها عندما رأت تعابير جو المرتبكة وهو يدير وجهه نحو الطفل ثانيةً ويحوم حول اللعبة الخشبية بعينيه.

ثمّ انحنى إلى الأمام وبدأ يرسم: عيناً مستديرة تماماً، ومنقاراً، جناحَين ورجْلَين رفيعتَين. وفيما كان يرسم، كانت حماسة الصبي الذي التصق به مراقباً تتضاعف ليطلق من حين إلى آخر صرخة بابتهاج: «هذا جميل، هذه بطّة!».

استغرق رسم البطّة دهراً. رأته كلارا يعمل بتأنٍّ فيلتقط الممحاة ليحسّن ذيلها مثلاً، أو ليغيّر تفصيلاً معيّناً حتى بدا وكأنه في صدَد خلق بطّة من الرسوم المتحرّكة. كان يبدو في غاية التركيز ويعمل بطريقة مدروسة، ولاحظت ظلّ ابتسامة يتراقص فوق شفتيه حين قال للصبي: «انظر كيف رسمتُ قدمي البطة المكفّفتين».

مدّ الصبي رقبته لينظر جيّداً، وقال: «عظيم».

«كيف ترى الجناحين؟ هل رسمهما جيّد؟»، سأله جو، وقد وضع القلم بين شفتيه، وكأنه يتأمّل في لوحة زيتيّة.

«الجناحان هما الجزء الأفضل»، أجاب الصبي بجدّية.

«شكراً يا صديقي»، قال جو، وأسرعت كلارا إلى إخفاء ضحكتها بيدها.

وقف جو وقد تلوّن وجهه بحمرة الدمّ، وأعاد القلم إلى الصبي الذي كان محدّقاً في آنية التلوين ليعلن على الفور: «سألوّنها بالأزرق».

«فكرة جيّدة»، أجابه جو، وقد وضع يده على كتف الصبي، وما لبث أن نزعها للتوّ عندما رفعت كلارا عينيها إليه.

«يحبّك»، قالت له كلارا مبتسمة فيما رفع الصبي إبهاميه الصغيرين تأييداً، قبل أن ينصرف إلى تغطية البطّة كلّياً بالدهان الأزرق.

«ولد لطيف»، تمتم جو بصوت ضئيل.

ظهرت لورين عند الباب، وتوجّهت إلى كلارا بعد أن ألقت على جو تحيّة خاطفة بهزّة من رأسها: «أحدهم يسأل عنك».

نظر جو إليها بعينين واسعتين، وكأنّ الأفكار اللطيفة التي شغلته في الدقائق القليلة السابقة اختفت، وسأل كلارا بنبرة رجل الأعمال الجافّة: «هل تدفعين أجر موظّفين؟».

رمقته لورين مستغربة، وقالت: «أنا عرضتُ مساعدتي على كلارا؛ ولكن مَن أنت؟».

شخر جو وتمتم بما يعني أنه المالك.

وهمست لورين ببطء: «إنك إيّاه بالطبع».

وردّت كلارا بهدوء مصطنع: «قولي لهم إني سأحضر بعد دقائق».

«سأفعل»، قالت لورين بفرح. قبل أن تلتفت إلى جو لتقول له

بنبرة لا تخلو من الكدر: «تشرّفت بمعرفتك». ثمّ استدارت لتعود إلى المتجر.

ضحكت كلارا في محاولة لتلطيف الأجواء بينما لم يلاحظ جو أنّ خطأ قد حدث في مكانٍ ما؛ بل عاد ليملّس أكمام سترته وليتصرّف بكبرياء كعادته.

«انظري، عليّ الذهاب إلى موعدي؛ لقد تأخرت. وربّما لن أعود إلى هنا في المساء».

«حسناً، حسناً»، قالت كلارا وعيناها في اتجاه طفلٍ أغرَقَ يده باللون البنفسجي وطبَعَها على الحائط الذي كان قد دُهن حديثاً بالأبيض العاجي.

سحب جو هاتفه من جيب سترته، وسأل كلارا: «ما هو رقم هاتفك الخليوي فقد أحتاج إلى التواصل معك؟».

«أوه...»، فتحت فمها لتقول شيئاً، ولكن الطفل ذا اليد البنفسجية كان يتقدّم في اتجاههم. ثم تكلّمت: «في الواقع... لا أملك هاتفاً». ثمّ مرّ الطفل من غير حدوث مأساة «بنفسجية» وتنفّست كلارا الصعداء.

«ماذا تعنين؟»، قال، وأخفض يده الممسكة بهاتفه، وتابع فيما بدا وقع المفاجأة واضحاً على وجهه: «الكلّ لديه هاتف خليوي».

هزّت كتفها ونظرت إليه قائلةً: «باستثنائي أنا».

«ولكنّه سلوك من الماضي السحيق. كيف يمكن لأحدٍ الاتصال بك؟ هل بواسطة الدخان في الهواء؟ أو بطريقة البرقية؟ يا إلهي، ليس لديها هاتف!!» قال، وكأنها أفضت إليه بأنها لا تملك أعضاء حيويّة في جسدها.

وإذا بإحدى الأمهات ترمقه بنظرات حادّة من مقعدها.

«لديّ بريد إلكتروني!»، قالت له كلارا، لعلّه يرتاح قليلاً، ويعود إلى المرح الذي ظهر على وجهه ولو لدقائق معدودة خلال انشغاله برسم البطّة. ولكن كان عليها أن تضيف: «مع أني، في الواقع، لا أفتحه سوى نادراً».

أدار جو عينيه سأماً.

أما هي فعضّت على شفتها محاولةً عدم الإفراج عن النكتة التي حضرت إلى ذهنها للتوّ والتي تقترح الحمام الزاجل وسيلة لحلّ المشكلة. ولكن كان جو في تلك اللحظة بعيداً كلّ البُعد عن أجواء الهزل، ولا تريد أن تعود إلى الوراء في العلاقة بينهما وتخسر خطوات التقدّم الضئيلة التي قطعتها في الساعات الأربع والعشرين الماضية.

«حسناً»، قال وهو يمرّ بيده على أسفل فكّه، وتابع: «سوف أتصل برقم البيت في طريق عودتي لأعلمك عن موعد وصولي بالتحديد».

«فكرة جيّدة»، قالت، وسدّدت إليه بقبضتها ضربة مداعبة على ذراعه. رجع جو خطوةً إلى الوراء، فقالت كلارا: «أرجو أن يمرّ كل شيء بنجاح».

نظر إليها بعينين ضيّقتين مستفهماً.

«أقصد المقابلة»، أجابت ببطء شديد متسائلةً عن سبب تلك الغرابة في نظراته. تُرى، إلى أين هو ذاهب؟ وهل هناك مقابلة حقّاً؟

«نعم، المقابلة»، قال من غير أن ينظر إلى عينيها. وأدار وجهه للخروج على الطريق ذاتها التي اتبعها في دخوله؛ غير أنه كان متنبّهاً

ألّا يلتصق حذاءه بالأرض، لأن الطفل ذا اليد البنفسجية كان قد عاد وبيده أنبوباً كبيراً من الغراء.

أمسكت كلارا بيد الطفل وأبعدته بكياسة عن درب جو قائلةً: «هيّا، تعال معي لنجد والدتك».

وما إن رفعت عينيها ثانيةً حتى كان جو قد اختفى عن الأنظار.

الفصل التاسع عشر

أغلق أخيراً جو حاسوبه في ساعات الفجر الأولى وفكّر في الاستحمام. كان قد عاد إلى البيت قرابة منتصف الليل، وكانت كلارا نائمة. مرّت في باله فكرة إيقاظها لكي يقدّم لها اعتذاره، وليقول لها إنّ فكرة المشغل جيّدة. وجد جو بعد مغادرته المتجر في الصباح وقتاً كافياً ليفكّر مليّاً بأسباب ردّ فعله غير اللطيفة، ووجد أنها كانت مزيجاً مربكاً من التعب والحنين والشعور بالذنب. ذكّرته الأجواء الطفولية المرحة في المشغل بتلك الأيام عندما كان صبيّاً مع والدته والمتجر يضجّ بالأطفال الهازجين الذين يركضون في كلّ اتجاه؛ وبمشاعر الحماسة لدى وصول الطلبيّات الجديدة، وبالضحك والثرثرة التي لا تنتهي. كان يعشق المتجر في تلك الأيام، فلماذا يتصرّف بهذه الطريقة غير اللائقة الآن؟

رفع ذراعيه فوق رأسه وطقطق أصابعه. كانت عضلات ظهره متشنجة لانحنائه الدائم أمام الحاسوب، أما عيناه فمتعبتان بسبب تعرضهما الطويل للضوء، ولذلك فالحمّام ضروري لغسل متاعب النهار قبل الخلود إلى النوم.

وضع منشفةً حول رقبته وخطا في اتجاه الحمام ببطء، ثمّ توقّف أمام باب غرفتها مفكّراً؛ التمديدات الصحية قديمة في الحمام، وما إن تُفتح الحنفية حتى يُسمع صوت تدفّق المياه الساخنة في الأنابيب. لا بدّ أن الضجيج سيوقظها. لم يكُن ليفكّر بهذه الطريقة منذ أيام قليلة، ولكنه تراجع في تلك اللحظة وعاد إلى غرفته بعد أن تذكّر بأنها أمضت ساعات طويلة في الإعداد للمشغل، ومن الطبيعي أن تكون منهكة مثله.

فكّر جو أن كلارا، ومنذ الشجار الذي حدث بينهما خلال النزهة في الحقول عندما أتلف حذاءه الذي كان قد دفع ثمنه مئتين وثلاثين باونداً إسترلينياً، لم تتصرّف معه سوى بلطف ودماثة. لم يكن يتوقّع ذلك منها، ولم يوافق على الانتقال إلى البيت في تلك الليلة سوى لأن ليلة أخرى على ذلك السرير في الحانة كانت ستكلّفه عاماً كاملاً من العلاج على يد طبيب فيزيائي. ومع ذلك، فإنها تعتني به منذ انتقاله وتحضّر له الأطباق الشهية وتترك له كلمات جميلة حتى باتت شكوكه بشأنها تتضاءل. ربّما اعتمدت هذه الطريقة لتكسب ودّه، ولكنه لم يعُد واثقاً بصحّة هذا التفكير أيضاً. تكلّم إليها بجفاء هذا الصباح، ومن غير المقبول أن يستمرّ في اعتبار أن تعاملها اللطيف أمر مضمون إلى ما لا نهاية. وشعر بالارتياح لأنها لم تعلم بطبيعة المقابلة التي ذهب إليها في ذلك النهار.

مشى في غرفة الجلوس الخالية عائداً إلى غرفته ونظر إلى الصور العديدة المعلّقة على الجدار فاقترب منها بحركة تكاد تكون غير إراديّة ووقف أمامها وأحسّ بيديه تتعرّقان.

عرضت أمّه الفخورة به على ذلك الجدار صوراً عديدة تُظهره في مراحل مختلفة من عمره: يوم تخرّجه وكان شعره منسدلاً

كالستارة وفي أسوأ حالاته؛ يوم عرس ابن خاله ويرتدي بدلة أكبر من مقاسه، وكان لم يصل إلى عمر المراهقة بعد؛ ثمّ صورة تُظهره مع أمّه، وقد فغر كلّ منهما فمه وفتح ذراعيه فيما كانا ينحدران بسرعة من علوّ شاهق في مدينة الملاهي في أبراج آلتون. ثمّ صورته واقفاً أمام سيارته الأولى، وكانت سيارة قديمة من نوع «فورد فيستا» اشتراها بعد أن قبض معاشه الأول. كان يبدو وكأنه شخص آخر، وأكثر شباباً من اليوم بفارقٍ كبير، مع أن تلك الصورة تعود إلى حوالي عشر سنوات خَلَت، وليس أكثر.

تحاشى النظر إلى الصورة الأخيرة. إنها قديمة وشاحبة وتمثّله وهو يطفئ الشموع في عيده الثامن. يبدو والده في الصورة في كنزة صوفية سميكة وممسكاً بيده كتف جو. أما أمّه فكانت في الجهة المقابلة من الطاولة بشعرها الأجعد المعقوص إلى الخلف، وتبدو في غاية الفخر به عندما أطفأ شموعه الثمانية بنفخة واحدة. ترك أبوه البيت بعد ذلك بأسبوع واحد، وبعد أن قال لزوجته إنه قرّر أن يعيش مع راشيل وهي المساعدة الشخصية التي كانت ترافقه في رحلات العمل إلى الخارج. يا لها من صورة نمطية!

لم يكُن هناك غير تلك الصورة لوالده. وطالما منعه كبرياؤه أن يسأل أمه أن تعطيه إياها. ولكنّه، وفي كل مرّة يأتي للزيارة، يقف أمامها ويتأملها. مرّ بإصبعه حول وجه ذلك الرجل في الصورة فتدفّقت إلى ذاكرته صور لم يتمكّن من منعها. بعض تلك الذكريات هو يوم أخبرته أمه بعد عودته من المدرسة أن والده قد هجر المنزل. كانت قد أعدّت له قالباً من حلوى الشوكولا مع رقائق الذرة؛ وما إن سمع الخبر حتى تحوّلت قطعة الحلوى في فمه إلى كتلة لزجة من غير طعم. لم يكن يعلم شيئاً كثيراً عن معنى الطلاق. فتاة اسمها جيني

في صفّه كانت تبكي دائماً بسبب طلاق أبويها؛ ولكنه لم يكن يحبّ جيني ولم يستمع مرّةً إلى ما تقوله.

كان يرى والده في نهاية الأسبوع، ويلاحظ راشيل وهي تكبر حجماً أسبوعاً بعد أسبوع، حتى تعرّف أخيراً إلى الطفل هاري بعينيه الصغيرتين المغمضتين وأنفه الدقيق، وقيل له إن هاري أخوه من أبيه. وتذكّر جو أيضاً ذلك اليوم عندما وقف خارج المنزل منتظراً وصول والده ليصطحبه في السيارة بحسب موعدهما في نهاية الأسبوع. كان يحمل في يده بطاقة نتائجه المدرسية لكي يُطلع والده على الدرجة A التي أحرزها في مادّة الرياضيات، وكان في غاية الشوق ليرى بريق الفخر في عيني أبيه عندما يراها. كان المطر قد بدأ بالتساقط فأخفى جو بطاقة العلامات تحت سترته، أما والدته فتوقّعت أنّه كان في رعاية والده منذ زمن. اشتدّ المطر فحاول الاختباء تحت الأشجار، ولكن المطر تسرّب إلى تحت سترته وتبلّلت البطاقة وترطّب الحبر الأزرق ولم يعُد ممكناً تمييز الدرجة A عن غيرها من الدرجات. وعندما حلّ الظلام وتبدّد أمله في مجيء والده، عاد إلى البيت فاحتضنته أمه وراحت تجفّف شعره، ولم يختلف انهمار دموعها فوق رأسه كثيراً عن انهمار المطر.

وتذكّر سخرية بيتر، رفيقه في الصفّ، عندما كان يسأله باستمرار عن مكان وجود أبيه، فيخفض كلّ أعضاء فريق كرة القدم في المدرسة عيونهم إلى أحذيتهم. ويشعر جو بقبضتَي يديه تتصلّبان، وبالجواب عن سؤال بيتر يتجمّد في داخله، وتدور عيناه في محجريهما في انتظار اليوم الذي سيأتي ويمسخ وجه هذا الأخير لكي لا يتمكّن في حياته بعد ذلك من أن يرى أمّه بشعرها الأجعد المنكوش، ولا بابتسامتها العريضة التي تشقّ وجهها إلى نصفين، أو

بثيابها المختلفة عن ثياب بقية الأمهات. ثمّ تذكّر عندما هاجم بيتر بلكمتين قويّتين على حنكه؛ وألم يده الذي استمرّ لمدة أيام؛ وتوقيفه عن الحضور إلى الصف بضعه أيام.

مشى إلى غرفته وجلس على طرف السرير عاري الصدر. كان منهكاً من التعب ولكنه، وفي الوقت عينه، لم يكن متعباً. وجال في رأسه حول أحداث ذلك النهار: كلارا، زيارته، اتصالات العمل، الرسائل الإلكترونية غير المرسلة. اتّصال توم الحقير من المكتب ليسأل عنه إن كان قد اختفى من الوجود. فكّر في وجوب أن يقود سيارته إلى لندن في الحال، ولكنه فضّل أن ينام قليلاً قبل أن يذهب. ومدّ يده بحركة تلقائية إلى سترته التي وضعها على المقعد قرب ذيل السرير وأخذ من جيبها حبّتين كافيتين لإغراقه في النوم، أو لإزاحة ألم رأسه على الأقل.

استيقظ من نومه مشوّش الذهن، وحدّق في غطاء المصباح الكهربائي المتدلّي من السقف، ثمّ سمع طقطقة أوعية وأطباق في الخارج، فنهض ومشى ولم يكن قد استيقظ من نومه كلّياً. كان الضوء يملأ غرفة الجلوس والمطبخ، وكلارا في مريول لويزا المزيّن برسوم كرتونية واقفةً أمام الطبّاخ وملعقة خشبية مسطّحة في يدها.

«أوه، حسناً لقد عدت. لم أسمع في الليل ما يشير إلى عودتك، ولم أشأ الدخول إلى غرفتك في حال. . . ، حسناً، لن يكون الأمر لائقاً. . .»، قالت، وسمع جو هسيساً صاعداً من المقلاة وراءها. «بانكيك؟[1]».

«كم الساعة الآن؟»، سأل وهو يفرك وجهه، وكان لا يزال

---

(1) مزيج من الطحين والحليب والبيض يُخبز على شكل أرغفة فوق النار.

عاري الصدر. ثمّ قفز فجأةً ما إن ارتطمت إصبع قدمه بأسفل الباب.
«اللعنة!» شتم، وهبط جالساً على إحدى الكراسي.

«التاسعة تقريباً»، أجابت.

«كان يجب أن أنطلق منذ ساعات»، قال وما زالت إصبعه تنتفض ألماً.

«تبدو مرتاحاً لأنك أخذت قسطاً من النوم»، قالت فيما وضعت أمامه صحناً. وتابعت: «أضفتُ مسحوق القرفة وجوزة الطيب إلى «البانكيك». إنها وصفة دنماركية».

لاحظ جو لمعان شعرها في نور الشمس، ونضارة وجهها التي لا تصدّق، وكانت في عجلة من أمرها. «ليس لديّ وقت»، قال، وكاد يغطّي فوهة الكوب بيده عندما شرعت لتسكب له عصير البرتقال.

«الكلّ يجد وقتاً لتناول البانكيك. إنه من الحاجات الضرورية في الحياة مثل الأوكسجين، والكلاب، والأطفال، والشوكولاتة». ثمّ أضافت بنبرة عالية كادت تجفله: «والنبيذ، لا أصدّق أني كدت أنسى النبيذ». ثمّ هزّت برأسها والتفتت إلى المقلاة.

هل هي دائماً بهذه الحيويّة في الصباح؟ لم يرَ في حياته إنساناً يمتلئ بفرح الحياة في الصباح مثلها، قبل أن يشرب كوبين من القهوة على الأقل. وإذا به، ومن غير تفكير، يلتقط الشوكة والسكين، وكان هواء الغرفة دافئاً بالبخار وبالرائحة التي تجلب إلى المخيّلة صور الخبز الطازج.

«هل تمطر، لم ألاحظ»[1]، ارتفع صوت ليدي كاكا قائلاً.

التفت جو إلى ليدي كاكا، وتساءل فجأةً عن الأفلام التي تشاهدها أمّه.

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Four Weddings and a Funeral.

كان البانكيك لا يزال ساخناً، ولم ينتبه إلى مدى جوعه حتى وجد صحنه فارغاً بعد ثوانٍ.

«إنجاز سريع»، قالت كلارا، وأسرعت لتضع في صحنه قطعة ثانية.

«شكراً، إنها لذيذة»، قال مبتسماً، وإنما قلقاً من أن يكون فتات العجين قد التصق بأسنانه. وأخذ لقمة ثانية ومضغها بسرعة متفادياً فتح فمه قبل البلع. وبدا وكأن عمليّة المضغ تكاد لا تنتهي. كانت تنظر إليه وتنتظر. «هل أمامك يوم طويل؟»، سألها.

هزّت برأسها وأجابت: «كلا، أبداً. سيعود بعض الأشخاص لاستلام الألعاب التي لوّنها أطفالهم البارحة، وسوف نخطّط للعرض الجديد».

«نخطّط؟».

«لا، لن تشاركني لورين في ذلك»، أسرعت كلارا إلى القول، وأوضحت: «عَرَضَ غافين عليّ المساعدة من غير مقابل. دعوته إلى العشاء الليلة في الحقيقة، وسيوكل إلى كلايف أمر إدارة الحانة عنه هذا المساء».

«دعوتِ غافن إلى العشاء؟»، قال جو مستغرباً ومتخيّلاً غافن الضخم إلى جانبها، والفارق الشاسع بين بشرتها الوردية وشعرها الأشقر من جهة، وزنديه الضخمين ووشومهما من جهة أخرى. ثنائي غير منسجم، عدا عن عشرين سنة من فارق العمر بينهما.

«دعوت لورين وزوجها باتريك أيضاً. هل ترغب في أن تكون معنا؟ سوف أحضّر فوندو[1] البيرة الدنماركية. أحبّ هذا النوع من الفوندو كثيراً، وطلبتُ كلّ مكوّناته عبر الإنترنت».

---

(1) طبق يُطهى على طاولة الطعام وأمام الضيوف مباشرة.

هزّ جو رأسه بالموافقة. ولكنه ما لبث أن سأل نفسه ماذا فعل. كان متعوّداً على أكل السوشي مع زملائه في العمل أو مع الزبائن؛ وعلى تناول وجبات طعام سريعة على مكتبه، وليس على وجبات عشاء طويلة، وعلى أحاديث اجتماعية لا تنتهي مع غرباء. غالباً ما لا يجد شيئاً يقوله في مثل هذه الاجتماعات سوى إن أراد أحدهم التحدّث بشأن البورصة. وعادةً ما يطرح أحدهم عليه السؤال المعهود عن الكتاب الذي يقرأه، أو عن الهوايات التي يمارسها. وفكّر جو في إمكان التملّص من هذا العشاء في الحال؛ قد يدّعي أنه تذكّر موعداً مهمّاً في نهاية الأسبوع؟ وما كاد أن يفتح فاه ليتكلّم ويصطنع عذراً حتى انكشف ثغر كلارا عن ابتسامة مشرقة وبانت أسنانها المرصوفة كاللآلئ، وبرقت عيناها فيما صفّقت بكفّيها معلنة:

«عظيم؛ إني في غاية الشوق لاستقبال الضيوف. نتبادل في الدنمارك الدعوات إلى العشاء بصورة مستمرّة. اشتقتُ إلى ذلك...». هل رأى حقّاً أنّ ذبولاً اجتاح فجأةً بريق عينيها، أم تراءى له؟ وأن الابتسامة على شفتيها شحبت وتلاشت؟ وشعر بتوقٍ إلى مشاهدة ذلك الوجه مضيئاً من جديد.

أرجعت كرسيّها إلى الخلف وقالت: «حسناً، هناك كمّ من الأعمال في انتظاري». وأخذت الصحن الفارغ من أمامه من غير أن تنظر إلى عينيه.

«نعم، وأنا أيضاً»، قال. وأضاف عندما رآها تجمع الأطباق المتّسخة فوق بعضها: «لا تعبَئي بالصحون، سوف أغسلها بنفسي».

«أنت تكمّلني»[1]، أعلنت الببغاء.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Jerry Maguire.

لم يلتفت إلى ليدي كاكا فيما كان يستعدّ للنهوض من كرسيّه، غير أن هاتفه بدأ بالارتجاج. نظر إلى الرقم وكان محلّياً، وعندما تعرّف إليه، شعر بعدم الارتياح. ها إن الردّ يأتي سريعاً. وإذا به يكبس على أحد الأزرار فيقطع الخطّ على المتّصل. هل تصرّف بطريقة صحيحة؟

«لم تجب على الاتصال!»، قالت كلارا بتعجّب.

غيّر وضعيّة جلوسه، وأجاب: «لا يهمّ، يمكن للمتّصل الانتظار». أحسّ فجأةً بعدم رغبته في أن يشرح لكلارا ما عزم على القيام به. ولعلّ تردّده في ذلك غير مقبول؛ في النهاية فإنّ القرار يعود إليه، والأمر يخصّ متجر أمّه ومستقبلها.

كانت كلارا تنظر إليه وقد أمالت رأسها جانباً. غير أنه وقف بسرعة وكان يعلم أن مظهره لم يكن على ما يرام. «على كل حال، سوف أنهي المهمّة هنا وأتوجّه بعد ذلك إلى لندن».

«ولكنها عطلة نهاية الأسبوع»، قالت.

هزّ جو كتفيه وأجاب: «لا فرق؛ علينا إنهاء صفقة كبرى».

«ولكن. . .»، باشرت في الكلام، ولاحظ جو أنها تراجعت عمداً عن قول شيء معيّن. ثمّ ردّدت بسرعة: «حسناً، حسناً»؛ ومشت إلى غرفتها.

عضّ على شفته وتبعها بعينيه إلى غرفتها قبل أن يتوجّه إلى المجلى.

فتح الماء الساخن وراح محدّثاً نفسه: هل يصارحها؟ ثمّ أنّب نفسه بأنه جبان، فيما أنزل الصحن الأوّل في مزيج الماء والصابون.

نسي متى كانت آخر مرّة غسل فيها صحوناً. وما هي سوى لحظات حتى غرق كليّاً في المهمّة، وارتاح ذهنه من كلّ الأمور

الأخرى خلال انشغاله في التنظيف والتجفيف. تمنّى جو للحظة لو يبقى في هذا المكان النهار كلّه من غير أن يفكّر بشيء البتّة، ولو يتمكّن من تأخير لحظة عودته إلى المكتب. غير أنه ما لبث أن توقّف برهةً عن الحركة وبيده صحن يقطر ماء. فقد فوجئ بالاتجاه الذي ذهبت إليه أفكاره وراح يذكّر نفسه بأنه يحبّ وظيفته، وهي كلّ ما يتقّن فعله في الحياة.

كانت قد أصبحت في داخل المتجر ووراء الصندوق عندما خرج إلى الشارع العريض وما زال يرتّب ربطة عنقه. لمحها تضحك لفتاةٍ صغيرة حملت بيديها علبة لتُريها إيّاها. كانت كلارا ترتدي فستاناً مزهّراً، وشعرها الأشقر ينسدل على كتفيها. تذكّر جو كلام غافن بأنها مسالمة. ولعلّه، وباستثناء لمحة خاطفة مغايرة حدثت هذا الصباح، فإنه يوافق غافن رأيه. إنها تبدو مرتاحة مع نفسها. فيما هو مضطرب، وغير قادر على الاسترخاء. يتحرّك باستمرار بين مهمّة يؤدّيها، واتصال يجيب عليه، ونشاط آخر يقوم به، ثمّ يذهب إلى النوم. ولا يحتمل البقاء في مكان واحد لفترة طويلة. أما هي فتتمهّل في حركتها. ثمّ تذكّر جو نزهتهما إلى الحقول وتوقّفها لتتأمّل في المشهد ولاستيعابه والتحدّث عنه. إنها تمتصّ جمال وهدوء تلك المشاهد إلى داخلها حقّاً؛ كانت تعيش اللحظة بالفعل وتبدو سعيدة.

فكّر في المال الذي صرفه لكي يحصل على هذا الشعور: جلسات العلاج الفيزيائي التي خضع لها في المكتب لإعادة تليين رقبته وظهره. والعلاج بوخز الإبر الذي أخفاه عن الآخرين. والأدوية التي يبتلعها، والبحث على الإنترنت لكي يجد شيئاً عن علاجات أكثر جدوى من تلك التي يعرفها؛ والطابات المطاطية الصغيرة التي يجب الضغط عليها في باطن اليد للتخفيف من الضغط

النفسي. السيارات الجديدة، والثياب الجديدة، والصديقات الجديدات، وأيام العطلة. ما هو سرّ كلارا يا تُرى؟

لاحظ أنه ما زال متسكّعاً على الرصيف، وأن كلارا رأته ينظر إلى داخل المتجر. أومأت إليه بإحدى يديها وقد قطّبت حاجبيها قليلاً؛ فإذا به يتحرّك بسرعة نحو السيارة ويضغط على المفتاح الإلكتروني فيخرج الصوت الرفيع المعهود، وتشعّ الأنوار الخلفية بوميضها الأحمر المشابه للون محيّاه في تلك اللحظة.

وما إن أدار محرّك السيارة حتى باشر إلى تعبئة بطارية هاتفه كما تعوّد، ولكن شعوراً لا يستطيع تفسيره تملّكه هذه المرّة، فوجد نفسه يضغط على زرّ الهاتف ويطفئه. ثمّ أدار الراديو على محطّة إف.إم. الكلاسيكية وترك العنان للأنغام الناعمة لكي تملأ السيارة وترافقه في طريق العودة إلى العاصمة.

يبدو أن المزاج الهادئ الذي وصل به إلى مركز العمل تبدّد فجأة لحظة دخوله المبنى عبر الأبواب الزجاجية المتحركة. وما إن دخل إلى القسم حيث مكتبه حتى طالعته وجوه فريقه الرّمادية، وعلب الأكل الفارغة التي تحمل اسم أحد أفضل المطاعم الصينية تحتلّ المكاتب بين أكوام الورق والمجلات المالية. يبدو المكان عارماً بالفوضى؛ رنين الهواتف يتعالى بلا انقطاع، والوريقات اللاصقة الصفراء المخربشة تنتشر بأعداد لا تحصى بين عديد أكواب القهوة نصف الملأى. لا شك أنّ هذا المشهد وحده يكفي ليحرّك وجع رأسه. أمّا النقاش معهم حول المستجدّات وعودته إلى نمط العمل السريع فساهما في تسريع نبضات قلبه بفارق أحسّ به. لم يجرؤ أحد من الفريق على مناقشة موضوع الوقت والتأخير الذي حدث، ولكن

معرفته الأكيدة بأنهم يناقشونه في ما بينهم جعله يشعر بالانقباض في داخله. كان صوته أشبه بالصراخ لأنه أحسّ بلزوم التأكيد على سلطته وعلى مركزه كمدير. وكان يأمل بألّا يكون أحدهم قد سرّب خبر غيابه إلى أحد المسؤولين في الطابق الأعلى، ولكنّه متيقّن أنه لو كان في مكانهم لفعل.

وفي غضون ساعات قليلة، اتصل جو بالزبون ليحاول إعادة الأمور إلى نصابها على ضوء دفتر الشروط الذي أمامه، وعلى ضوء الأرقام التي راحت تتدحرج على لسانه كالعادة. وعندما قام من مقعده قاصداً الحمّام، مرّ في باله أنه وبحسب وتيرة العمل الحاضرة، لن يتمكّن من الوصول إلى سوفوك قبل منتصف الليل، ولا ريب أن القرية تكون قد غرقت في النوم وكأنها اختفت عن سطح الأرض في مثل تلك الساعة. وفيما كان عائداً إلى مكتبه، توجّه إلى ماكينة القهوة ليأخذ فنجانه الخامس في ذلك النهار مستعيداً كلّ التفاصيل التي يحتاج إلى التحكّم بها، وفي رأسه زحمة زبائن ومشاريع دمج وأرقام ودولارات.

مكتبة
t.me/t_pdf

مشغل! يا لها من فكرة أكثر من رائعة.

الغرفة شاسعة حقّاً وكم من الذكاء استخدامها بهذه الطريقة المفيدة. لديها أفكار ومشاريع متجدّدة ويبدو أني لن أحتاج إلى العودة أبداً.

صدقاً، لا أظن أن بي رغبة للعودة قطعاً. اكتشفت محل حلويات غير بعيد عن شقتي الجديدة، وها إني أعيش تقريباً على العجائن المحشوة بالشوكولاتة كلّ يوم. إنها لذيذة وتذوب في الفم. ولقد تعرّفت إلى إحدى البائعات في المحل وباتت تجمعنا علاقة صداقة ممتازة بعد أن قدّمت لها مجموعة من كتبي. إنها تتعلّم الإنجليزية وتفرح بقراءة كتب لي شايلد وجيلي كوبر.

سأنتقل إلى كوراليجو قريباً وهي على الجهة المقابلة من الجزيرة. يوجد فندق جميل هناك حيث سنلعب كرة المضرب ونتلقى جلسات علاج بأعشاب البحر. أتطلّع إلى تغطية جسمي كلّه بأعشاب البحر. وسأخسر كثيراً من وزني رغم ما أستهلكه الآن من عجائن الشوكولاتة. عندما أعود، لن تعرفني، وستسأل كلايف مَن تكون هذه السيدة الجميلة والنحيلة، وسوف أجيب: هاها، هذه أنا. ولكن ذلك سيحدث بعد العلاج بأعشاب البحر.

نعم، أرجو أن تُرسل لي صوراً من المشغل وأن تقول لكلارا إنها تؤدّي المهمّة بطريقة ممتازة. يا لها من فكرة! إني في غاية السرور لعودة الفرح إلى المكان. ماذا تعني بقولك إنّ جو يعيش في البيت؟ إنه لا يفعل ذلك عادةً؛ وآخر مرّة عندما سكن معي كانت قصّة الشعر على طريقة راشيل من مسلسل «أصدقاء» شائعة. هل تذكر؟ لم تناسبني قصّة الشعر المدرّجة تلك. ثمّ اعترفت بولا المزيّنة المتنقّلة إنها لم ترَ في حياتها مسلسل «أصدقاء». الله وحده يعلم أي مثال اتّبعت عندما نفّذت قصّة شعري. تصوّر أن أحداً من الناس لم يرَ «أصدقاء» في حياته! قول ذلك يشبه القول بأنها لم تقبّل أحداً في حياتها. غير إني مرتاحة لوجوده هناك فقد يساعد في تسهيل بعض الأمور. كنت أعتقد بأن الحياة في لندن سرقته منّا إلى الأبد.

الفصل العشرون

جلس غافن في زاوية المشغل يقدّم القهوة ويتحدّث إلى الزبائن. ضحكت كلارا عندما أصرّ على القيام بذلك فيما توجّهت إلى مساعدة الزبائن في المتجر ووراء الصندوق. رفع إبهامه معلِناً الحماسة والتأييد بعد أن لفّ أكمامه فبانَ الوشم اليوم واضحاً على زنده، وأمام عينيّ كلارا، وكان يمثّل طائر النورس.

دخل الزبائن إلى المتجر بشكلٍ مستمرّ لأجل اختيار هدايا عيد الميلاد. كانت كلارا تساعدهم في اختيار الهدايا وتدلّهم إلى بعض الألعاب الجماعية المعروضة، وتسألهم عن اهتمامات أولادهم، وتضحك للقصص الصغيرة التي يخبرونها. أحسّت بموجة من المحبّة للمتجر تغمرها؛ وفكّرت أنه من غير المعقول ألّا تكون سعيداً في متجر للألعاب. من الرائع حقّاً أن تجد نفسك محاطاً بالأطفال، وأن تلاحظ إشراقة وجوههم عندما يدورون في أرجاء المتجر وبين رفوف العرض المختلفة، أو يختارون لعبة خشبية يحلمون في تلوينها وتزيينها.

وشعرت بقشعريرة حماسة تخترق جسمها عندما نظرت إلى الخزانة المقفلة حيث وضّبت الألعاب الخاصّة بالعرض المقبل في علب على الرفوف. بدأ العدّ العكسي مجدّداً وعدد كبير من الأطفال بدأوا يتحزّرون ماذا سيكون موضوع العرض المقبل. فيسأل أحدهم: «هل سيكون حول المردة؟» ويردّ آخر: «ليس مردة بل جنيّات». ويقول ثالث: «قراصنة!».

كانت كلارا تبتسم إلى جميعهم وتتفادى الإفصاح عن السرّ.

وما إن نظرت كلارا في اتجاه الصندوق حتى رأت رجلاً، شعره مضمّخ بالكريم، وبطنه منفوخ، ويحمل في يده ملفّاً سميكاً. ثمّ اقترب الرجل من كلارا ومدّ يده مصافحاً.

«السيدة آلدن على ما أعتقد؛ جاء زوجك إلى مكتبنا هذا الأسبوع، وطلب منا الحضور إلى هنا لالتقاط بعض الصور والقياسات، والنظر في بعض الأمور الأخرى».

نظرت كلارا إليه وأربكتها كلمة «زوجك» فلم تفهم ما قاله بعد ذلك. «المعذرة، لست...، لويزا آلدن مسافرة في الوقت الحالي إلى الخارج».

نظر الرجل ذو الشعر المضمّخ إلى ملفّه وقطّب حاجبيه ثمّ قال: «أوه... المالك. كلّا، تكلّمنا إلى رجل يدعى السيد جوزيف آلدن».

«جو...»، قالت كلارا.

«نعم، تمنّى السيد آلدن علينا أن نبدأ بالإجراءات اللازمة بأسرع وقت، السيدة...؟».

«إني آنسة... أنا...، أنا لا أحد»، قالت كلارا، وقد وجدت

أن ليس لديها الحقّ في أن تفعل أيّ شيء، أو تقول أيّ شيء، وأحسّت بشعور قاسٍ ومؤذٍ يجتاحها.

«نحن هنا من مكتب سترات العقاري وأولاده. جئنا لنرى إمكان تخمين قيمة هذا المكان والإعلان عنه بأسرع وقت ممكن».

ابتسم الرجل وظهرت إحدى أسنانه الأمامية فوق سنّه الأخرى، فتركّز نظر كلارا عليها. ثمّ تابع: «اتصلنا بالسيد آلدن هذا الصباح ولكنه لم يُجِبْ. كان موعدنا في يوم لاحق من الأسبوع القادم. غير أنه جرى إلغاء غير متوقّع لأحد المواعيد هذا الأسبوع، ومن حيث أن السيد آلدن كان في عجلة من أمره لتخمين قيمة العقار، قرّرت أن أسبق موعدي معه وأحضر للتوّ».

«تخمين القيمة...»، قالت كلارا، وفهمت فجأةً معنى كلام الرجل، وهو أن جو يفكّر حقّاً ببيع المتجر. ونظرت حولها واجتاحتها موجة من الشعور بالبرد. كلّ هذا، كل ما أسّسته لويزا وكلّ ما عملت لأجله طيلة أعوام، سيذهب أدراج الرياح.

بدت على وجه الرجل علامات الشك وفيما راح يبحث بين أوراق الملفّ، قال ليتأكّد: «العنوان هو رقم 14، الشارع العريض، متجر ألعاب آلدن». وأخرج ورقة صغيرة كُتبت عليها تلك الكلمات بخطّ يكاد يكون خربشة.

«لا شكّ»، قالت كلارا بصوت هادئ. كيف يمكنها أن تتصرّف؟ هل تطلب منه الخروج؟ هل ترفض السماح له بالدخول وقد أتى بشريط القياس الكريه والكاميرا المعلّقة حول عنقه؟

«وهناك شقّة فوق المتجر؟»، قال وهو يشير برأسه وحاجبيه إلى الأعلى.

هزّت كلارا رأسها إيجاباً وفضّلت عدم الكلام خوفاً من أن تتسرّع في قول شيء غير ملائم.

«غرفتا نوم، غرفة حمام، مطبخ فسيح، غرفة للجلوس والطعام؟»، قال قارئاً ما كان مكتوباً على الورقة. وأضاف: «ربّما أبدأ من هنا، وتصعدين معي إلى فوق لاحقاً؟».

أدارت كلارا عينيها إلى ما حولها بنظرة يائسة، ورأت صبيّاً صغيراً يقبض على حيّة مطاطية كبيرة بيده، وفتاة تقبّل طائر البطريق ذا الملمس الناعم، وفكّرت بأن أحداً لا يمكنه مساعدتها في تلك اللحظة. وأجابت: «حسناً. . .».

راح الرجل يلتقط الصور، ويتكلّم إلى آلة تسجيل صغيرة استخرجها من جيبه: «بناء يتراوح تاريخه بين نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحالي، وقد جرى تحويله إلى متجر في الأسفل وشقّة سكنية في الطابق العلوي. يبدو أن تغييرات كثيرة أجريت على الشكل الأصلي في المتجر، ولكن مساحة النافذة ممتازة والمكان على وجه الإجمال صالح لاستخدامات متنوّعة. نوع الاستخدام الحالي: متجر ألعاب».

«وماذا يوجد هنا؟»، سأل مشيراً إلى باب الخزانة المقفل.

«مكان للتخزين»، أجابت بصوت منخفض.

هزّ برأسه، ومرّ من أمام الخزانة والتفت متفحّصاً الصندوق والمنضدة. شعرت كلارا أنها رأت جوعاً في عينيه فيما كانا يسيران في أرجاء المتجر. تُرى هل يجب أن تضع حدّاً لكلّ ما يجري؟ لا يبدو مقبولاً أن تدعه يسرح ويمرح في المتجر من غير إذن لويزا.

وعندما اقترب من باب الغرفة الخلفية، سأل: «هل أستطيع

النظر إلى هذا المكان؟» ولكنه ومن غير انتظار الجواب، تابع استكشافه.

سمعت صوته في المشغل، وسمعت حشرجة في صوت غافن. وتمنّت أن يجد غافن عذراً مناسباً لطرده. ولكنّها لم تسمع سوى جملة واحدة غريبة تتردّد في المتجر، ولم ترَ عميلاً عقاريّاً مسحوباً من أذنه ومطروداً إلى الخارج، وملفّه مرمياً وراءه.

وأخيراً ظهر غافن خارجاً من المشغل مثقل الخطوات وكأنه ميتٌ يجرّ كَفَنه. «البيع»، قال، وهو يربّت على هاتفه وقد تحوّل لون وجهه إلى حمرة خانقة وانتفخت وجنتاه. «عاشت المرأة في هذا المكان طيلة عشرين سنة؛ ومن غير المعقول أن تقرّر البيع من غير أن تخبرنا ولو بكلمة. أليس كذلك؟»، قال غافن ورفع عينيه إلى كلارا بعبوس.

ربّما تكلّم جو إلى لويزا حول الموضوع. ولكن لا يمكن لكلارا أن تؤكّد شيئاً.

«لا ريب أنها كانت ستقول لنا شيئاً»، قال غافن، وبدا صوته أكثر تيقّناً.

عاد الرجل، ووقف يدقّ بقدمه على الأرض بانتظار كلارا. «الطابق العلوي»، قال مذكّراً، وكأنها نسيت كليّاً سبب وجوده في ذلك المكان.

«غافن، هل تنتبه للمتجر؟ يريد أن يرى الطابق العلوي»، قالت، وأشارت بيدها إلى الرجل.

وافق غافن بهزة رأس بائسة، وانخفض ليجلس على مقعدٍ وساقاه الضخمتان تتكوّمان تحته. «البيع»، ردّد محدّقاً في الفراغ، ومن غير أن يتنبّه إلى خشخشة الجرس فوق باب المتجر.

«سأعود في الحال»، قالت كلارا، وكانت تشعر بالاكتئاب نفسه الذي بدا على وجه غافن. عملت جاهدة لكي تغيّر أحوال المتجر كلّياً وتبرهن للويزا أن بالإمكان إعادته ليكون مركز اهتمام كما كان في السابق. كانت قد بدأت تفكّر أنها على وشك النجاح في مهمتّها. وها إن هذا الرجل يأتي بشعره الدبق ونظرته القارسة ليضع سعراً لكلّ موقد ولكلّ سطح رخامي ولكل إفريز.

«هل أنت مستأجرة؟»، سألها فيما تبعها متسلّقاً الدرج.

«كلا، بل موكلة للاهتمام بالمكان»، قالت كلارا فيما وقفت عند باب الشقة تراقبه وقد انحنى يتفحّص بيت النار في الموقد، ثمّ يقف متأمّلاً في المرآة الضخمة الرائعة المثبتة فوق منضدة الموقد الرخامية. ثم ينتقل إلى قياس الجدران والشبابيك والتفاصيل الهندسية والمكمّلات المتميّزة ذات الطابع القديم. أحسّت بالندم لأنها جعلت البيت يبدو جذّاباً، ولم تفرح لقوله إنه يبدو مثل بيت مثالي للعرض.

كانت ليدي كاكا تراقبه منذ دخوله فتفتح منقارها وتغلقه كلّما مرّ من أمامها غير أنها وما إن رأته ينحني قريباً من قفصها حتى رمت برأسها إلى الوراء وصاحت: «حملت بطيخة!»[1] فإذا بالرجل يقفز من مكانه موهولاً فيصطدم رأسه بالمنضدة الرخامية.

كتمت كلارا ضحكة هزيلة أمام ذلك المشهد، وأحسّت بتحسّن طفيف في مزاجها ما لبث أن تلاشى عندما تذكّرت أن تلك الببغاء قد تصبح من دون سقف في وقتٍ قريب.

«حسناً»، قال بعد وقتٍ بدا لكلارا وكأنه دهر، وتابع: «أظن أنه

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Dirty Dancing.

بات لديّ ما يكفي حتى الآن. يمكن أن نعلن عن العقار على شبكة الإنترنت خلال هذا الأسبوع. والآن، أين السيّد آلدن؟ أودّ موافقته على الثمن الذي سنطلبه. كان مهتمّاً لإجراء تخمين سريع للعقار، والثمن الذي قدّره ليس بعيداً عن تخميننا».

شعرت كلارا بشيء من التقزّز حيال جو عندما فكّرت في أنه سمح لنفسه مناقشة ثمن المتجر والشقّة مع هذا الرجل، وكأنه يستبق الأمور ويتصرّف كأنه المالك. هل هدفه من كلّ ذلك حماية إرثه؟ تعلم أن الفكرة قد تكون قاسية بحقّه، ولكنّها لم تستطِعْ إبعادها. إنه يدّعي الاهتمام بمصالح والدته ولكن هل هي الحقيقة؟

كان العميل العقاري ما زال منتظراً جواب كلارا.

«لا أعلم بالضبط متى سيعود إلى هنا»، قالت كلارا في محاولة ملحّة إلى دفعه خارجاً.

«حسناً، هذه بطاقتي. قولي له أن يسأل عن بول».

«بول»، همست كلارا فيما أمسكت البطاقة بغير اهتمام. ثمّ مشت وراءه على الدرج والوهن يثقل أكتافها. قام بول بجولة أخرى سريعة في أرجاء المتجر قبل أن يخرج، وسمعت خشخشة الجرس فوق الباب مؤكّدة رحيله. كان غافن ما زال مكوّماً على الكرسي أمام الصندوق؛ وبدا شاحباً وحزيناً عندما نهض ليعود إلى المشغل. فضّلت كلارا عدم الكلام لأنها لا تعلم ما يمكن قوله. في النهاية، هذ المكان وما يتصل به من قرارات حيويّة لا يخصّها ولا يخصّ غافن.

الفصل الحادي والعشرون

أطفأ جو محرّك السيارة وبقي في مقعده يضرب بأصابعه على عجلة القيادة وما زالت أفكاره تدور حول أمور المكتب والاحتمالات تحوم وتتضارب بشأن الصفقة التي لم تنجز بعد. غير أنه شعر وكأنه اجتاز تلك الطرقات التي يعرفها جيّداً ووصل إلى سوفوك بلمح البصر.

وما إن توقّف أمام المتجر ونظر إلى فوق حتى أحسّ بارتياح مفاجئ لكونه عاد إلى القرية. ثمّ راحت صور المكتب وتفاصيل الصفقة تتوارى عن ذهنه فيما أخذ يتأمّل في كلّ ما حوله. وفكّر أنه فعل الصواب عندما قرّر المغادرة، وأبعد عن مخيّلته وجوه أفراد فريقه ونظراتهم عندما نهض فجأة من وراء مكتبه، وجمع أوراقه في حقيبته، وخرج من دون أن يأبه ولو بتمتمة بسيطة تبرّر فعله. لم يكن قد مضى على وجوده في المكتب سوى ساعات قليلة، ولكنه شعر فجأةً بأنه ليس مستعدّاً لمواجهة ما يحدث، ويحتاج إلى الخروج. سوف يتمكّن من تتبّع مجريات الأمور من هنا، فكّر مطمئناً نفسه، وسيكون فريقه على ما يرام في غيابه.

نظر إلى واجهة المتجر ذات الإطار النبيذي، وإلى وميض الأضواء المنبعثة من عرض الفضاء، ومن الرجال الآليين، وابتسم. ثمّ فكّر أن لدى كلارا قدرة على الاهتمام بأدقّ التفاصيل، ولاحظ في عمق نفسه توقاً إلى رؤيتها. ثمّ فكّر فجأةً أنه لم يشترِ هديّة يحملها إلى دعوة العشاء، وتساءل في إمكان أن يكون لدى روز في مكتب البريد باقة ورد للبيع.

كان يوماً بارداً، وأخذ جو يحرّك رقبته يميناً ويساراً لتليينها. ثمّ خرج والتقط حقيبته. تمهّل عند أسفل الدرج برهةً، ولكنه عاد واختار الدخول إلى المتجر. نظر إلى الداخل من خلال الزجاج، ولمح كلارا خلف الصندوق وكانت قد عقصت شعرها إلى أعلى وارتدت سترة فوق فستانها المزهّر. وعندما دفع الباب وخشخش الجرس فوقه، فرح لرؤيتها تنظر في اتجاه الباب.

ابتسم رافعاً يده بالتحية، ولكن ما لبث أن تجمّد في منتصف المسافة إليها عندما لاحظ نظراتها غير الودّية وغياب الابتسامة عن شفتيها. أربكه برودها الذي شعر بأنه يسري في المتجر كلّه، وكاد ينظر وراءه باحثاً عن السبب. لا بدّ أنّه واهمٌ. أحسّ بنبض الدماء في أذنيه، وبالأصوات في المتجر وكأنها آتية من وادٍ عميق، وبحركة أنفاسه تتباطأ. وطارت عيناه إليها من جديد، ولكنّها استدارت تفادياً لرؤيته.

ربّما كانت هواجسه هي السبب. «لقد عدت»، قال مبتسماً، واقترب من الصندوق. تُرى هل كانت منشغلة بأمرٍ معيّن في المتجر؟ أو هل تعاني من قصر النظر ولم ترَه جيّداً؟ أو قد يكون كلّ ذلك وليد أوهامه؟

«عظيم»، قالت بصوت فاتر.

«أنا في انتظار اللقاء الليلة»، أضاف، راغباً في أن تكون الأمور كما كانت، وكما تركها هذا الصباح بعد فطور «البانكيك». كان قد بدأ يصدّق أنها تفعل كلّ ما تفعله لأنها لطيفة فحسب، وكل ما قيل عنها من كلام جيّد كان صحيحاً.

غير أنها بدت وكأن لا علم لديها بشيء البتّة. ثمّ قالت:

«أوه. . . ، اللقاء». ولم تستطِعْ النظر إليه مليّاً. ولكن لماذا؟ وماذا يحدث؟

«حسناً، أنا في الأعلى»، قال، وتحوّل مبتعداً عنها، وشعر بسخونة في جسمه عندما انبرى يفتّش عن مفاتيحه في جيبه متمنّياً لو كان قد وصل بهدوء، ودخل إلى الشقة وأعطى لنفسه بعض الوقت للراحة.

«أوه، جو!»، وصل إليه الصوت فجأةً وكاد يُسقِط حقيبته الجلدية من يده. دخلت روز إلى المتجر وأوشكت أن تتعثر بطفل صغير ما زالت خطاه غير ثابتة على الأرض، وكان يمسك ببطّة من القماش تكاد تكون في مثل حجمه.

«لمحتك في الخارج، وحسناً إني وجدتك هنا. التقيت بالمدعو بول من مكتب سترات وأولاده وأخبرني أنهم سيهتمّون بعمليّة البيع».

كان جو يراقب فمها المفتوح، ويسمع كلماتها وكأنه وسط غمامة من ضباب. البيع؟ بول؟ ثم تذكّر اسم «سترات وأولاده». واستنتج سبب تصرّف كلارا البارد. لم يكن موعده معهم قبل الأسبوع القادم؛ ولم يُجب على اتصالهم هذا الصباح، وكان مزمعاً على الاتصال بهم مجدّداً.

«أعطاني ثمناً مبدئيّاً، ولكن يمكن أن نناقش الأمر في جلسة خاصّة. يبدو أنك لم تؤكّد له شيئاً بعد، ولكني عاتبة عليك قليلاً. لِمَ الذهاب إلى مكتب عقاري؟ كان بإمكاننا توفير بعض المال والتعاطي مباشرةً». وانفطر فمها عن ضحكة عريضة فبانت إحدى أسنانها ملوّثة بأحمر الشفاه القاني الذي كان يغطّي شفتيها. وتابعت: «إني متيقنة من كرمك، هل نتكلّم في الطابق العلوي؟».

وإذا به يهزّ رأسه موافقاً، لأنه لم يحتمل البقاء في المتجر لوقت أطول وفي حضور كلارا الصقيعي، خصوصاً عندما لمحها تنظر إليه مباشرةً فيما كانت تعيد الصرافة إلى أحد الزبائن وتعدّ النقود بصخب.

لم تتوقّف روز عن الثرثرة فيما كانا يصعدان إلى الشقّة، وما إن فتح جو الباب أمامها حتى شعر بالندم لموافقته على التكلّم معها الآن.

أما ليدي كاكا فوافقت من دون شكّ على رؤيته، وانطلقت تحييه بهذه الجملة: «أتمنى لو كنت أعلم كيف أهجرك»[1].

«أعتذر لذلك»، قال، ووضع الحقيبة من يده. وكانت كلارا قد وضعت له على المنضدة في المطبخ صحناً ملأته بأنواع من الخبز الطازج وورقة مطوية رسمت عليها وجهاً ضاحكاً. لا بدّ أنها وضعت ذلك قبل زيارة العميل العقاري؛ فكّر جو، ولا يعلم سوى الله أي رسم قد تضعه الآن.

شرعت روز تتنقّل في الشقة فتفتح الأبواب والخزائن، وتخربش بعض الكلمات على ورقة صغيرة كانت في يدها. ثمّ قالت: «إني في

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Brokeback Mountain.

غاية السرور لأنها ستبيع. ظننت أن تلك الفتاة الدنماركية ستبقى هنا إلى الأبد؛ وازداد قلقي عندما قرأت تلك المقالة في الجريدة».

«المقالة؟»، سأل جو مرتبكاً.

استخرجت روز الجريدة المحلية من حقيبتها وأعطته إيّاها قائلةً: «الصفحة السادسة. وجهها جميل للتصوير بالطبع، ولذلك نشروا لها صورة كبيرة جدّاً. سوف ينشرون صورتها على الصفحة الإلكترونية أيضاً. إنها «طُعمٌ سهل» للقرّاء، كما يقولون».

لم يسمع جو أسئلتها بعد ذلك، بل راح يتمعّن في صورة كلارا في المتجر محاطة بالأطفال والألعاب، وضحكة عريضة على وجهها.

وتوالت أسئلة روز:

«هل سبق وقدّمت أمّك طلباً من أجل الحصول على إذن لتوسيع الشقّة؟».

«هل هناك جدار حماية في حالات الحريق؟».

«متى وُضِع مرجل الماء الساخن؟».

ماذا فعل؟ لماذا سمح لروز بالصعود إلى هنا؟ كان يحاول الإجابة عن أسئلتها ولكنّه اكتشف أنه لا يعرف سوى القليل جدّاً عن الشقة. لم تغب عن عينيه صورة كلارا هذا المساء في المتجر، وكان يستعيد نظراتها إليه. ثمّ عقد ذراعيه حول صدره وراح يفكّر: لمَ لم يصارحها حول زيارة العميل العقاري؟ ولكن كيف كان له أن يعلم أن الرجل سيأتي اليوم بالذات؟

دخلت روز إلى الحمّام، وراحت تمرّ بإصبعها على سطح المغطس، ثم حدّقت في الشباك المقفل وكأنها كانت سترى شيئاً عبر زجاجه الضبابي.

«هذه مرشّة ضغط. هل توجد مصفاة لتنقية الماء من الكلس؟».

«غير محبوب، غير مرغوب»، انطلقت ليدي كاكا تقول.

أما رودي فبدا أنه أحسّ بتغيّر الأجواء المحيطة به، فاقترب من جو وراح يتمرّغ حول ساقه.

«اركض يا فورست اركض!»[1]، أضافت الببغاء.

وتابعت روز:

«هل توجد نشّافة؟».

«هل الجلاية مثبّتة داخل خزائن المطبخ؟».

«هل يعمل الفرن على الغاز أو على الكهرباء؟».

«بصراحة يا عزيزتي لا يهمّني الأمر بتاتاً»[2]، قالت ليدي كاكا.

وإذا بجو يَشعر بحاجة ماسّة لأن يأمر الاثنتان أن تخرسا. لم يكن راغباً بأيّ شيء من هذا. وفكّر في أمّه تحت شمس إسبانيا وشَعَرَ بشيء من الغيرة. كان يريد أن يكون في إسبانيا ممدّداً تحت أشعة الشمس، وليس هنا ومجبراً على تحمّل نظرات كلارا الجليدية تارةً، وهذه الجارة الفضولية بأسئلتها العديدة تارةً أخرى، إلى جانب ببغاء لعينة تتكلّم وكأنها تعبّر عن أفكاره.

«أين العدّادات؟»، سألت روز وتابعت: «هل هناك صمّامات أمان في الأنابيب؟».

كان يجيب عن أسئلة روز بجُمَل مقتضبة غير مفهومة. شعر بأنه يحتاج إلى تفسير بعض الأمور لكلارا، وفكّر في ما سيقوله لها من ألفه إلى يائه، لعلّها تتخلّى عن ذلك التعبير الذي رآه على وجهها.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Forrest Gump.

(2) عبارة اشتُهرت في فيلم «ذهب مع الريح».

يريدها أن تعلم بأنه يسعى لكي يصبح أمام والدته مروحة من الخيارات، وأن تتمكّن من اختيار الحياة التي تريدها. عملت أمّه طويلاً وتعبت في حياتها ويريدها أن تعلم أنّ تعبها لن يذهب هباءً وسوف تجني ثماره. تذكّر شعورهما بعدم الأمان في البداية عندما انتقلا للعيش هنا. وتذكّر قلق أمّه الدائم بسبب كثرة الفواتير والمستحقّات، وحلمه المستمرّ بأنه سيعمل جاهداً في المستقبل لكي يريحها من كلّ تلك الهموم.

أخيراً، وبعد وقت حسبه دهراً، استطاع أن يقنع روز بأنه سيتواصل معها ما إن يبحث في كلّ الأمور مع العميل العقاري. مشى وراءها إلى الباب الخارجي وكاد يدفعها دفعاً إلى الشارع. وما إن ذهبت حتى تنشّق نفساً عميقاً ورفع كتفيه ورأسه، ودخل عبر الباب الجانبي إلى المتجر من جديد مستعدّاً لمواجهة عبوس كلارا ونظرات الخيبة في عينيها.

كانت تنحني على المنضدة بكسل، ولكنها بدت الآن ممتلئة دفئاً ومرحاً، وتبتسم بلياقة لذلك الرجل الذي كان هنا منذ يومين، الصحافي في الجريدة المحلّية، وتضحك معه حول كلامٍ كان يقوله، وتنظر إليه بعينيها الواسعتين الزرقاوين.

ماذا عاد هذا الرجل ليفعل مجدّداً هنا، وليحوم حول المتجر كالرائحة الكريهة؟ يبدو بشعره البني الطويل وسترته الواسعة وكأنه من مخلّفات فيلم «بوينت بريك»[1] (Point Break). سمع جو أصواتهما فيما مرّ بجانب طفل كان يعضّ على لعبة بلاستيكية صغيرة على شكل حمّالة المفاتيح؛ وكاد يتعثّر بطفلتين تلعبان بسباق السيارات على الأرض. سمع كلارا تضحك وتهمس بعض الكلمات فيما استدارت

---

(1) فيلم أميركي بوليسي معروف.

لتعود إلى مكانها وراء الصندوق. ولكن ثمة شيء في المشهد جعله يتشنّج ويقترب نحوها.

«إذاً، هل كنتِ ستفصحين لي عمّا جرى؟»، سألها بنبرة جافّة.

نظر إليه الصحافي مقطّباً حاجبيه، ولكن جو أبدى عدم اكتراثه وتعمّد التركيز على كلارا.

«أفصح عن ماذا؟»، سألته، وقد رفعت ذقنها بحركة دفاعية.

لمَ تصرّف بهذه الطريقة وهو يعلم أن عليه الاعتذار لها أوّلاً عمّا جرى خلال النهار؟ ولكنّ شيئاً يتعلّق بالعلاقة بينها وبين هذا الرجل جعله ينتفض. وكذلك نظرات الغرور في عيني هذا الأخير التي تظهر عبر عدساته المستطيلة؛ ولعلّه يبدو بتلك النظارات الغريبة وكأنه يطمح ليصبح عارضاً في مؤسّسة سبيكسيفرز(1).

«زيارة بول»، أجابها، وتابع: «هل التقط صوراً، أو أخذ قياسات؟ ماذا قال؟ أم قمتِ بطرده ببساطة؟».

شعرت كلارا بالإهانة، فاكفهرّ وجهها وغاب البريق من عينيها. انتبه جو أنه لم يرَها قطّ في مثل هذه الصورة من قبل؛ وإذا به يتراجع للتوّ خطوتين إلى الوراء.

«مشيت معه في أرجاء المتجر والشقّة والتقط صوراً، وأخذ قياسات، ولم يترك مكاناً من غير أن يلمسه بيديه القذرتين. ثمّ ترك لك هذه البطاقة». قالت كلارا، ودفعت له بالبطاقة فلم يتمكّن من التقاطها وسقطت أرضاً.

انحنى جو والتقط البطاقة وعلم للتوّ أنه تصرّف برعونة. ولكنّه قال: «حسناً، هذا جيّد، سوف أتصل به إذاً».

---

(1) Specsavers: مؤسّسة بريطانية كبرى لبيع النظارات.

«يجب أن تفعل ذلك بالطبع»، قالت كلارا، وقد تحوّلت وجنتاها إلى دائرتين ورديّتين. ثم أضافت: «أستأذنك الآن، فإني أتحدّث إلى زبون وما زال المتجر مفتوحاً وبحاجة إلى مَن يديره». وأومأت إلى الرجل المنتظر أمام الصندوق والذي كان يراقبهما من غير حرج. ثمّ أضافت: «ويجدر بك أيضاً أن تشكر سام على مقالته الجميلة والتي لولاها لما جاء الزبائن البارحة إلى المشغل بهذا العدد». وابتسمت إلى الصحافي ابتسامة ساطعة مديرةً ظهرها إلى جو.

«رأيت المقالة»، قال جو.

«لا بأس يا صديقي»، قال الصحافي مبتسماً وناظراً إلى جو بعينيه الخضراوين الثاقبتين.

ما زالت كلارا تدير ظهرها إليه وكأنها تعلن انتهاء النقاش. كان على وشك الردّ بكلام قاطع بقي في داخله، ليطفو مجدّداً إلى السطح بعد ساعات عندما راح يستعيد الحديث الذي جرى بينهما في رأسه.

ليس عليه تبرير موقفه لها. كل ما يفعله يهدف إلى تأمين ما هو أفضل لأمّه. يريدها أن ترتاح في شيخوختها. كان دائماً رأس سلّم أولويّاتها، وعليه الآن أن يفعل ما في وسعه لتأمين راحتها. نظر إلى كلارا مجدّداً، وكل ما كان قد أعدّ لقوله ضاع في مكانٍ ما في داخله. لماذا هاجمها؟ ولما نفث كلّ غضبه في وجهها.

استدار للخروج فوقع نظره على الطفل الذي يتسلّى بقضم حمّالة المفاتيح بأسنانه، وقال له: «عليك أن تدفع ثمنها». ومضى بخطى ثابتة إلى الباب.

لويزا: أرفض القبول بكلمتك «كاي» – إنها اختراع من غير معنى. هناك كلمات مقبولة بحرف الكاف مثل: كوين، كويز، كوينت–إسنشيال[1]، ولكن ليس «كاي» التي لا معنى لها.

غافن: ليس ممكناً في هذه اللعبة تركيب كلمة مثل كوينت–إسنشيال.

لويزا: لا تكُن جباناً. يمكن ذلك بالطبع إن كانت لديك كلمة إسنشيال في البدء. ثمّ تضيف إليها كلمة كوينت في الدور الثاني. على كل حال، لا تشغلني عن التفكير بأنك «كاي» بكل معنى الكلمة؛ (ولقد اخترعت بنفسي تحديداً خاص لمعناها).

غافن: هل هذا يعني أن معنى «كاي» هو الرجل المثير والمحبوب؟

لويزا: لا أحد سوى «كاي» حقيقي يفكّر بهذه الطريقة.

غافن: ☹

غافن: للمرّة ثانية... هل تريدين حقّاً بيع العقار؟

(1) Queen, Quiz, Quintessentia : ملكة، امتحان سريع، جوهري.

الفصل الثاني والعشرون

أقفلت كلارا المتجر في وقت متأخر وجرّت قدميها بصعوبة على الدرج، وما إن وصلت حتى باشرت إلى ملء صحن رودي بالطعام، وكذلك صحن ليدي كاكا التي ما لبثت أن أطلقت العنان لحنجرتها لتردّد كلمات أغنية معروفة:

«هكذا أحبه، هكذا أحبه»[1].

فقابلتها كلارا بابتسامة فاترة.

وبعدما وضعت مكوّنات «الفوندو» على منضدة المطبخ، أحسّت برغبة جامحة إلى دفع كل شيء إلى الأرض، وإلى توضيب حقيبتها والخروج من تلك الشقّة فوراً. أيّ نهار كان هذا؟ لم تتوقّف عن تلبية حاجات الزبائن طيلة اليوم. فالطلب على الألعاب يزداد، ولم تتمكّن من الجلوس أبداً إلى أن أحسّت بألم في ساقيها وقدميها. كانت قد فكّرت في طلب بضاعة جديدة لأن الرفوف بدأت تفرغ

---

(1) أغنية معروفة لفرقة KC and the Sunshine Band.

وبعض الأنواع فرغت كلّياً. ولكن لماذا؟ ثمّ طارت عيناها بسرعة إلى باب غرفة جو. هل هو في الغرفة؟ هل غارق في استخدام التطبيقات الحسابية الإلكترونية ليحسب أرباحه المتوقّعة؟ هل منشغل باتصالاته مع العملاء العقاريين أو مع الراغبين في الشراء؟ وإذا بها تتقدّم على رؤوس أصابعها باتجاه الغرفة، ولكنّها تجمّدت للتوّ في مكانها عندما أحدثت الأرض الخشبية تحت قدميها صريراً ربّما سمعه.

«أنا والدك!»، صرخت ليدي كاكا فيما انفتح الباب فجأة وظهر جو واقفاً.

«أوه»، قالت كلارا، ووضعت يدها على صدرها محاولة إبعاد الشك عن أنها كانت تترصّد أمام باب الغرفة.

نظر إليها مستغرباً فيما انحنت وتظاهرت بتنظيف بقعة وهمية كانت على الأرض. «أنظّف» تمتمت، وتمنّت ألّا يكون لون وجهها قد تغيّر.

«لوك، أنا والدك»، قالت ليدي كاكا.

«اخرسي ليدي كاكا»؛ أمَرها جو، وإذا بها تصدر حشرجة عالية وتنفض جناحيها بعنف قبل أن تُدير وجهها إلى زاوية القفص لتردّ مُعرِبةً عن حنقها: «حسناً، يا أبله».

مدّ جو يده لكي يساعد كلارا في الوقوف ولكنها تجاهلته، وما لبثت أن وقفت وأسرعت إلى المطبخ ووقفت تغسل يديها مديرة له ظهرها. «سأحضّر فوندو»، قالت من غير أن تنظر إليه. ثمّ تابعت في سرّها: لماذا دعوته إلى العشاء في الأصل؟ ربّما سيختار الخروج من البيت على البقاء.

وقع صمت، فتساءلت إن كان لا يزال واقفاً حيث هو.

«هذا عظيم. هل يمكنني المساعدة؟»، قال.

يبدو أنه لا يريد الكلام عمّا حدث. تُرى هل ينوي الاعتذار عن تصرّفه غير اللائق معها؟!

«كلا، كل شيء تحت السيطرة»، أجابته من غير أن تغيب عن رأسها كثرة الأمور التي يجب أن تنجزها في وقت قصير، ولكنها لا تتحمّل أن يقف في المطبخ إلى جانبها، وتأمّلت أن يفهم قصدها ويبقى بعيداً.

«إذاً سأذهب على الأقلّ لشراء النبيذ»، سمعت خشخشة المفاتيح فتجرّأت على الالتفات.

كان يرتدي معطفه وقابل عينيها بابتسامة لطيفة؛ ولكنها أشاحت نظرها على الفور ومدّت يدها لتلقط رأساً من الثوم وتبدأ بالتقطيع.

«شكراً»، أجابته، من غير أن ترفع نظرها مجدّداً وانتظرت ريثما يغلق الباب. ولكنه تمهّل قليلاً، ثمّ أصدر تنهيدة خفيضة وخرج.

أحسّت بارتياح فوري بعد خروجه وتوجّهت لترفع صوت الراديو، وساهمت المهمّة البسيطة والمسلية التي بين يديها في تهدئتها. وبدأت تختار من أنواع الجبن المبروش التي أمامها ريثما تصل البيرة إلى درجة الغليان الهادئ. كانت قد أضافت الثوم ومسحوق الخردل، وأمسكت بقنينة صلصلة ورسسترشاير عندما سمعت وقع خطاه على الدرج. دخل جو حاملاً علبة تبدو ثقيلة، وكان المطر قد ترك بقعاً رطبة فوق معطفه وشعره.

وضع العلبة على منضدة المطبخ وأخرج منها أكثر من نصف دزينة من القناني. وقال: «لم أعلم بالتأكيد أي الأنواع تلائم وجبة الفوندو، فابتعتُ زجاجةً من كل نوع».

انتبهت كلارا إلى أنه أحضر زجاجة شمبانيا، وزجاجة بروسيكو، ونوعاً جيّداً من النبيذ الأحمر، وثلاثة أنواع من النبيذ الأبيض، وزجاجة من النبيذ الحلو. ثمّ أمسكت زجاجة قريبة من يدها وقرأت ما كُتب عليها فيما تابع كلامه: «أظن أنّ هذا النوع يُشرب كتحلية بعد الطعام». وأضاف بسرعة: «لست عادة من هواة هذه الأنواع ولكني أعلم أنك تحبين الطعم الحلو».

رمقته كلارا على الفور بنظرة سريعة وحادّة، متسائلةً في سرّها إن كان يقصد أنها سمينة، ولكنّها لم تقرأ على وجهه تعبيراً معيّناً، بل شعرت عندما رأته يمشط شعره الداكن بأصابعه أنه متوتّر.

«سوف أجهّز الطاولة»، قال، وتقدّم من الخزانة واستخرج الغطاء والشموع وفوط الطعام، ورتّبها مثلما رتّبتها كلارا عندما تناولا العشاء معاً في المرة السابقة. ثمّ ابتعد قليلاً ليستعرض جمال ما فعل، وليتذكّر أن شيئاً ما زال ناقصاً. وإذا به يمدّ يده إلى تحت المجلى ويلتقط إناء أزهار.

«سأعود بسرعة»، قال لها ذلك واختفى في الحال، ودخلت كلارا إلى غرفتها وبدّلت ثيابها بسرعة، ووضعت قليلاً من الكحل وظلال العينين، ورشّة من العطر المفضّل لديها فوق رسغيها.

كان الفوندو يغلي على نار هادئة عندما وصل غافن وباتريك ولورين. فتح غافن زجاجة الشمبانيا وأعجب بجمال أكواب الكريستال التي تملكها لويزا.

«نخب صحتّك!»، قال غافن شارباً نخب كلارا، وقد أسند ظهره إلى منضدة المطبخ محتسياً مشروبه.

«أين هو-؟» وما إن فتحت لورين فمها، حتى ظهر جو في المدخل، وكان معطفه قد تبلّل حقّاً هذه المرّة وشعره يقطر ماءً،

وبدت بيده مجموعة أغصان طرية خضراء. كان مظهره يذكّر بمظهر هيثكليف عائداً من حراثة الحقول. «إنها من أجل الطاولة»، قال.

«أجل، أعطني إياها»، قالت لورين وقطعت الغرفة بسرعة نحوه والتقطت الأغصان من يده.

نظر باتريك إلى كلارا ورفع حاجبه ربّما ليسأل عمّن يكون الرجل الذي في المدخل. وانشغلت لورين كليّاً في عمليّة تنسيق الأغصان في المزهرية وسط الطاولة.

«ماذا؟»، قالت، عندما رفعت عينيها أخيراً لتنظر إلى زوجها.

وإذا بباتريك ينطلق في حديث طويل مع جو ليسأله عن عمله، وعن الرياضة التي يمارسها، ثم ينتقل الاثنان إلى غرفة الجلوس حيث كان غافن يجلس مرتاحاً على الكنبة الجلدية وكأنه جالس في بيته.

«يبدو جو أطول من باتريك»، علّقت لورين، فيما سكبت لنفسها كأساً من الشمبانيا.

لم تتمكّن كلارا من كتم ضحكتها: «ظننتك تشمئزين منه»، قالت لها بصوت خفيض.

كانت لورين تنظر إلى الرجلين من غير تركيز، ثم أجابت: «نعم، لقد تصرّف بفظاظة المرّة الماضية، ولكنه... مريحٌ للنظر، أليس كذلك؟».

لفظت كلارا كلمة بالدنماركية لم تفهمها لورين.

«وما معنى ذلك؟»، سألتها.

«من الأفضل ألّا تعلمي»، أجابت كلارا.

«يا لك من قاسية»، علّقت لورين ومدّت يدها إلى طبق الجبنة لتسرق قطعة.

«هاي!»، قالت كلارا لتمنعها، وكادت تُصيبها على يدها بضربة ممازحة خفيفة.

شعرت بالسعادة تغمرها في تلك اللحظة. البيت مليء بالناس، وسيكون غداً الأحد ماطراً. جاء اللقاء في وقته تماماً ولم يغِب عن ذهن كلارا أن الأمور تحدث في أوانها وتحدث لسبب. ولكن ماذا لو كان جو يخطّط لشيء ما؟ لا، حتى لو كان الأمر كذلك فإنها لن تسمح لشيء أن يفسد الأجواء الليلة. في تلك الحال، ستحاول التركيز على الجميع عداه، ولن تتكلّم إليه سوى عند الضرورة.

«العشاء جاهز»، قالت وَدَعَتهم إلى الطاولة.

كانت الوجبة لذيذة جدّاً. أرخى غافن ظهره على الكرسي وربّت على معدته. أما لورين فكانت تُصدر أصواتاً غريبة في أثناء الوجبة معبّرةً عن استمتاعها بالطعم اللذيذ. غطّى باتريك فمه بيديه لكي لا يراه الآخرون يتجشّأ، أما جو فترك صحنه نظيفاً وكأنه لعقه بلسانه. طلب الجميع من كلارا البقاء في مكانها بينما اهتمّوا بتنظيف الطاولة وترتيب الأغراض، فاستمتعت بالاسترخاء واحتساء كأسها وهي تراقبهم.

كان الجميع يثرثرون ويضحكون سوى غافن الذي بقي هادئاً. تذكّرت كلارا وجهه هذا الصباح عندما اكتشف نيّة جو بالبيع. لم يتكلّم كثيراً في السهرة وكان يرمق جو بنظرات غريبة وكأنه يخطّط لشيء ما.

عادوا إلى الطاولة وقامت كلارا إلى المطبخ لتعدّ الحلوى وتوجّهت مباشرة إلى البراد لتأخذ القشدة. وما إن بدأت بالخفق حتى حملها إيقاع الخفّاقة الرتيب إلى أماكن بعيدة غير أنّ قهقهة جو ما لبثت أن أعادتها إلى اللحظة الحاضرة. لم تسمعه يضحك من قبل إلّا

نادراً. كانت قهقهته هادئة ومسترسلة ومن غير حذر، ومن النوع الذي سرعان ما ينتقل عدواها إلى السامعين. ابتسمت كلارا ولاحظت أنها المرّة الأولى التي ترى فيها جو جالساً في المكان نفسه لوقت طويل هكذا. لأنه عادةً ما ينسحب فجأة ليردّ على الهاتف؛ أو ليشترك في مخابرة جماعية عبر الحاسوب؛ أو ليفتح شاشة معيّنة متفقّداً أسعار الأسهم. إنه الآن إيجابيّ ومرتاح، ووجهه الذي عادة ما يكون شاحباً يبدو لطيفاً وسط أنوار الشموع؛ أمّا عيناه الرماديّتان فلاحظت كلارا أن لون حاجبيه الداكن يضفي عليهما مزيداً من الرونق والوضوح. كان شعره قد جفّ وإنما بقيت أطرافه رطبة وملتفة على بعضها قليلاً. كان يضحك على نكتة قالها باتريك، ويقهقه ويضرب بكفّه على فخذه. وإذا بعيني كلارا تتعلّقان بمشهد كفّه وتطيلان النظر.

«هل كل شيء على ما يرام؟»، سألتها لورين ناظرةً إلى الوعاء؛ «إنه يغلي!».

استعادت كلارا انتباهها، وكانت لورين على حقّ لأن المزيج كاد يفور إلى خارج الوعاء، فهبّت إلى المفتاح وأخفضت النار بلمح البصر.

رفعت لورين حاجبها وأشارت بعينيها إلى جو: «أنت وهو... على ما يرام، صحيح؟».

«لا بأس»، أجابت كلارا بصوت كأنه زغردة عصفور، وانحنت تُخرج مجموعة الصحون الخاصة بالحلوى التي كانت قد أحضرتها من الخزانة سابقاً.

«لا بأس، لا بأس»، ردّدت لورين بنبرة غريبة، قبل أن تعود إلى الطاولة وتملأ كؤوس النبيذ.

«هل يوجد شيء آخر يمكن القيام به؟»، سأل جو وقد وقف في المطبخ فامتلأ المكان الضيّق بوجوده.

شعرت كلارا بتأثير النبيذ يصعد إلى رأسها. «كل شيء جيّد، بضع دقائق إضافية فقط».

«شكراً على كل شيء، شكراً لأنك دعوتني»، قال بصوتٍ لطيف ومختلف تماماً عن صوت جو الذي قابلته في المتجر قبل ساعات قليلة. أيّهما كان جو الحقيقي؟

«لا بأس، فأنت تعيش هنا»، تمتمت، ولكنها شعرت بالذنب ما إن رأت ذبول عينيه. وأضافت: «وربّما ليس لوقتٍ طويل». وسألت نفسها لماذا كانت تفعل ذلك وكأنها تخرّب الأجواء. ولكنها لم تتمكّن من إخماد الغضب الذي أحسّت به في الساعات الماضية.

اقترب منها إذ ذاك وقال: «كان يجب أن أقول لك شيئاً في ما يتعلّق بزيارتي للمكتب العقاري».

«أو ربّما كان من الأفضل ألا تذهب إليه»، قالت كلارا وقد علا صوتها بدرجة طفيفة.

فتح جو فمه ليقول شيئاً ولكنه عاد وأغلقه، ثم قال بهدوء: «القرار لا يخصّك».

«كما لا أعتقد أنه يخصّك»، وأطفأت النار واستدارت لتلتقط ملعقة للسكب.

«هذا بيت أمي»، قال جو بهدوء، متنبّهاً إلى عودة المجموعة إلى المائدة، وتابع: «أريدها أن تتعرّف إلى الخيارات التي أمامها». وانكمشت قبضتاه فيما انتظر جوابها.

مجرّد سماعها لفظة «بيت»، جعل كلارا تتراجع عن أيّ رغبة في المواجهة. هذا البيت، وهذه القرية لا يشكلان بيتها ولا وطنها

الحقيقي. في السابق، كانت تعلم وتشعر تماماً أين هو وطنها، أما الآن فكلّ ذلك انتهى وهي تشكّ في أن يخالجها الشعور نفسه بشأن أي مكان آخر في العالم.

رفع جو ذقنه متحدّياً؛ ولكنها تمتمت بسأم: «أنت على حقّ وليس من شأني أن أتدخّل. إنها أمّك». واستدارت في اتجاه الضيوف ودعتهم: «لنتناول الحلوى الآن».

ثمّ نظرت إلى جو معلنة أنها تريد إنهاء الحديث، فبادلها بهزّة رأس.

عاد الجميع إلى الطاولة، وكانت لورين تجتهد في تلقين غافن كيفيّة لفظ كلمة «**هيغي**».

«كلا يا غافن، إنها «**هوووو-غـه**»». وبدا شكل فمها غريباً.

وردّ غافن: «**هُغـاه**».

«كلا: **هوووو-غـه**»، قالت.

وقال في محاولة جديدة: «**هووووو-غورررر**».

كان الجميع على وشك الضحك، وتدخّلت كلارا لتلفظ أمامهم الكلمة ببطء. وكانو يصغون ويحاولون تقليدها بدرجات متفاوتة من النجاح.

«ولكن، ماذا تعني هذه الكلمة؟»، سأل غافن، فيما كان يفتح ويغلق فمه محاولاً من جديد.

«حسناً، ليس هناك ترجمة حرفية للكلمة»، قاطعت لورين بشرح جدّي، وكأنها تمثّل مرجعاً دنماركيّاً سياحيّاً، وتابعت: «ولكنّها تعني أسلوب الحياة الدافئ، أليس كذلك يا كلارا؟ ولذلك تشعل كلارا الشموع دائماً. تقول النظرية إن حافظتَ على الأجواء حولك دافئة ولطيفة وهوووو-غـاه، فستكون سعيداً. الدنماركيون هم أسعد

شعوب العالم بحسب الإحصاءات، وهذا يعني أن النظرية صحيحة».

والتفتت إلى كلارا كأنها تنتظر منها تربيتة شكرٍ على كتفها. لم تكن كلارا تشعر بأنها الأسعد في العالم في تلك اللحظة، ولكنها لم تشأ تعكير الجوّ المرح فانضمّت إلى الحديث وبذلت جهدها لتفسير هذا المفهوم الذي يفتن البريطانيين ويجذب اهتمامهم كثيراً.

«إنه لا يتعلّق بالشموع والأشياء الأخرى، بل إنّه أسلوب حياة، بحسب ما أعتقد، ويدور حول معرفة أولوياتك. الفكرة تقوم على أننا لو عشنا في بيوتنا وأحطنا أنفسنا بالأصدقاء، والعائلة، والطعام الجيّد واللذيذ، والأشياء الجميلة فسنعيش أوقات **هيغي** بامتياز».

التزم جو الصمت، وتساءلت كلارا إن كان مصغياً إليها أم ما زال منشغلاً بالحديث الذي دار بينهما في المطبخ.

«أرأيتم!؟ إنه سرّ السعادة»، قالت لورين.

«ولهذا تريدين شراء ذلك المصباح المعروض على الإنترنت والذي يكلّف مبلغاً غير معقول؟»، قال لها باتريك.

«إنه من توقيع آرن جاكوبسن»، أجابته لورين بفخر. «وكما ستشرح لك كلارا، فإنه مهمّ وحيويّ جدّاً من أجل سعادتي». مشيرةً بحاجبيها إلى كلارا، لتساعدها.

تدخّلت كلارا بالقول: «أوه، بالتأكيد، للإضاءة دور مهمّ جدّاً من أجل الحياة على طريقة **هيغي**».

«إضاءة باذخة الثمن»، دمدم باتريك بتذمّر، فيما رفع ملعقة الحلوى الأخيرة إلى فمه.

«ألا ترغب في أن يكون بيتك مناسباً لأسلوب **هوووو-غاه**؟».

«في الحقيقة، لست مهتمّاً لهذه الدرجة»، قال بفمٍ مملوء

بالحلوى. «إني سعيد بالإضاءة التي لدينا. ألا يكفي شيء من ايكيا للقيام بالمهمّة مثلاً؟».

«كلا!»، أجابت لورين وكلارا في كورس واحد.

شعرت كلارا بالمرح يدخل إلى قلبها، وبعد أن انتهى الجميع من تناول الحلوى، انتقلت لتجلس على الأريكة مع كأس من النبيذ الحلو مرخيةً رأسها على كتف لورين. كان غافن قد غادر قبل قليل بهدوء، وقام جو وباتريك إلى المطبخ لغسل الأطباق.

«إذاً، كيف تجري الأمور مع...؟»، همست لورين مشيرةً برأسها في اتجاه الرجلين اللذين كانا يثرثران بمرح في المطبخ.

أدارت كلارا عينيها لتجيب بتعبير مبهم ينمّ عن الضجر: «**غاه...**».

«**هوووو- غاه**؟»، قالت لورين مقهقهة.

«كلا، ليس **هوووو-غاه** أبداً»، تمتمت كلارا وتنهّدت، ثمّ رفعت رأسها ونظرت إلى لورين قائلةً: - «في الواقع، إني أعلن فشلي رسمياً».

الفصل الثالث والعشرون

نام جو في تلك الليلة مشدود الأعصاب وكان يحتضن كيس الماء الساخن فوق جسمه وكأنه يتلمّس منه أجوبة عن أسئلته. عاد بتفكيره إلى كلارا واقفةً في المطبخ تخفق الكريما وشعرها الأشقر يتلألأ تحت الأضواء وارتعاشة ناعمة تخترق جسمها. كانت غاضبة منه ولكنه كان يريدها أن تفهم. ندم أنه لم ينذرها بشأن العميل العقاري، ولكنه يريدها أن تعلم أنه يسعى إلى حماية أمّه. أمّه التي تتصرّف كالمجنونة أحياناً وتتخذ قرارات متسرّعة وغريبة.

ولكن محاولته باءت بالفشل ولم يتمكّن من تفسير أيّ شيء، بل شاهد وميض الفرح يخمد في عينيها. كانت على حقّ في غضبها، فقد أعادت الحياة إلى المتجر. وبمجرّد النظر إليها وإلى طريقة تعاملها مع الزبائن، تقتنع بأنّ هدفها الوحيد قد يكون للمساعدة حقّاً، وبأن حبّ المساعدة ينبع من شخصيتها.

نفخ وتقلّب وتساءل: تُرى هل يتصرّف بسذاجة؟ إنها تبدو

مرتاحة مع نفسها، وتتحدّث إلى الأطفال وتضحك معهم؛ ولكن هل يكون ذلك مجرّد تمثيل؟ مجرّد واجهة خارجية؟ هل تخطّط لأهداف أخرى؟ طريقتها في النظر إليه وكأنها تتّهمه بأنه يستغل أمّه، يجعله يقفل ويشدّ قبضتيه غيظاً حتى في السرير. استمرّت الهواجس تهمس في أذنه، وما انفكّ يتقلّب من جهة إلى أخرى وعلبة الدواء ما زالت غير مفتوحة على الطاولة الصغيرة قرب رأسه. نظر إليها للمرّة المئة في تلك الليلة ولكنّ شيئاً أوقفه عن التقاطها وفتحها.

شاهد كلارا في حلمه ببشرتها الملساء وأسنانها المرصوفة وضحكتها فيما كانت تفسّر عبارة دنماركية أخرى على الطاولة. وبين النوم واليقظة عاد بذاكرته إلى كلّ الأحاديث، وفكّر بكلّ الأمور التي قامت بها من أجله، وبكلّ لمساتها اللطيفة. فكّر في تفسيرها لمفهوم هيغي وعرف أنها الفلسفة التي تتّبعها في حياتها. كم كان يدفع من المال إلى المتخصّصين لكي يعلّموه الطريق ليكون أكثر سعادة بما يملكه وفي حياته. تُرى هل فاته فهم أمر بهذه البساطة؟

عندما بدأ يرى نور النهار الجديد يتسلّل عبر محيط الستائر، نهض وأزاحها لكي يكحّل عينيه بمسحة الضوء الوردي المطلّة من وراء الأفق، ويشهد على انفلاش أشعة الصباح الناعمة فوق الحقول، فأحسّ للحظة وكأنه كان يرى تلك البقعة من الأرض لأوّل مرّة. لا عجب أن أمّه طالما أحبّت الاستيقاظ في الصباح على هذا المشهد. وما هي سوى دقائق حتى انتعل حذاءه الرياضي والتقط شاله وهَمّ بالخروج من غرفة النوم. إن كان أسلوب هيغي يقوم على الشعور بدفء الحياة وعلى الاستمتاع بالملذات البسيطة، فبإمكانه العيش بأسلوب هيغي على أكمل وجه. توقّف عند الباب ونظر إلى علبة الدواء وإلى الهاتف الخليوي فوق الطاولة. ثمّ استدار وخرج

ومشى بحذر من أمام قفص ليدي كاكا -ليس بحاجة إليها لكي تعلن وجوده- وإلى الدرج.

كان الصباح منعشاً والرصيف رطباً بعد انهمار المطر في الليل. سار على الشارع العريض مبتعداً عن المتجر، وانحرف إلى طريق مرصوفة بالحصى، ومن ثم إلى درب ترابي ضيّق طالما كان يجرش ترابه بقدميه جرشاً عندما كان صبيّاً. وجد جو أن مدخل الحقل عند نهاية الدرب أضيق ممّا كان يتذكّره. لم يتمكّن من اختراقه سوى بصعوبة فانشقّ كمّ سترته بسبب شوك العلّيق. «اللعنة!» علا صوته شاتماً، وإذا برفّ من العصافير تنتفض وتطير معاً إلى أعلى وتبتعد. «هراء!» قال، وتابع في نفسه: وهذا ليس هيغي بالطبع.

لم يكن قد ابتعد كثيراً عندما أحسّ بأنّ التراب الرّطب ينزلق تحت قدميه، وأن الوحل بدأ يتكتّل حول حذائه، ولكنه كان سعيداً بالخروج إلى الطبيعة مع شروق الشمس وما زالت الطرقات والدروب خالية من المارّة. أما خطّ الأشجار الكثيفة في المقابل فذكّره بتلك السنوات عندما كان يلعب حول تلك الأشجار مع غيره من الأولاد فيتسلّقون ويقفزون ويصرخون ويتسابقون، كلّ ذلك قبل أن يتحوّل إلى مراهق جدّي وينشغل باهتماماته المتنوّعة. لم يسأل نفسه منذ سنوات طويلة أين ذهب هؤلاء الأولاد، رفاق لعبه ومرحه؟ وأين هؤلاء الذين كانوا يأتون إلى المتجر ويندهشون بالألعاب؟ هل ما زالوا هنا؟ وهل بات لديهم أولاد؟ وهل ما زالوا يأتون إلى هذه الغابات؟

شعر بقرقرة في معدته فالتفّ عائداً، وعندما وصل إلى الشارع العريض كان هناك عدد من السيارات وبعض المارّة. فكّر بكلارا وبالوجبات التي تحضّرها له، فدخل إلى المخزن ليشتري بعض المكوّنات لإعداد طعام الفطور بنفسه.

كانت روز هناك وراء الصندوق تقلّب أوراق بعض المجلّات بسرعة كبيرة لم تكن بالطبع لتسمح لها بقراءة المقالات. كانت قد سرّحت شعرها إلى الخلف لتجمعه في قرص عند أسفل رأسها، فساهم ذلك في شدّ جلدة وجهها.

«جو»، قالت، ورفعت حاجبها المخطّط بالكحل، وتابعت: «جئتَ مبكراً، لم أفتح أبواب المخزن سوى منذ دقائق فحسب. هل جئت لتتكلّم على موضوع البيع؟ هل أعطاك بول تخمينه للثمن؟ ولكنك تعلم أنّ العملاء العقاريين طمّاعون ويبالغون في تقدير الأسعار. ماذا قال؟».

هزّ برأسه بصورة تلقائية، ولم يكُن يرغب في أيّ كلام بشأن المتجر. رؤية روز ذكّرته بما حدث البارحة، ولم يدخل إلى المخزن إلّا لكي ليشتري مواد الفطور ليس إلّا.

«لم أتكلّم إليه بعد»، أجابها، وانصرف يتفقّد الرفوف في المخزن ويرمي الأغراض في السلّة بأقصى سرعة ممكنة: خبز طازج من نوع خاص، زبدة، رقائق الحبوب، قهوة، نقانق. في تلك اللحظات تذكّر برنامج «سوبرماركت سويب» (Supermarket Sweep)؛ وحين كان يتمدّد إلى جانب والدته على الأريكة ويصرخ متوجّهاً إلى التلفزيون، وكأنّه ينبّه الناس الغافلين والضائعين بين أقسام السوبرماركت في الفيلم: «ليس في قسم مشتقات الحليب يا أغبياء». حملته تلك الذكريات على الابتسام فيما اقترب من الصندوق للمحاسبة.

«أرى في عينيك فرحاً!؟»، قالت روز فيما رفعت الغرض الأول إلى أمام شاشة الماسح الضوئي.

لم يكن جو مستعدّا للتفسير، بل تمتم معلّقاً على جمال الطقس.

«بالكاد، لا شكّ أن أمّك تستمتع بطقس أجمل في اليونان، أو في البلاد التي طارت إليها فجأةً».

لم يشعر جو برغبة في التصحيح، ولاحظ أنّ حركتها في تمرير الأغراض أمام الشاشة باتت أكثر عصبية. «هل ستبقى الفتاة السويدية لوقت طويل؟»، سألته وهي تنقر رمز أحد الأغراض على الصندوق فتضرب أظافرها بقوّة على الأزرار.

«دنماركية»، صحّح جو، ثمّ استدرك ليقول: «لست متأكّداً»، ولاحظ بالفعل أنه لا يعلم. وإذا به يشعر فجأة، ولأول مرّة، بأنه لا يريد رؤية كلارا ترحل.

«كلّ تلك البلاد هي أوروبا وكلّهم أجانب. أليس كذلك؟»، قالت.

لم يكن جو مصغياً، بل مشتاقاً للعودة إلى البيت، فدفع إليها بأوراق نقدية واستقبل الباقي مع هزّة رأس، ثمّ التقط الأكياس وتوجه إلى الباب مع كلمة شكر أطلقها بصوت عالٍ فيما ما زالت روز تتكلّم.

لم تكن كلارا قد استيقظت بعد، أو إنها غادرت البيت باكراً مثله. ثمّ تذكّر جو ملامح التعب على وجهها في الليلة الماضية وتوقّع أنها قد تكون بحاجة إلى النوم لوقتٍ أطول. وباشر في رمي النقانق في المقلاة وقدّر أن أزيز القلي كفيل بحثّ أي كان على النهوض من النوم. لم يكن مخطئاً إذ لم تمضِ دقائق حتى بدت كلارا في باب الغرفة. كانت خصلات شعرها الأشقر مبعثرة في كلّ

اتجاه، وآثار الكحل على خدّها. وكانت لا تزال ترتدي بيجامتها المقلّمة وتتثاءب.

غير أن وجوده غير المنتظر في المطبخ أوهلها، ففتحت عينيها جيّداً، وقالت: «سأدخل إلى الحمام». وهمّت بالحركة.

تقدّم جو في اتجاهها مسرعاً ورفع كفيّه وكأنه ينوي إيقافها، وقال: «إني أحضّر الفطور وأودّ أن نتناول الفطور معاً». فرح جو عندما لاحظ تعابير وجهها تتغيّر، إذ لم تستطع كلارا إخفاء شعورها بالمفاجأة.

«أوه. . . ، لا أستطيع. وعدتُ غافن بملاقاته هذا الصباح لكي أساعده في تجديد وتغيير بعض الأمور في الحانة. ويجب أن أسرع لأني تأخرت»، قالت، ودخلت إلى الحمام.

شعر بتغيّر في وجهه، والتفت باتجاه أزيز المقلاة، وأجابها بصوتٍ يصطنع الفرح: «حسناً، مشروع جيّد».

تمهّلت قبل الدخول إلى الحمام. «ما هي مشاريعك اليوم؟»، سألته بصوت أكثر نعومة. هل أحسّت بالذنب؟ تساءل جو في نفسه.

«عادي، لا شيء سوى العمل»، أجاب، وأرسل ضحكة عالية بدت متكلّفة.

«أوه، طبعاً، العمل»، ردّدت. ودخلت إلى الحمام وأقفلت الباب، فيما ملأ صحنه بعدد من النقانق ولفائف الخبز الطازج. وفكّر أنها لن توافق بالطبع على تناول الفطور معه بعد ما تفوّه به الليلة الماضية. تُرى هل من الأفضل أن يقول لها شيئاً عندما تخرج من الحمّام؟ عضّ على قطعة من النقانق وعيناه معلّقتان على باب الحمّام. ولكن ما لبث أن أجفله خروجها السريع فوقع بعض الطعام من فمه إلى الصحن.

لم تمضِ دقائق حتى خرجت من غرفتها بسترة زرقاء فاتحة وسروال جينز أسود. «أرجو أن توفّق في أعمالك»، قالت من غير أن تنظر إلى وجهه فيما مرّت في محاذاة طاولة الطعام أمامه، وبالكاد استطاع الردّ قبل أن تغلق الباب وراءها، ويسمع وقع خطاها قويّاً على الدرج. أدار نظره في أرجاء الشقة التي أحسّها موحشة بوجوده وحده فيها، ولكن صراخ ليدي كاكا: «لا أحد يحشر حبيبتي في الزاوية!»[1] جعله يشعر أنه ليس وحيداً تماماً.

رمى معظم ما حضّره من طعام في سلّة المهملات؛ ومشى إلى غرفته بكسلٍ وتراخٍ. كان ينوي الانكباب على العمل، والاطّلاع على المستجدّات في العاصمة. لم يتابع في الأسبوع المنصرم التطورات كما يجب، ومن الأفضل أن يبقى متيقّظاً إلى أسعار الأسهم والتداول. ولكن لو كان هنالك حدث كبير بالفعل، لبلغه فوراً طلب رؤسائه لكي يكونوا الشركة الأولى التي تقدّم الحلول.

جلس على طرف السرير، وأحسّ أن الهدوء الذي كان يغمره في ذلك الصباح يرحل عنه عندما اكتشف على هاتفه خبر وصول أربع عشرة رسالة جديدة إلى بريده. ولكنه يوم الأحد، ولا يترتّب عليه بالطبع الإجابة عن هذه الرسائل الآن. لو سأله توم، لقال إنه يحضّر لصفقة جديدة محتملة، أو منشغل في مراجعة بعض الحسابات. الناس تتناول عادةً طعام الفطور مع عائلاتها صباح الأحد ولا تهتمّ بهواتفها، ولكن ليس لدى توم عائلة. أغلق هاتفه بحركة واثقة ورماه إلى الجهة الثانية من السرير، ثمّ التقط المنشفة من وراء الباب، ومرّ برفّ الكتب ليلتقط كتاباً قبل أن يدخل إلى الحمّام.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Dirty Dancing.

«أرى أشخاصاً ماتوا»[1]، صرخت ليدي كاكا ما إن مرّ من أمامها.

«يا لها من ببغاء تعشق جذب الانتباه إليها!»، فكّر جو ضاحكاً.

تذكّر أن المكان له وحده في تلك الساعة ويمكنه الاستمتاع بيوم كامل على طريقة هيغي. وما إن رأى علبة الكبريت حتى أشعل كلّ الشموع التي وضعتها كلارا في زوايا الحمّام. أغلق الستارة فوق النافذة الصغيرة لمنع دخول الضوء وأطفأ مصباح السقف فإذا بالجوّ يصبح مريحاً ودوائر الضوء تتهادى وتتراقص حتى في المرآة، وتغيّر لون بشرته فتخالها أصبحت برتقالية. نظر إلى نفسه في المرآة وابتسم، وأحسّ أنه استعاد مزاجه الصباحي الهادئ.

وفيما انهمرت المياه الساخنة لتملأ المغطس، نظر إلى تشكيلة مستحضرات الحمّام المعروضة فتمهّل دقائق لكي يغطّي وجهه بالقناع المصنوع من وحل أعشاب البحر، قبل أن يسكب بسخاء سائل رغوة الصابون في الماء.

أغرق جسمه في الماء رويداً وأسند رأسه إلى المغطس والتقط الكتاب الذي اختاره وبدأ في القراءة مستمتعاً بالدفء والسكون فيما غمرته المياه وأحسّ بفقاقيع الصابون تداعب أرنبة أنفه.

كان يستعين بقدمه لفتح الحنفية وإضافة مزيد من الماء الساخن إلى المغطس، ثمّ غرق في القراءة. لم يتمكّن من مراقبة مرور الوقت لعدم وجود ساعة في الحمّام. لم يعد يشعر بأي تشنّج عضلي، ولاحظ جلد كفّيه يتجّعد عندما استقام قليلاً ليسند ظهره إلى ظهر المغطس. وإذا بدويّ خبطة في الخارج تجفله، وتجعله يتأرجح في

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم The Sixth Sense.

الماء فتتطاير فقاعات الماء والصابون إلى خارج المغطس. تُرى هل قفز رودي من مكانٍ عالٍ؟ هل طارت ليدي كاكا من قفصها؟

ثمّ تحرّك مقبض الباب وقفز جو جالساً، وغطّى بكلتي يديه أعضاءه التي أخفقت فقاعات الصابون في إخفائها، عندما ظهرت كلارا في الباب المفتوح. حدّقت إليه لحظةً ثم غطّت عينيها بيدها، وخرجت وأغلقت الباب وراءها.

«يا إلهي، أعتذر، إني. . .».

لمَ لم يقفل الباب بالمفتاح؟ لماذا عادت للتوّ؟ «انتظري ثواني»، نادى بصوت عالٍ جدّاً.

«لا، لا بأس، أعتذر، إني. . .»، كانت تبرّر من خارج الباب، فيما قفز إلى خارج المغطس والتقط روب المنشفة.

«تمهّلي»، قال لها، وأدخل ذراعيه في الأكمام وفتح الباب مجدّداً فسبحت غيمة من البخار أمامه.

نظرت إليه كلارا بفم فاغر فيما وقف والماء يقطر منه. مدّ يده وأحكم وضع الروب حول جسمه، وتساءل عن الأمر الذي ما زال يفاجئها. لم يذهب عن ذهنه أن أنوار الشموع تتراقص في الحمام وراءه، والمغطس مليء بأكوام الرغوة، كما وعطر الخزامى انتشر في أرجاء الشقة. وما هي إلّا ثوانٍ حتى أحسّ شدّاً في بشرة وجهه، فتذكّر للتوّ قناع الوحل الذي لم يغسله بعد. اشتعلت وجنتاه تحت القناع خجلاً، وهرع إلى داخل الحمّام ثانية وأغلق الباب بعنف وراءه.

أسند ظهره إلى الباب وأغلق عينيه. يا لها من حماقة فاضحة! ليته يتمكّن من دفع أي مبلغ من المال لقاء إلغاء الدقائق الخمس الأخيرة؛ ولقاء الخروج من الحمّام برائحة سائل ما بعد الحلاقة،

ووراءه غرفة الحمّام نظيفة ومرتّبة، وليمرّ من أمامها ملقياً التحية بهزة رأس هادئة. نظر إلى صورته في المرآة؛ كان حجم شفتيه ضخماً، وبشرته خضراء داكنة، وبياض عينيه بارزاً بشكل مخيف. حفّ وجهه حتى احمرّ حنكه، وغسل بشرته مراراً وتكراراً حتى ذهبت عنها كلّ آثار الوحل وتمكّن من الخروج مجدّداً إلى غرفة الجلوس برأس مرفوع.

«استحممت»، قال بصوت منخفض.

«فكرة جيّدة»، قالت، وكانت تجلس على الأريكة، وما زال التلفزيون مطفأ. تُرى هل هزّت كتفيها قليلاً أم تراءى له؟ وفضّل أن يُسرع الخطى إلى غرفته بدل التلفّظ بأيّ كلمة أخرى.

«لا يمكنك مواجهة الحقيقة»[1]، أعلنت ليدي كاكا.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم A Few Good Men.

أسامحك في الوقت الحاضر على قصّة اعتبار «كاي» كلمة. وذلك لأن ليس لديّ شخص آخر أستطيع أن أخبره عن كوراليجو. إنها رائعة. يوجد عدد كبير من المطاعم هنا وحياة الليل أكثر صخباً من الأماكن الأخرى. بات لديّ مجموعة كبيرة من الأصحاب الألمان؛ نخرج معاً إلى الشاطئ الرملي وهو طويل جدّاً حتى أنك لا ترى آخره. جرّبت رياضة «البادیبوردینغ»[1] وقد أعارني أحد الأصحاب ويُدعى كلوس لوحته، فاستمتعت كثيراً مع أني ابتلعت نصف مياه البحر. لا يوجد شيء من هذا القبيل في سوفوك بالطبع.

خرجنا في نزهة إلى لوبوس وهي جزيرة صغيرة غير مسكونة قريبة من الشاطئ. ذهبنا إلى هناك في قارب صيد صغير كان يترنّح بنا يميناً ويساراً حتى كاد أن يلقينا جميعاً في البحر، ولكني أرفض أن أموت قبل أن أعلم معنى استعمال الجلاية على درجة نصف السعة. عليّ أن أكتشف فعلاً معنى هذا الكلام. هل يعني أنها تنظّف نصف الأشياء التي في

(1) رياضة عبارة عن ركوب لوح من البلاستيك الخاص والطوف فوق الأمواج باتجاه الشاطئ جلوساً.

داخلها؟ وهكذا وصلنا إلى الجزيرة سالمين تقريباً، وتُركنا لندور في أرجاء الجزيرة. كان الطقس رائعاً والنسائم تتلاعب بشعري من الخلف. تخلّيت كليّاً عن القبعات وألجأ الآن إلى عدد كبير من المناديل وربطات الشعر الملوّنة. أرغب في أن أبدو قليلاً مثل غريتا غاربو[1]، غير أني أخاف أن أبدو بالأحرى كإحدى عاملات البيوت العجائز التي أضاعت توازنها.

هناك بركان في الجزيرة - أو إنه نصف بركان، ويمكنك تسلّقه والنظر إلى الأسفل حيث توجد رمال سوداء والمنظر مثير للخوف حقّاً. ثمّ تعود إلى الشاطئ لتسبح في مياه زرقاء لازوردية غير عميقة وتتأمّل في أفواج السمك بلون الفضة في جيئة وذهاب من دون توقّف تحت سطح الماء.

ماذا تعني بقولك «البيع»؟ هل دعى جو حقّاً أحدهم ليرى المكان؟ لا أريد أن أبيع. تبدو الأمور سائرة على أكمل وجه في غيابي، وبرهنت كلارا أنها لامعة في إدارة المكان. أعترف بأني شعرتُ بالغيرة عندما أخبرتني عن دعوة العشاء في الشقّة. ماذا تعني بقولك إنها استخدمت الشموع ومكمّلات الطاولة بشكل ممتاز؟ ماذا تعني بـ «هيغي»؟ تبدو الكلمة غريبة جدّاً - هل ذلك ترويج لفرقة دينيّة دنماركية معيّنة؟ هل سأعود لأجدك وقد تبرّعت بكل مدّخرات حياتك، وتعيش مع طائفة من الناس في العراء وراء الحانة؟

يجب أن أتصل بجو، ولكني ضجرت من سكرتيرته التي

(1) ممثلة سويدية أميركية، بدأت التمثيل في عشرينيات القرن الماضي ونالت جوائز عديدة.

تجيبني دائماً بأنه في اجتماع على الإنترنت مع أناس من مختلف بلاد العالم. أشعر إذ ذاك بالرهبة لأهميّة الأمر، وأحتفظ لنفسي بما أردتُ قوله، ولا أترك له حتى ولا رسالة مسجّلة. لا أتصوّر أنه هناك من أجل اختلاق المشاكل، ولكنّه يندفع لحمايتي ويهتم أوّلاً لما فيه مصلحتي. غير أنه يتصرّف تلقائيّاً من منطلق ذكوري سلطوي وربّما مخيف؛ ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى أني بالغت في التعويض عن غياب دافيد بعد أن تركني. تخيّلت أن صبيّاً صغيراً يعيش مع أمّه قد يتحوّل إلى شابّ ضعيف يكون عرضة لسخرية رفاقه. ولذلك كنت أصطحبه لحضور مباريات الملاكمة، وأشجعه على حضور أفلام فيها الكثير من التحدّي والعنف قبل أن يبلغ الثامنة عشرة بوقت طويل. ولذلك، فقد أكون السبب في أذيّة سترافقه مدى عمره. قل له إني أثمّن محاولته لمساعدتي، ولكني أثق بكلارا وأثق بك مؤكّداً.

الفصل الرابع والعشرون

كانت قد عادت إلى الشقة لتأخذ حقيبتها إذ طلب منها غافن مرافقته إلى نورويتش لاختيار عدد من الأغراض من أجل الحانة. كانا قد ناقشا معاً بعض الأفكار، وأخذا القياسات اللازمة لشراء مفروشات جديدة. انتظرها في السيارة في الشارع العريض من غير أن يطفئ المحرّك، وكلّه شوق للوصول إلى نورويتش، ولشراء أغراض الحلّة الجديدة للحانة.

أرادت الدخول بسرعة إلى الحمّام لقضاء حاجتها عندما فاجأته. لم ترَ في الحقيقة شيئاً كثيراً. لم ترَ شيئاً سوى جسم زهري اللون وتلال من الرغوة. ثمّ ظهر وجهه المغطّى بالوحل الأخضر في حالة من الذهول والرّعب. بدا محرجاً وكأنها فاجأته بالجرم المشهود. وشعرت، ما إن وجدت نفسها في ذلك الموقف أمامه، بأن كلّ ما حدث بينهما في الليلة الفائتة من تصرّفات غريبة قد انمحى في اللحظة. كان يرتدي روب المنشفة الأنيق ذا الرمز المعروف المطرّز فوق جيبه. أما شعره فمنفوش إلى الأعلى، ووجهه مغطّى

بالوحل. وبدا في تلك اللحظة وكأنه تمنّى لو انشقّت الأرض وابتلعته. فكّرت كلارا أنها ربّما المرّة الأولى التي ترى فيها لمحة ولو خاطفة من جو الحقيقي.

بقيت تفكّر في كلّ ذلك طيلة الطريق إلى نورويتش، فتستعيد المشهد في مخيّلتها وتحاول جهدها ألّا تضحك. كان قد أشعل الشموع كلّها، وتجاهل وجود فقاقيع الصابون التي كادت تلامس السقف في الحمّام، ورائحة الخزامى التي فاحت في الشقّة وكأنه كان قد سحق مئة نبتة خزامى تحت قدميه.

أحسّت ببريق أمل إذ قد لا يكون جو تلك القضية الفاشلة التي استسلمت أمامها؛ ربّما لديه الاستعداد ليتغيّر. وشعرت بالحماسة لكي تُطلِع لورين على تطوّر الأحداث. ولكنها ستكون حذرة ولن تخبرها كلّ شيء. حين وقف في تلك الصورة أمامها غير قادرٍ على الكلام، شعرت بأنه يحتاج المساعدة، ولن تفعل شيئاً يجعله يظنّ بأنها تسخر منه. ولكنه ومن الناحية الأخرى ما زال ينوي بيع المتجر من غير استشارة والدته. وما زال ملتصقاً بهاتفه. ولكن لا يمكن تجاهل التعبير الذي بدا على وجهه عندما وقف في مدخل الحمّام وسط تلك السحابة من رائحة الخزامى...

«هل أنتِ بخير؟»، سألها غافن ناظراً إليها بطرف عينه.

هزّت برأسها إيجاباً، وأسندت ظهرها إلى المقعد إلى جانبه فيما كانت تحاول أن تجد له كلمةً مفهومة تحتوي على أربعة أحرف «ياء» وعلى: تاء، و، ف.

«فوتيبي... لي؟»، اقترحت.

«ليست كلمة مفهومة»، قال.

«فويت؟»، حاولت مجدّداً.

«هل هذه كلمة؟»، سأل متفاجئاً.

«ربّما، في مكان ما من العالم»، تمتمت كلارا وهزّت كتفيها بمرح. كانت تشعر بالابتهاج وتتطلّع بشوق إلى ما ستفعله في ذلك النهار: تجديد ديكور الحانة.

«الكلمة غير مفهومة أيضاً»، قال من جديد.

ملأ الاثنان السيارة بالمساند وقطع السجاد والمصابيح، وأدخلا عدداً كبيراً من الأغراض في الصندوق، ثم فتحا المقعد الخلفي ووضعا عليه بقية مشترياتهما. وتوقّفا في طريق عودتهما لشراء الطعام وأكلا في السيارة فيما كانا يتبادلان الأحاديث.

وصلا إلى الحانة ووضعا كلّ الكراسي والمقاعد فوق الطاولات إلى جهة واحدة من الحانة. ثم نظّفا السجادة القديمة بالمكنسة الكهربائية. وكانا قد ابتاعا قطعاً صغيرة من السجّاد الأحمر الدافئ المزركش بلمسات من الأسود. قاما بتنظيف وتلميع الطاولات وأعادا توزيع المفروشات بشكلٍ مختلف، وتأملا بإعجاب في روعة لون الخشب البني الداكن فوق الأحمر الدافئ. ولاحظا أن لون السُّقُف الخشبية البني في السقف يتماشى تماماً مع لون الجدران العاجي الفاتح. أما المصابيح التي كانت عارية فساهمت الأقمشة التي اختارتها كلارا في كسر حدّة الضوء وإشاعة جوّ من الهدوء.

كان غافن قد نظّف بيت النار في الموقد القديم ورصف الحطب على جانبَي الموقد، وأعدّ كل شيء لإشعال النار في المساء. ثمّ وزّعا المساند الجديدة فوق الكنبات؛ ونظّفا أرضيات الألعاب[1] من الغبار ورتّبا‌ها على رفوف خشبية إلى جانب مجموعة من القصص

---

(1) ألعاب لها أرضيات مثل الداما والشطرنج والمونوبولي.

التي يمكن لأهل القرية استعارتها. ثمّ وزّعا عدداً من الآنية الزجاجية الواسعة فوق سطح الموقد الرّخامي وفوق الطاولات وفوق مقدّمة النوافذ، ووضعا في كلّ منها شمعة كبيرة بفتيل منتصب ينتظر الاشتعال. ثمّ علّقا بعض اللّوحات على الجدران ومرآة كبيرة وقديمة فوق الموقد.

مرّ النهار بسرعة وكانت كلارا تفكّر بأنّ واجهة المتجر تحتاج أيضاً إلى اهتمامها، وخصوصاً مهمّة تصميم التفاصيل الدقيقة للعرض القادم. ولكنها شعرت أن لديها مزيداً من الوقت، وأنها مستمتعة برؤية غافن غارقاً في تنظيف كلّ زجاجات المشروب على الرفّ وراء المشرب. ظهرت الحانة في حلّة جديدة ورائعة وتحوّلت إلى مكان لقاء دافئ وأنيق. وما إن تضاءل ضوء النهار حتى أشعل غافن الموقد وأشعلت كلارا الشموع وجلسا على كنبتين متجاورتين يحتسيان البيرة. ثمّ رفعا رجليهما المتعبتين أمام النار على مقاعد جلدية مستهلَكة، مستدفئين ومستمتعين بردّ فعل المارّة الذين جذبتهم هالة النيران البرتقالية، فدخلوا إلى الحانة وجلسوا ليستمتعوا بصوت فرقعة الحطب وليتبادلوا الأحاديث في الزوايا.

دخل كلايف وهو يتكلّم في هاتفه، وما لبث أن توقّف في مكانه ناظراً حوله، وأنزل الهاتف عن أذنه وأطلق صرخة إعجاب: «واو!»؛ ثم تذكّر الهاتف وأعاده بسرعة إلى أذنه.

كان غافن يخدم زبوناً على المشرب عندما نهضت كلارا لتغادر. نظر إليها غافن بينما وضعت الكوب الفارغ من يدها.

«انتظري قليلاً كلارا»، وأخرج كوباً كبيراً ليملأه بالبيرة.

توقّفت وراقبته يدفع الكوب فينزلق على طول المشرب نحو الزبون، ثمّ يجفّف يديه، ويُدخل إحداهما في جيبه ليُخرج شيئاً،

وقال لها: «شيء لأعبّر لك عن شكري. شيء صغير ولكني أريدك أن تعلمي أنني أقدّر خالص التقدير كلّ ما تفعلينه». قدّم لها علبة فتحتها وأخرجت منها سلسلة ناعمة وجميلة من الفضة. «إني سعيد جدّاً لوجودك في قريتنا»، قال بصوت تخترقه غصّة. وتابع: «إنك فتاة رائعة. ولو كان لي ابنة لتمنيت أن تكون مثلك تماماً».

تأمّلت كلارا في السلسلة وأحسّت بالتأثّر يعصر حنجرتها. وأقصى ما استطاعت فعله في التعبير عن تأثّرها هو أن هزّت برأسها، وعانقت غافن بذراع واحدة وانصرفت بهدوء. «إن كانت لديَّ ابنة». ظلّت تلك الجملة التي قالها غافن تتردّد في أذنيها طيلة الطريق إلى البيت. هل كان سيقولها لو علم أيّ «ابنة» كانت هي حقّاً؟

دخلت إلى المتجر من غير تردّد لأنها أرادت البقاء وحدها لبعض الوقت قبل الصعود إلى الشقّة، والتحضير للعرض الجديد كان التسلية الأفضل لكي ترفّه عن نفسها. وضعت أمامها كلّ الأشياء التي تحتاجها. كان عليها أن تعمل على بناء خلفية المشهد، فصنعت ما يوحي بمنظر غابة كثيفة بأنواع من القماش الأخضر ونثرت على أرض الواجهة كمية من أوراق الشجر كانت قد جمعتها في أثناء نزهاتها إلى الحقول. وبعد ذلك، ثبّتت الشخصيات في أماكنها بعد أن علّقت ضفيرة طويلة بشعر لعبة «باربي»، ووضعت اللعبة التي تمثّل «كين»[1] راكعاً على ركبتيه. وفيما بدأت قصة رابونزيل تخرج إلى الوجود بكلّ السحر الذي يدور حولها، تغيّر مزاج كلارا ونسيت كلّ ما يجري في حياتها وانكبّت على خلق المشهد.

(1) اسم زوج دمية ماتيل الشهيرة «باربي».

الفصل الخامس والعشرون

كانت كلارا قد أصبحت أكثر معرفة بمختلف الدروب في الغابة. وحتى في فصل الشتاء، فإنها تجد تفاصيل تستمتع بالنظر إليها مثل الأغصان العارية والمنتصبة في اتجاهات مختلفة؛ والنباتات ذات الأوراق الصغيرة الملتفّة على نفسها والتي تفرش الأرض كالسجادة. أما في ذلك الصباح، فقد مرّت ببقعة ملأى بذلك النوع من الفطر ذي الرأس الأحمر والنقاط الصفراء والمشابهة تماماً لما زيّنت به إحدى زوايا الواجهة استعداداً للعرض الجديد.

بعد أن قضت الفترة الصباحية كلّها في المتجر وانتهت من تحضير كلّ ما يختصّ بالعرض، أحسّت بحاجتها للنزهة. ما زال الجليد يكمّم بعض أغصان الشجر، وترفل أطراف الحقول بغشاء فضي لامع. أما مياه الساقية فما زالت تتخلّلها رقع متجمّدة علقت فيها بعض أوراق الشجر وغيرها. استمتعت كلارا بسكون الغابة، وبأزيز الحشرات حولها، وبزقزقة ونفضة جناحَي عصفور قريب. وكانت تنصت إلى خشخشة كان يتردّد صداها عبر أوراق الأشجار

اليابسة تحت قدميها. وإذ جلست على جذع شجرة مقطوعة ترتشف شراب الشوكولاتة من إبريقها الحافظ للسخونة، أحسّت بخدر في مؤخرتها لشدّة البرد، ولكنها رغبت بالبقاء في ذلك المكان لفترة أطول.

ازدادت الخشخشة وسمعت وراءها عواء كلب تبعه نداء مرتفع يقول: «غاس، كلا، كلا يا غاس، عُد إلى هنا».

وقفت واستدارت نحو مصدر الصوت: جلبة أغصان تتكسّر تحت الأقدام، وصوت انسحاق الأوراق اليابسة. ثمّ سمعت وقع أقدام يقترب منها، والعواء من جديد. وإذ بكلب من نوع كوكر سبانيل يقفز إلى الفسحة الخالية حولها، فيهتز جبّ العليق الذي اصطدم به وتلتوي أغصانه بقوّة قبل أن تعود إلى وضعها السابق بجلبة عالية. ابتسمت كلارا وتقدّمت لتلاقيه واتخذت وضعية الربوض، فأسرع الكلب نحوها وأذناه تنتفضان والشوك عالق بوبره الأجعد؛ ثمّ ألقى بإحدى حافريه على ركبتها فترك بقعة وحلٍ على سروالها. داعبت كلارا رأسه وضحكت فيما قفز حولها بحماسة شديدة.

«أوه، غاس»، قلت لك - وإذا بسام يظهر من بين الأشجار وينتصب كالمذهول عندما رآها تُلاعب كلبه. «آه، إنه معكِ»، قال، وسحب المقود الخاصّ من جيب سترته. كانت الريح قد فعلت فعلها بشعره في تلك الساعة. وبدا وجهه متورّداً نتيجة الحركة والسير في الهواء البارد. «يبدو لي وكأنه يصمّ أذنيه عن سماع صوتي»، قال شاكياً، وإذا بالكلب يقفز من جديد ليُلقي بحافريه الاثنين هذه المرّة على ساقَي كلارا. «يا إلهي، أعتذر جدّاً...، اجلس يا غاس، اجلس». ولكن غاس أنزل حافراً واحداً وترك الآخر على ساق كلارا وكأنه يتوسّل إليها.

ضحكت كلارا وأمرته: «سيديه» فجلس الكلب في الحال، فاستدارت إلى سام قائلةً: «ربّما يكون دنماركيّاً؟».

«إنه كابوس رديء مهما كانت جنسيته»، قال سام واقترب من الكلب ليضع المقود حول رقبته. «شكراً، لم نقصد إزعاجك».

تساءلت كلارا للحظة إن كان قد تبعها عمداً، ولكنها عادت وتخلّت عن الفكرة. وهزأت من نفسها في سرّها قائلةً: أيّ هراء هذا يا كلارا كريستنسن؟ أنجمة مشهورة أنتِ ليتبعك الرجال؟ ثمّ أجابته: «لم أنزعج البتّة. كنت أهمّ بالعودة على كلّ حال. أشعر بالتعب؛ وغداً موعد العرض الجديد».

«بالتأكيد»، قال وهزّ برأسه. وأضاف: «ذكّرتني ابنتي آيمبر البارحة. سوف أصطحبها إلى المتجر لتراه. أحبّت عرضك السابق كثيراً مع العلم أن ذلك يكلّفني ثروةً في كلّ مرّة».

ابتسمت كلارا ولاحظت يده فيما أخفضها للتوّ ليداعب رأس الكلب خلف أذنيه.

«سوف أسير معكِ إلى القرية. لا أرغب في تمضية بقيّة النهار عدواً وراءه في الغابة».

كانت لا تزال تنظر إلى يده اليسرى وتلاحظ عدم وجود خاتم يعلن ارتباطه. «عظيم، عظيم»، قالت بحماسة عالية بعض الشيء، وأحسّت بعد ذلك بحرارة تسري في جلدها على الرغم من برودة الهواء.

سارا معاً عائدين عبر ممرّ ضيّق، وكان سام يدفع بالأغصان جانباً لكي لا ترتطم بوجهها ويمدّ يده ليساعدها عند التعرّجات الموحلة.

«شكراً»، قالت كلارا وهي تشعر بشيء من الحماقة، لأن

الوحل كان قاسياً بسبب الجليد، وبإمكانها السير عليه بسهولة ومن غير أن يغرق حذاءها.

ما إن قطعا خطّ الأشجار حتى طالعتهما الشمس من وراء غطاء كثيف من الغيوم البيضاء التي تكلّلت بإطار ورديّ اللون.

«أحبّ هذه الدرجات من النور»، قال سام وكأنه تكلّم بلسانها، وتابع: «إنه ممتاز للتصوير. التقطت صوراً عديدة في مثل هذه الساعة من النهار».

«هل تتخصّص بتصوير المناظر الطبيعية أيضاً؟»، سألت كلارا.

هزّ سام رأسه وقال: «كلّ أنواع التصوير؛ التصوير يماشي مهنة الكتابة جيّداً. ولقد بعت عدداً من الصور». ثمّ أضاف ووجهه يطفح سعادةً: «وهذه هواية عظيمة خصوصاً لمن يقضي أوقاتاً طويلة بمفرده». ورمقها بطرف عينه.

شعرت كلارا بوجهها يزداد سخونة تحت حرارة نظراته. «هذا جميل! ولكني لا أحسن التقاط الصور البتّة. سرعان ما أفقد تركيزي، وأضيع بين الأزرار».

رفع حاجبه، فأحسّت وكأنها قالت شيئاً غير مقبول، فأدارت نظرها جانباً. ثمّ ولحسن الحظّ، ما لبث غاس أن اندسّ بينهما وراح يحدّق بها وكأنه ينتظر منها مكافأة فأطلقت ضحكة موتورة.

كان سام لا يزال ناظراً إليها وقد أحنى رأسه إلى جانب واحد: «بشرتك جميلة ولافتة»، قال.

أحسّت بالدماء تغلي في وجنتيها لأنها لم تتعوّد هذا النوع من المديح، وتمتمت بعبارة شكر.

«أحبّ أن ألتقط لكِ صورة مجدّداً - ربّما لقطة في الهواء الطلق هذه المرّة»، قال وعلى وجهه ابتسامة عريضة. لاحظت كلارا إذ ذاك

بقعة شعر فوق ذقنه فاتتها ماكينة الحلاقة؛ فتصوّرت لو تقترب وتلمسها.

«كلّا، كلّا، لا أبدو جميلة في الصور»، قالت وشدّت قبعتها نزولاً فكادت تلامس أسفل أذنيها. «إني أتجمّد، أو أغلق عيني، أو أفعل الأمرين معاً»، قالت.

«كلّا، إنك الأكثر ملاءمة للتصوير»، قال سام بضحكة عالية بدت غريبة على صوته.

مشت كلارا وعاد سام ليسير إلى جانبها، ثمّ تقدّما ليقطعا العضادة وليخرجا إلى الطريق المعبّدة؛ أمّا غاس فمشى تحتها وتعثّر حبل مقوده في مكانٍ ما فإذا بسام يفاجَأ بشيء يشدّه إلى الوراء وكأنه نسي أنّ مقود الكلب بيده.

وما إن ظهرت الواجهة ذات اللون النبيذي للعيان حتى أعلنت كلارا: «حسناً، هذا أنا»، وأشارت إلى المتجر وتساءلت للتوّ لماذا شعرت أنها بحاجة إلى أن تفعل ذلك؛ فالرجل يعرف أين يقع المتجر، وسبق أن زاره أكثر من مرّة.

وما إن وصلا أمام المتجر حتى وقف ينظر إلى الستائر المغلقة، وسألها: «ما هو الموضوع هذه المرّة؟».

«عليكَ أن تنتظر لتعلَم»، أجابت.

وقف يحوم بعينيه فوق تلك الستائر وكأنّ نظارتيه زوّدتا بعدسات للتصوير الشعاعي، وقال: «هيّا، تكلّمي ولو تلميحاً».

ضحكت كلارا قليلاً، وأجابت: «لنقل إني أعشق قصص الجنيّات»، فيما كانت تفتّش عن المفتاح. أحسّت في تلك اللحظة بحركة في الأعلى، ولم تلتفت لانشغالها بأسئلة سام.

«ستعشق ابنتي آيمبر ذلك، انظري»، قال، ووضع يده على ذراعها فتجمّدت في مكانها، ولاحظت أظافره المقلّمة بعناية. «اسمحي لي أن أكتب مقالة ثانية، فسيكون لها تأثير عظيم لأنّ عدداً كبيراً من القراء يهتمّون بأخبار المتجر».

«لست متأكّدة»، قالت كلارا وهي تعضّ على شفتها.

«رأيت العميل العقاري هنا في ذلك النهار»، قال بهدوء، وتابع: «ستُقرأ المقالة من زوايا مختلفة هذه المرّة. دعيني أساعد، فالأمر بالغ الأهمية في هذا الوقت بالذات حيث تتراجع الحركة التجارية والمتاجر تقفل أبوابها. قد نتمكّن من إنقاذ متجرك». وعلا صوته قليلاً في نهاية كلامه.

سحبت ذراعها بلطف وذكّرته قائلة: «ليس متجري».

«حسناً، فلنحاول على الأقلّ أن نزيد حركة البيع في هذه الفترة قبل عيد الميلاد»، قال مجدِّداً سعيه.

وعادت الحركة في الأعلى؛ هل فتحت الستائر في الشقّة؟ هل يقف جو مراقباً من أعلى؟

«حسناً، ليس أكثر من مقالة قصيرة ربّما»، قالت له وفكّرت في أن أمراً مثل هذا لن يكون مسيئاً. ثمّ أكّدت محذرةً «ليس سوى لتحفيز الناس على زيارة المتجر قبل عيد الميلاد لا أكثر».

«عظيم، أعدكِ بذلك بالتأكيد»، قال، وانحنى نحوها وطبع قبلة على خدّها وأضاف: «وربّما أقنعك عندئذٍ». وابتسم وبَرَقت عيناه الخضراوان.

مالت كلارا برأسها وسألته باستغراب: «تُقنِعني؟».

فأجابها بحركة موضحاً قصده، إذ رفع يديه وكأنه يحمل كاميرا

وهمية ويلتقط صورتها. «وداعاً الآن، وأتمنى لك حظّاً سعيداً».
ومشى بضع خطوات إلى الوراء وهو يشير بإصبعه إلى الواجهة. نبح غاس مودّعاً أيضاً ورفعت يدها في إيماءة متواضعة فيما رأتهما يبتعدان. مشى غاس ملتصقاً إلى صاحبه وطفق يعوي بمرح. تُرى، هل ستندم على موافقتها على تلك المقالة؟

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل السادس والعشرون

نسيت كل شيء في ما يتعلّق بسام عندما وقعت عيناها على الطرد البريدي الذي كان في انتظارها. التقطته بهدوء ونظرت إليه طويلاً وقلّبته بين يديها؛ كانت تعلم ما في داخله وتتذكّر حين طلبته؛ حين كانت مشتاقة إلى بلادها وإلى كلّ ما تعوّدته في طفولتها. بحثت طويلاً على الإنترنت قبل أن يحالفها التوفيق وتجد طلبها، كما إن كلفة الإرسال كانت مرتفعة جدّاً. أرسلت طلبها منذ مدّة غير قصيرة وكانت تتساءل متى سيصل الطرد أخيراً إليها. أما الآن وقد وصل، حملته في محاذاة صدرها وصعدت به الدرج والدموع في عينيها.

عضّت على شفتها ودخلت إلى الشقة ومشت مباشرة إلى الكنبة حيث جلست وأمعنت النظر في تفاصيل الطرد الخارجية، فنظرت بتمعّن إلى الأحرف المطبوعة على الورق الأسمر، ومرّت بإصبعها على مكان الفتحة ونزعت الشريط اللاصق وبعده الغلاف، ثمّ سحبت العلبة من الداخل وفتحتها لتُخرج منها زجاجة البيرة ذات اللون البنّي

بعد أن تناثرت كمية كبيرة من قصاصات الورق الواقية من حولها في كلّ اتجاه.

حملت الزجاجة ونظرت إلى الاسم المطبوع عليها لحظات طويلة. ثمّ استسلمت للبكاء والنشيج، وراحت الدموع تنهمر فوق خدّيها. ماذا تفعل هنا؟ إلى متى ستبقى في إنجلترا؟ وتذكّرت مثل هذا الوقت من السنة الفائتة وكم كانت الأمور المحيطة بها مختلفة آنذاك! وعندما تركت العنان لعواطفها، استرسلت تندب حظّها السيئ حتى حجبت الدموع مشهد الزجاجة التي في يدها وكل ما في الشقّة حولها.

وإذا بها، وكما يحدث في أفلام الرعب، تسمع صريراً فيما فتحت إحدى الأبواب ببطء كبير. «كلارا؟»، سأل جو بصوتٍ متردّد.

«أوه، أنت هنا؟»، قالت بصوت متقطّع وأسرعت لتمسح دموعها.

فوجئ بصوتها واتّسعت عيناه بألف علامة استفهام وأسرع نحوها قائلاً: «هل أدعو أحداً للمساعدة؟».

هزّت رأسها بالنفي غير قادرة على الكلام.

«هل أنت بحاجة إلى طبيب؟ هل أنت مريضة؟».

هزّت كلارا برأسها مجدّداً وأجابت: «كلّا، إني بخير».

ثمّ قال بصوتٍ أعلى بقليل: «هل ترغبين في أن أدعو صديقتك، المرأة التي جاءت إلى حفلة العشاء لكي تأتي؟».

«لورين»، قالت كلارا بصوت مخنوق.

«نعم، أقصد لورين، هل أتصل بها لتأتي؟».

«كلا»، أجابت وانتبهت إلى غزارة الدموع المنهمرة فوق خدّيها. «سأكون بخير»، أضافت.

دار حولها واقترب ووضع يده على مسند الكنبة وراءها ثم سحبها، وراح يتأمل في وجهها وكأنه يراقب حيواناً برّياً.

«شاي؟»، انطلق فجأةً مشدّداً على الكلمة، وقبل أن يأتيه جوابها توجّه إلى المطبخ وملأ الإبريق الكهربائي بالماء وضغط على زر التشغيل.

«مع الحليب؟ مع السكر؟»، سأل بسرعة.

«نعم»، تمتمت ومسحت وجهها بيديها.

وقف في المطبخ منتصب الظهر، وملتفتاً إليها بنظرات حذرة كلّ عشر ثوانٍ، متصنّعاً الابتسام كلّما التقت نظراتهما. «الشاي بات جاهزاً»، قال بصوت ناعم كادت لا تعرفه. كان يدير الملعقة في الفنجان من غير أن يرفع عينيه عنها، وكأنه يراقبها مخافة أن تختفي من أمامه فانسكب بعض الشاي خارج الكوب.

وأمام مشهد جو وارتباكه الظاهر، أحسّت بقهقهة تكاد تخترق دموعها. «عظيم»، قالت.

مشى نحوها حاملاً الكوب وكأنه يحمل جوهرة التاج الملكي، ثم وضعه أمامها على الطاولة. «شاي»، قال مبتسماً ومشيراً بإصبعه إلى الكوب، وكأنه أراد أن يعلّم طفلةً في الثانية من عمرها لفظة جديدة.

رفعت الكوب إلى فمها وتناولت رشفةً منه، وحاولت عدم إظهار انزعاجها من كميّة السكر فيه، وأرجعته إلى الطاولة فيما وقف إلى جانبها وكأنه نادل ينتظر سماع حكمها. «ممتاز»، قالت، وهي تأمل في أن يتركها وحدها في تلك اللحظة.

«لا بأس إذاً...»، قال، ولكنه لم يعُد إلى غرفته، بل بقي

واقفاً أمام الأريكة برهة قبل أن يقرّر الجلوس. نظر إلى الأرض قليلاً ورفع عينيه إليها قائلاً: «هل تشعرين بتحسّن؟»، وربّما كان يريد الاطمئنان عليها قبل أن يعود إلى الغرفة.

هزّت برأسها إيجاباً، وتأثرت فجأة باهتمامه البالغ مع أنها استغربت السبب. غير أنها ما لبثت أن فقدت تماسكها من جديد، وذرفت دموعاً تدحرجت على خدّها. رأى جو دموعها وقفز نحوها.

«ماذا حدث؟ هل يمكنني مساعدتك؟»، انتبهت إلى أن صوته كان رقيقاً وخالياً من نبرته الحادّة المعتادة، فاطمأنت لرؤيته يتصرّف الآن كإنسان حقيقي، وليس كرجل الأعمال المهووس بمصالحه المادية الذي تعرّفت إليه.

«اشتقت إلى مناسبة خاصّة في بلادي»، ومدّت يدها إلى كوب الشاي لتتسلّى به وتتفادى العودة إلى التأثّر والبكاء.

هزّ رأسه بحيرة وقال: «عيد ميلادك مثلاً؟».

هزّت برأسها وابتسمت مجيبةً: «كلّا، إنه يوم «ج-داغ». نحتفل في هذا اليوم ببداية موسم عيد الميلاد. مرّ منذ أيام عديدة، ولكنه مناسبة كبيرة في الدنمارك».

«حسناً»، قال جو وقد وقف مصغياً وإبهامه تحت ذقنه. «ولكن لمَ الدموع؟»، سألها.

أجابت كلارا بعد أن أشارت برأسها إلى زجاجة البيرة: «طلبتها ولا أعلم لماذا؛ ولكننا نشرب البيرة في يوم «ج-داغ»».

«بيرة؟»، قال.

«هذا النوع بالذات»، أوضحت كلارا وتابعت: «الكلّ يرتدي قبعة سانتا الزرقاء، وتعمّ الاحتفالات في الشوارع وتوزّع البيرة في عربات تجرّها الأحصنة وتطفو رغوة البيرة في كلّ مكان».

عاد جو ليبدو في غاية الارتباك عندما تبع إشارة يدها في اتجاه زجاجة البيرة الموضوعة إلى جانب الكنبة.

«حسناً، الرغوة، البيرة»، قال.

«أعلم أن الأمر قد يبدو تافهاً»، قالت.

«كلا، البتّة»، قال، وربّما كان يأمل في ألّا تعود إلى البكاء.

«نعم، أعلم أنها تبدو كذلك، ولكنها تذكّرني... بما يأتي بعد ذلك»، قالت.

لم يحاول جو أن يغامر في التوقّع.

«عيد الميلاد»، أضافت بصوت هادئ.

«لا تحبّينه؟»، سألها.

تنشّقت نفساً عميقاً محاولةً قطع الطريق على الدموع، وقالت: «كلا، ليس كذلك. أحبّ عيد الميلاد، ولكنّي...».

كان جو يعضّ على شفته متابعاً بصبر: «إذاً ما هي المشكلة؟».

بلعت كلارا ريقها وقد أرخت يديها على أعلى ساقيها وحاولت لملمة نفسها واستعادة هدوئها. «لا وجود لمشكلة بالفعل، أعتذر لحماقتي. لا شيء في الحقيقة... إنها تذكّرني ببعض الأمور».

«البيرة؟»، قال.

«بلى، إنها البيرة»، أجابت، وضحكت وخالجها شعور بالارتياح بعد نوبة البكاء. «سأكون بخير، شكراً على الشاي». وأشارت برأسها إلى الكوب الذي لم تشرب منه سوى القليل.

احمرّت وجنتا جو، وقال: «تُسعدني مساعدتك»، وانتصب واقفاً وكأنها أمرته بالانصراف. ثمّ تمهّل برهةً واقترب منها، ووضع يده على كتفها وقال: «أتمنّى أن تشعري بالتحسّن قريباً». وبعد أن

تنحنح، رسم خطوة إلى الوراء وحاول أن يقول شيئاً: «حسناً، إني... وسأكون...». وأسرع إلى غرفته.

نظرت إلى باب الغرفة ينغلق وراءه، واسترخت في المقعد وأغلقت جفنيها واحتضنت وجهها بكفّيها وراحت تستعرض ما جرى وتتأوّه بصمت. ثمّ وجّهت إلى نفسها ملاحظة تقول: «إن أردتِ يا كلارا البكاء مرّةً ثانية، تأكّدي أن تكون الشقّة خالية». ولكنّها، وفيما كانت تستعيد الحديث الذي جرى بينهما، وجدت نفسها تبتسم. يا إلهي، كيف تبدو بنظره الآن؟ كيف يمكنها أن تشرح له؟ وفيما هي كذلك طفقت تضحك بهدوء حتى أفلتت منها شخرة فانفتح الباب للتوّ من جديد.

«هل كلّ شيء على ما يرام؟»، وبدا مرعوباً، فانتصبت واقفة ومسحت أنفها.

«لا بأس، كنت...، كنت أضحك»، أجابت.

اتّسعت عينا جو مجدّداً، «حسناً، هذا جيّد»، قال، وتمهّل لحظة ثم عاد وأغلق الباب وراءه.

بقيت كلارا حيث هي والابتسامة ما زالت عالقة على وجهها حتى سمعت صوت المفتاح في القفل. ثمّ ضربت جبينها بكفّها.

«دوه»، صرخت ليدي كاكا من ورائها.

ديكور جديد في الحانة؟ خبر مفرح! ماذا فعلتما بالتحديد؟ هل ترسل لي صوراً؟ اشتقت حقّاً لذلك المكان. ولكن يكفي من هذا الكلام. إني في الواقع سعيدة تماماً بوجودي هنا؛ الحرارة عالية وصرت سمراء كحبّة الجوز. أبدو على قدر من الغرابة، وكأن أحدهم لوّنني بطلاء من لون خشب الماهوغاني. ولعلني بتّ أبدو مثل أهل البلاد الأصليين. أفكّر بصبغ أطراف شعري باللون الأشقر. إنها موضة منتشرة كثيراً بين الألمانيين هنا. ربّما مضى وقت طويل على وجودي هنا وحدي؛ لا لن أفعل ذلك بالطبع. سوف أكتفي بأن ألبس خلخالاً حول كاحلي أينما أذهب وهذا يساعدني في العدول عن القيام بأيّ تغيير دائم في مظهري.

أمّا الآن فدعني أقول لك إن «**فار**» ليست كلمة يا غافن.

سألت كلّ الألمان في الفندق وكلّهم يتكلّمون الإنجليزية أفضل مني، وكلّهم أكّدوا إنها كذبة كبيرة وإنك تربح عن طريق الغشّ فحسب. أعتذر على صراحتي المؤذية ولكنني عازمة على أن أطلب تحديداً لمعنى كلّ كلمة إن كنت تصرّ على استخدام مثل هذه اللغة غير الحقيقية. ربّما أدخلت في الأساس هذه اللعبة على هاتفك على قاعدة غير قاعدة الإنجليزية في بريطانيا. تأكّد من هذا الأمر، وسأنتظر جوابك قبل استئناف اللعب.

الفصل السابع والعشرون

بقي جو في لندن طيلة الأسبوع ووجد نفسه قابعاً في المكتب لساعات طويلة ومنهمكاً في مراقبة سير المرحلة الأخيرة من عمليّة الدمج: مؤتمرات هاتفية، تقارير مرفوعة إلى الرؤساء. كان حريصاً على أن يراه زميله توم وهو يعطي تعليماته إلى طالب متخرّج جاء ليتمرّس في المكتب، وبدا هذا الأخير منهكاً من شدّة العمل، وقادراً على ابتلاع وجبتَين في آن واحد لقلّة الوقت الذي كان يسنح له بتناول الطعام. وعندما عاد جو إلى شقته ذات مساء، ووقف في المدخل يتأمل الأسطح الباردة والقاسية وكأنّ أجواء المدينة الرّمادية في الخارج تسرّبت وامتدّت هي نفسها إلى الداخل. جلس في تلك الليلة إلى حاسوبه، وراح يقلّص صورة جداول المحاسبة المدرجة على الشاشة بين حين وآخر، ليفتح صفحة التسوّق ويشتري مصابيح وأغطية وشمعدانات وغطاء من الفرو لكيس الماء الساخن، وحذاء بيتياً جديداً، وكل ذلك من توقيع المصمّم فيرنر الذي ذكرت كلارا اسمه يوماً، وبأسعار باهظة تكاد تدمع لها العين. وفي مساء اليوم

التالي ترك المكتب بحماسة شديدة للوصول إلى شقتّه ولتحضير وجبة العشاء بنفسه. أحسّ أن التغييرات التي أدخلها إلى أسلوب حياته بدأت تعطي ثمارها: ازدادت طاقته، وقلّت أوجاع رأسه، وشعر بتحسّن عام في صحته.

وجاء مساء السبت، وعوضاً من أن يحجز موعداً على إحدى صفحات المواعدة على الإنترنت مع فتاة يقضي معها سهرته كما تعوّد، أو أن يذهب إلى الكازينو ولا يغادره قبل ساعات الفجر الأولى، ركب سيّارته وتوجّه إلى القرية الناعسة سوفوك وقلبه يرقص فرحاً كلّما خطر في باله أنه وبعد أسبوع طويل من العمل يعود لقضاء فرصة نهاية الأسبوع في بيته. ابتسم فيما ركن سيارته ونظر إلى النوافذ في الأعلى ليرى إن كانت كلارا لا تزال مستيقظة.

لم يرَ كلارا منذ نوبة البكاء التي أصابتها بسبب زجاجة البيرة. ما زال حتى الساعة غير متأكّد من السبب الحقيقي للحزن الذي أصابها - هل هو شيء متعلّق برغوة البيرة وقبعات سانتا الزرقاء، أو شيء آخر يخصّ النساء فحسب، أو الاثنين معاً؟ سيتصرّف كأي رجل يحترم نفسه، أيّ وكأن شيئاً لم يحدث البتّة؛ فكّر جو فيما نزل من السيارة وأخذ حقيبته الجلدية. مشى إلى داخل المبنى وصعد الدرج وهو يعدّ نفسه لرؤيتها. كان يتمنى لو بقي هنا خلال الأسبوع. رؤيتها حزينة ذكّره بأنها ليست الفتاة المطمئنة والسعيدة دائماً كما يبدو عليها. كان قد لمحها على الرصيف مع ذلك الصحافي قبل أن يراها تبكي. عسى ألّا تكون قد لجأت إليه لكي يخفّف عنها.

لم تكن في غرفة الجلوس. لعلّها تأخرت في إغلاق المتجر، أو ما زالت منشغلة في التحضير للعرض القادم. وفكّر للتوّ في أن يذهب إليها ويسألها إن كانت ترغب في وجبة جاهزة يتناولانها معاً.

وما إن مشى في اتجاه الدرج حتى خرجت من غرفتها. كان جو قد تعوّد رؤيتها في سروال جينز وكنزة واسعة، غير أنها وقفت فجأةً أمامه في تلك اللحظة في سروال أزرق لامع وقميص ناعمة سوداء مزيّنة على الكتفين بخيوط وتفاصيل برّاقة. وعندما استدارت لترتدي معطفها، لاحظ أن ساقيها تبدوان أكثر طولاً وامتشاقاً.

«أوه، هاي، أنتَ هنا؟»، قالت.

«أنا هنا»، قال جو بصوت عالٍ ملقياً حقيبته على الأرض.

«سأذهب مع لورين إلى السينما»، قالت وهي تشير إلى ثيابها. «أظنّ أن أناقة ثيابي تتخطّى المناسبة، ولكنّي لم أخرج منذ زمن طويل». كانت قد كحّلت عينيها ووضعت على جفنيها ظلالاً رمادية، وصبغت شفتيها بأحمر شفاه لامع. أحسّ جو وكأن دماغه توقّف عن العمل حتى تنبّه أن عليه أن يقول شيئاً.

«تبدين...»، كان قد بدأ بالقول قبل أن تصله كلماتها فيستدرك: «إلى السينما، عظيم»، ثمّ مدّ ذراعه ليلقي يده بمظهر أراده عفويّاً على بلاطة الموقد، ولكن أخطأت يده الهدف، فعاد وانتصب في وقفته وهزّ رأسه قائلاً: «هل هناك فيلم جيّد؟».

«تريد لورين أن تشاهد فيلماً لراين غوزلينغ»، أجابت كلارا بصوت منخفض.

هزّ جو رأسه، وقال: «إنه شاب وسيم وناعم، وبرّاق». ثمّ أنّب نفسه في سرّه على هذا التعليق. «حسناً سأكون هنا منتظراً. لا أعني بالطبع... منتظراً عودتك، ولكني سأقضي الليلة في البيت، أو ربّما في الخارج، لم أقرّر بعد». انتبهَ إلى أنه يثرثر؛ وتساءل عن السبب. هل الخيوط اللامعة على قميصها سيطرت على دماغه كما في التنويم المغناطيسي مثلاً؟

«حسناً، المطر ينهمر من جديد»، قالت.

أدار جو عينيه، وقبل أن يتمكّن من التفكير بكلامٍ آخر غير الكلام عن الطقس كانت كلارا قد التقطت حقيبتها ونظرت إليه مبتسمة.

«سأراك لاحقاً إذاً»، قالت، ومشت إلى الباب.

«حسناً، حسناً، أراك لاحقاً»، أجاب.

أثارت إجابته المتردّدة الأسئلة لدى كلارا التي ما لبثت أن غادرت الشقّة. ارتمى جو على الأريكة وكأن الدقائق الأخيرة أرهقته؛ غير أنه ارتاح إلى ما جرى للتوّ لأنه يوحي بأن سوء التفاهم الذي كان بينهما قد ذهب. ثم قام ليأخذ زجاجة بيرة.

وبعد مرور ساعة، واستهلاك ثلاث زجاجات من البيرة، شعر بالنعاس. ولكنّه نهض وأضاء كلّ الشموع وأشعل الموقد حتى تحوّلت غرفة الجلوس إلى فردوس من الأضواء الحالمة. ثمّ غيّر ثيابه وارتدى بيجاما ورُوباً، واستخرج من الخزانة حذاء بيتياً ضخماً صنع من القماش على شكل المخالب، وهو هدية من والدته بمناسبة عيد الميلاد في السنة الماضية أو التي قبلها.

وبهذا الشكل الدافئ الجديد عاد إلى الأريكة مع صينيّة محمّلة بعدد من زجاجات البيرة وأنواع من الطعام الخفيف. لم يكن قد شاهد فيلماً على قرص DVD منذ زمن طويل، وبالتحديد، منذ أن أصيب بالتهاب رئوي وبقي في السرير ثلاثة أيام. ولكنّه اختار إذ ذاك مشاهدة فيلم «وول ستريت» (Wall Street) لكي يبقى في جوّ العمل.

فتح زجاجة أخرى من البيرة فيما راح يفتّش في مجموعة الأقراص الموجودة لدى أمّه ومروحة الخيارات لم تكن واسعة. لم

يسمع من قبل بالممثل نيكولاس سباركس ولكنّه سيجرّب. ثمّ لاحظ اسم راين غوسلينغ على الغلاف أيضاً وابتسم؛ كان في إمكان كلارا مشاهدة غوسلينغ في البيت.

تساقطت قطرات المطر على زجاج النافذة بإيقاع منتظم، وسمع جو صفير الريح آتياً من بعيد فتدثّر بالغطاء، وحضن كيس الماء الساخن قريباً إلى صدره، وراحت حبّات الشوكولاتة الصغيرة تتوالى إلى فمه، والبيرة تنسكب في جوفه بحريّة. أحسّ بارتياح شديد واكتشف أن هناك شيئاً إضافياً يمكن قوله بشأن نظرية كلارا حول أسلوب الحياة على طريقة هيغي، وهو إن البقاء في البيت قد يكون بالفعل الأسلوب الجديد للنزهة والتسلية. أحسّ بجسمه يرتاح على الأريكة والعالم خارج الشقّة يختفي، ولم يعُد يشعر سوى بنفسه سعيداً ومسترخياً في مكانه الدافئ والمريح مع الفيلم الذي يعرض على الشاشة.

بعد مرور ساعة ونصف، كانت الدموع تنهمر على خديه وتتساقط من أنفه، فلم يتمكّن من سماع وقع الخطى على الدرج، حتى فوجئ بباب الشقّة يُفتح فجأةً. قفز من مكانه في الحال، ومسح الدموع عن وجهه ما إن رأى كلارا ولورين تدخلان. كان على نيكولاس سباركس أن يبرّر ما جرى. أحسّ جو أنّ مزيداً من الدموع ما زال محتبساً في داخله واستعان بكمّ روبه ليمسح أنفه.

«هاي»، قال بصوت أجشّ، وتدحرج كيس الماء الساخن أمامه ليرسو بين قدميه المكسوتين بحذائه البيتي الضخم.

تجمّدت لورين وكلارا عن الحركة لينظرا إليه.

«لَمَ يحدث دائماً أن كلّاً منا يفاجئ الآخر في لحظة بكائه؟»، قالت كلارا ضاحكة لكي تغيّر الجوّ.

غير أن جو وجد نفسه غير قادرٍ على الكلام بعد.

«ماذا تشاهد؟»، سألته لورين، وعقدت حاجبيها ومشت نحوه، ثمّ قرأت عنوان الفيلم على غطاء القرص.

«يا إلهي»، صرخت، والتقطت الغطاء بيدها ملوّحةً به، وتابعت: «تشاهد The Notebook بنفسك ومن غير رفيق!؟ هل أصابك جنون؟ أنت بحاجة إلى المساندة المعنوية لدى مشاهدة هذا الفيلم، تحتاج إلى مجموعة من الأصدقاء ومن الرجال المخلصين. هل أنت بخير؟ هل نحملك؟».

قهقهت كلارا فيما تقدّمت لورين منه ومدّت ذراعيها.

خطا جو خطوتين إلى الوراء وشعر بتأثير البيرة على توازنه، إضافةً إلى فعل أنوار الشموع المتهادية بحركة دائرية فوق الجدران حوله. لم يبكِ في حياته بسبب الأفلام، سوى مرّة واحدة عندما بكى لأن أمّه سجّلت عن طريق الخطأ حلقة من مسلسل «الجيران» (Neighbours) فوق القسم الأخير من فيلم «بوينت بريك» (Point Break. «إني بخير» قال، واستقام في وقوفه، وكان قد ارتاح عندما ظهرت شارة النهاية على الشاشة . «حسناً، حسناً»، ردّد بصوت أكثر ثقة.

«أحبّ هذا الفيلم»، قالت لورين. وتابعت بنغمة حالمة: «القبلة تحت المطر هي. . .».

«كيف كانت السينما؟»، سأل جو وقد جلس مستقيم الظهر على طرف الأريكة، وعقد ذراعيه فوق صدره محاولاً أن يبدو رزيناً قدر المستطاع.

«مممم. . .»، أجابت لورين بالنغمة الحالمة نفسها، وكأنها كانت جزءاً من الفيلم الذي شاهدته في السينما، وما زالت في ذلك

القارب بثيابها المبلّلة بعد انحسار العاصفة الهوجاء، وبين ذراعي الممثل راين غوزلينغ.

ذهبت كلارا في اتجاه الحمّام وهي تضحك قائلةً: «لورين عاشقة!».

نظر جو إلى لورين وكان يتمنّى الهروب إلى غرفته في الحال.

وربّما تمنّت لورين الشيء عينه، إذ راحت تدور بعينيها في محيط الشقّة تفتّش جاهدةً عن شيء تقوله.

«هذه أجواء **هيغي** بامتياز». قالت أخيراً.

تبع جو عينيها فنظر إلى الشموع، وإلى كيس الماء الساخن، والغطاء الدافئ. «فكّرت أن أجعل الأجواء...، أعني... جميلة»، قال فيما شعر بأنه يتكلّم بشيء من البلاهة.

كانت كلارا قد خرجت من الحمّام وتوجّهت إلى المطبخ.

«كنت أقول لجو إنّ المكان يبدو **هيغي** بامتياز. ألا توافقينني الرأي يا كلارا؟»، سألتها لورين بصوت مرتفع.

قطّب جو حاجبيه وتساءل في نفسه: «لماذا كانت لورين ترمق كلارا بنظرات غريبة؟».

بدت كلارا مُربَكَة ولم تُجِب على الفور، ثمّ تمتمت: «يبدو المكان دافئاً».

أحسّ جو أن رسالة خفيّة جرى تبادلها بين المرأتين، وأنه خارج اللعبة، وفَاته فَهم نكتة معيّنة، أو شيء آخر.

تنحنح ومشى في محيط الغرفة ينفخ على الشموع ويطفئها وإذا برائحة الدخان تدخل إلى أنفه مباشرةً وتحرّك دموعه. هل ما زالت لديه دموع بعد في تلك الليلة؟ لا بدّ أن عينيه تحوّلتا إلى كتل حمراء، ووجهه بات منتفخاً، ومن الأفضل أن ينسحب إلى غرفته. ومع أنه

كان قد ضبط كلارا منذ أيّام تنتحب بسبب زجاجة بيرة وقبعة سانتا الزرقاء، ولكن ذلك لم يخفّف عنه. بخاصة وأنه لم يتعوّد قطّ أن يفاجئه أحد في مثل هذه الحالة. «ليلة سعيدة!»، قال بصوت متحشرج.

«ليلة سعيدة»، أجابته لورين.

سمع كلارا تهسّ شيئاً لإسكاتها، وما إن أغلق باب غرفته حتى وصلت إلى أذنيه رنّة ضحكات مكتومة.

الفصل الثامن والعشرون

استيقظت كلارا على وشوشة السكون، ومدّت يدها لتفتح الستارة. انحسر المطر وبدت السماء زرقاء صافية سوى من بعض الغيوم التي تراجعت إلى خطّ الأفق. تمغّطت وسمعت حشرجة سعال خفيف في المطبخ قرب غرفتها. يبدو أنّ جو استيقظ باكراً. كانت مرتاحة لعدم لقائها به طيلة أيام الأسبوع المنصرم نظراً إلى شعورها بالإحراج الشديد نتيجة نوبة البكاء التي أصابتها بسبب حنينها إلى يوم «ج-داغ». ومن غير أن تعلم ما آلت إليه الأمور بالنسبة إلى بيع المتجر، وجدت نفسها تبتسم للصوت وتغرق في طمأنينة السرير مصغيةً إليه. وما إن نهضت وفتحت الباب بعد أن أسقطت كنزة سميكة فوق البيجاما حتى فوجئت به أمام الحاسوب محدّقاً بالشاشة؛ يده تحت ذقنه؛ وعيناه حمراوان بلون الدمّ. أحسّت كلارا أنّ كل مزاج هيغي كان قد غادر جو كليّاً هذا الصباح وشعرت بومضة حزن.

«هاي»، همست، وحتى صوتها الهادئ جعله ينتفض.

ثمّ دقّ شيئاً على لوحة المفاتيح، ورفع عينيه مجدّداً إلى الشاشة.

«قهوة؟»، سألته فيما مرّت من أمامه لكي تضغط على زرّ الماكينة.

«سُررت برؤيتك، برؤيتك سُررت»، نادت ليدي كاكا.

اقتربت كلارا ورمت قليلاً من الطعام الجافّ في القفص.

«الطعام للجبناء»[1]، صرخت الببغاء وكأنها تسخر من وضع جو.

ثمّ جاء رودي والتفّ حول قدمي كلارا فيما كانت تصبّ الحليب فوق القهوة وتعطي جو كوبه.

«شكراً»، قال وأخذ الكوب منها. لاحظت كلارا يده ترتجف عندما حمل الكوب ليشرب. «هل كلّ شيء على ما يرام؟»، سألته واجتاحها شعور بالعطف عليه.

«لا بأس، مشغول - عليّ إزالة كلّ هذه الفوضى عن حسابات أمّي»، قال، وعيناه على أكوام الإيصالات والتقارير المصرفية والدفاتر القديمة ذات الأطراف المطوية. وتابع: «وأتأمّل في الآن عينه ألّا يخرّب فريقي غداً الصفقة الأكبر للشركة في هذا العام».

«يبدو الأمر ضاغطاً بالفعل»، أجابته، وأخذت قطعة من خبز النخالة ودهنتها بالزبدة ووضعتها على صحن. «خذ فطوراً. هل سهرت طويلاً؟»، قالت وهي تنظر إلى مغلّفات بلاستيكية فارغة وأكواب فيها بقايا مشروبات ملوّنة، وورقة دواء فضيّة أفرغت من حبّاتها الثمانية.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Wall Street.

أخذ الصحن من يدها من غير أن ينظر إليها، وأجاب: «نعم، تقريباً؛ لم أستطِعْ النوم بعد ذلك الفيلم، وفكّرت أنه كان عليّ أن أعمل في ذلك الوقت. ربّما نمت قليلاً». ثمّ نظر إلى الصحن في يده، ورفع عينيه إليها وكأنه يعود إلى وعيه في تلك اللحظة، وقال: «شكراً»، ولاحظت كلارا ملامح مبهمة تعبُر وجهه فجأةً عندما انطلقت رنّة من إحدى الأجهزة المفتوحة أمامه.

أسندت كلارا ظهرها إلى منضدة المطبخ وهي ترشف قهوتها وتتأمّل في الجلد المنتفخ تحت عينيه وفي تعابير وجهه الرماديّة. ومرّ ببالها أنه بات يحاول أكثر من السابق أن يسترخي ويستعيد هدوءه، ولكنّه وما إن يجلس أمام شاشة الحاسوب أو يحمل الهاتف حتى يبدو وكأنه غرق في عالم آخر حتى أذنيه.

«هيّا نذهب إلى مكان ما»، قالت بصوتٍ مرتفع.

«ماذا؟»، قال، فيما أخذ قضمة من شريحة الخبز، وضغط بأصابع يده الأخرى على لوحة المفاتيح.

«لنخرج إلى مكانٍ ما للنزهة، كما يفعل الناس العاديّون في عطلة نهاية الأسبوع».

كان ممسكاً بشريحة الخبز بين أسنانه ويستخدم كلتا يديه في الطباعة عندما نظر إليها ورمش عينيه، ولم يكن بالطبع قادراً على الكلام.

ثمّ توقّف أخيراً وحمل شريحة الخبز بيده، وقال بعد أن بلع اللقمة التي في فمه، وقال: «نزهة؟».

هزّت كلارا برأسها وأزاحت خصلة شعر هائمة إلى وراء أذنها، وقالت: «أريد مشاهدة البحر».

«هيّا، اجعل نهاري سعيداً»[1]، تدخّلت الببغاء.

احمرّت وجنتا كلارا وتظاهرت بأنها لم تسمع الببغاء التي كانت تراقبهما من القفص.

«البحر؟».

هزّت كلارا رأسها تأكيداً؛ أما جو فبدا مرتبكاً وكأنها اقترحت عليه السفر إلى خارج البلاد.

«هيّا»، تابعت، «سنتسلّى».

«حسناً»، أجاب ببطء، «أتوقّع أنه يمكننا أن نفعل».

صفّقت كلارا بيديها وأحسّت بفرح فوري يسري في كيانها. لم تكن تعلم أنها حقّاً بحاجة إلى مثل هذه الفرصة. «عظيم. سأرتدي ثيابي في الحال ويمكننا الانطلاق».

باشر جو إلى إغلاق حاسوبه مردّداً: «حسناً، إلى البحر»، ولكنه ما زال يبدو مصعوقاً بالفكرة المفاجئة.

مشت كلارا إلى غرفتها ولكنها التفتت نحوه مشيرةً إلى هاتفه قائلةً: «أوه، هناك شرط أساسيّ: الهاتف غير مسموح».

«ولكن، ماذا لو أراد أحدهم مكالمتي بشأن العمل ــــ».

«إنه يوم الأحد»، قاطعته بصوت كأنه صوت رجلٍ حكيم، إحدى تلك الأصوات التي كانت مسموعة من قبل، وأضافت: «من غير المسموح أن يعمل الإنسان في كلّ أيام الأسبوع. يعمل الناس في الدنمارك أربعاً وثلاثين ساعة في الأسبوع لا غير؛ وأنت تعمل هذا المجموع في يومين».

«أربع وثلاثون ساعة عمل في الأسبوع؟»، قال جو بينما كان

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Sudden Impact.

يرتّب الأوراق ويغلق الحاسوب. وأضاف: «كيف يتمكنون من إنجاز أعمالهم؟».

تابعت كلارا خطواتها إلى الغرفة، وأسرعت إلى رمي بعض الأغراض في كيس خاص، وأجابته: «العمل، كما تعلم، ليس كلّ شيء في الحياة. يقولون في الدنمارك إنك لو لم تتمكّن من إنهاء أعمالك في عدد الساعات المذكور، يكون ذلك دليلاً على نقص لديك في التنظيم والفعالية».

ارتاحت لكونها لم ترَ وجهه فيما كانت تتكلّم؛ ولكن لفتها الصمت التامّ في غرفة الجلوس عندما خرجت، وما لبثت أن لاحظت انشغاله بطبع رسالة على هاتفه.

«إني جدّية في ما قلته»، أعلنت، ومشت نحوه ومدّت يدها ليُعطيها الهاتف، وكأنه طفل تريد أن تمنع عنه قطعة من الحلوى.

«لا يمكنني أن أفعل ذلك. لستِ قادرة على فهم ما أقصده لأنك لم تعملي في وظيفة مثل وظيفتي»، قال معترضاً. فتحت كلارا فمها لتتلفّظ بشيء ثمّ عادت وأقفلته ثانيةً.

ثمّ أضاف مشدّداً: «يتوقّعون منّا الإجابة على الاتصالات في كلّ لحظة. كما وإن توم، المدير الإداري الثاني، فهو شكّاك، وينتظر الفرصة السانحة ليسحقني».

«ولكن ذلك ليس جيّداً للصحة»، قالت كلارا وما زالت يدها ممدودة. وكان جو ينظر إلى يدها وكأنها عدوٌّ يهاجمه.

«سأجعله صامتاً»، قال جو.

«كلّا»، أجابت بحزم.

«سأتركه في السيارة».

«جو»، قالت كلارا بصوت يدلّ على نفاد صبرها.

«إنك لا تفهمين قصدي»، قال، وصبّ على الهاتف نظرات قلقة.

أنزلت يدها وتنهّدت قائلة: «في الواقع أفهم قصدك جيّداً. مرّت أيّام في حياتي وكنت متّصلة عضويّاً بهاتفي كما أنت، إذ عملتُ في مجال تجارة الأسهم مع بورصة لندن لستّة أعوام».

كان جو على وشك أن يقول شيئاً ولكنه وقف فاغر الفم إزاء ما تفوّهت به.

«كنت أعمل ستّ عشرة ساعة في اليوم ومعظمها ليلاً. لم أزر الدنمارك طيلة أشهر، وأهملت أصدقائي وعائلتي»، قالت، وأنهت جملتها بصوتٍ خافت. ثم نظرت إلى البعيد وابتعدت عنه قبل أن يرى تعابير وجهها.

وقع الصمت خلال برهة، فتساءلت إن كان جو قد عاد إلى هاتفه وإلى بريده الإلكتروني. ولكنها لمحته محدّقاً إليها.

«ستّ سنوات؟»، سألها.

هزّت كلارا رأسها إيجاباً.

«ولكن لماذا... عملت كـ... ولكنّك...». اجتهد جو ليقول شيئاً من غير أن يتمكّن من تأليف جملة مفيدة.

كاد منظره أن يكون مضحكاً وهو يحاول التفتيش عن الكلمات التي ما انفكّت تهرب منه، غير أن كلارا كانت تفضّل عدم التطرّق إلى تلك الأيّام من حياتها. تلك الأيّام التي دفعتها إلى تغيير مسار حياتها كلّياً. ما زالت تندم على أنها لم تتنبّه في الوقت الملائم إلى مدى غرقها في العمل؛ ذلك الغرق الذي حجب عن عينيها أموراً مهمّة كانت تحدث لأشخاص تحبّهم. كانت أمّها تؤجّل وتلغي

زياراتها إلى الطبيب، وكلارا الغائبة والغارقة في عملها في لندن لا تدرك ما يحدث.

بلعت ريقها وقالت: «مضى على ذلك ردح من الزمن. لا تهتمّ». تمنّت لو لم تأتِ على ذكر الموضوع قطعاً، ولكنّها ضاقت ذرعاً بقوله إنها لا تفهمه، أو لا تستطيع أن تفهمه. تعرف حقّ المعرفة ماذا يعني أن البنك يمتلكك، وأن الحاسوب والهاتف يديران حياتك العمليّة والبيتية معاً، وذلك لاختفاء الخطّ الفاصل بينهما: يمكن لأحد الناس أن يتّصل بك هاتفيّاً، أو أن يرسل إليك بريداً إلكترونيّاً، ويتوقّع منك التلقّي والإجابة على الفور. أمّا لو لم تفعل، فسيفعل ذلك شخص آخر ويدفع بك من حيث لا تدري إلى «المقصلة».

تحرّكت في اتجاه الباب. وفكّرت أنه لو لم يوافقها على الذهاب إلى الشاطئ، فستذهب للنزهة في الخارج على الأقلّ. ثمّ سمعت صوته.

«انتظري». وضع هاتفه على الطاولة ورفع يده قائلاً: «أعطني دقيقتين». ثمّ قفز إلى غرفته وسمعت جلبة فتح الخزائن والأدراج.

«لن نسبح، أليس كذلك؟»، نادى قائلاً.

«هل نسيت أننا في ديسمبر، جو؟».

ثمّ أظهر رأسه من فتحة الباب ليتكلّم إليها وجهاً لوجه: «هل الإجابة تعني كلّا؟».

«بالطبع تعني كلّا. الحرارة في الخارج ثلاثة تحت الصفر»، أكّدت، فيما نظرت إليه وكأنه فقد عقله.

«تبدين من نوع الناس الذين يفعلون تلك الأمور»، قال وعاد إلى عمليّة التفتيش بين أغراضه.

وتساءلت ماذا يعني بكلامه. هل يريد القول بأنها نشيطة؟ أو مندفعة؟ أو متهوّرة؟ وربّما مجنونة؟

«إنّي جاهز»، أعلن، وخرج بحقيبة على ظهره وقبعة صغيرة لم ترَها على رأسه من قبل. كان يبدو مختلفاً، ولم تعثر كلارا للتوّ على السبب حتى اكتشفت أنها المرّة الأولى التي بدا فيها بمظهر غير رسمي بالفعل.

«تعجبني قبّعتك»، قالت وانتابها شعور غريب بالخجل.

رفع يده ولمس القبّعة بشيء من الارتباك الخجول أيضاً، وأجابها بعد أن التقط مفاتيحه: «لم أستخدمها منذ زمن طويل». ثمّ أضاف بحماسة: «لننطلق إلى الشاطئ إذاً!»، ومشى وفتح الباب، وانتظر لكي تخطو أمامه.

«لتكن القوّة معك»[1]، صرخت ليدي كاكا، فيما التفتت كلارا إلى الخلف ولاحظت أن هاتف جو ما زال فوق الطاولة حيث تركه. ابتسمت له، وانحدر الاثنان وخرجا من المبنى.

وما إن ركبا السيارة ووصلا إلى المنعطف، حتى بدأ بطرح الأسئلة: «أيّ مصرف؟».

«UBS»، أجابت.

«مصرف كبير!»، قال.

«أجل».

«كم كانت قيمة الصفقة الأكبر التي أبرمتموها؟»، سألها.

«ما هذا السؤال وهل نحن في منافسة؟ لن أفصح لك عن تلك المعلومات؛ ولكنها كانت ضخمة. كانت ضخمة».

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Star Wars.

«بَرْهني لي ذلك»، قال، وضرب بيده على المقود مبتسماً.

«ماذا تعني؟»، سألته كلارا ضاحكةً، وأسندت ظهرها إلى المقعد.

«برهني أنك قمت حقّاً بهذا العمل. قولي جملةً قد يقولها مُضارب في البورصة».

«تعني أن أخبرك عن لوحة التداولات وكيف قضيت أيامي في مراقبة الدلائل التي تصوغ الأسعار بما فيها التقلّبات والسيولة في دفاتر الطلبيات. . . ؟».

«عملتِ حقّاً كمضارب في البورصة»، قال متيقّناً، واختلس نظرة جانبية إليها.

«قلت لكَ إني عملت في هذا المجال»، أكّدت.

«ظننت أنكِ كنت تكذبين لكي تقنعيني بالذهاب إلى الشاطئ»، أجاب مبرّراً.

«جئت على ذكر هذه الحقبة من حياتي لكي أقنعك بالخروج إلى الشاطئ، ولكني لست محتالة ولا يمكنني اختراع كذبة كهذه».

وما إن لاحظت استعداده لطرح المزيد من الأسئلة حتى أسرعت إلى القول:

«انظر، أمضيت معظم أوقاتي خلال الأعوام الستة في مركز العمليّات صراخاً وشتماً. أشتاق إلى تلك الأجواء المجنونة في بعض الأحيان؛ وحتى أن ذلك الجنون بالذات كان سبب انجذابي للعمل في هذا المجال. كنت أريد أن أبرهن بأني قادرة على القيام بتلك الوظيفة. ولكني لا أريد حقّاً الكلام عن تلك الحقبة من حياتي الآن. كانت قصيرة ومضت. لم أكن سعيدة في ذلك العمل ولم أستطع الاستمرار».

«حسناً، ولكن هل ـــ؟».

لاحظت كلارا الحماسة البادية على وجهه، وقالت بصوت لطيف: «كفى الآن».

فهم جو قصدها ونزل عند رغبتها. «كفى»، قال، «ولكن يمكنني أن أتخيّل قدرتك على أن تكوني مخيفة بعض الشيء في غرفة العمليّات». أضاف وعضّ على شفته.

ابتسمت كلارا وأرخت رأسها على جلد المقعد الناعم، وركّزت انتباهها على الطريق. السيارة فخمة والمساحة الأمامية واسعة ومريحة لساقيها، وبالكاد شعرت بحركة الدواليب فوق المنعطفات رغم الالتواءات العديدة للطريق الضيّقة المؤدية إلى الشاطئ.

وإذا بشريط فضيّ رفيع يظهر من تحت الغيوم الرّمادية المتلبّدة في الأفق؛ فتلتفت كلارا إلى جو وتعلن بابتسامة عريضة: «البحر».

قاد جو السيارة على طول الطريق المحاذي للشاطئ وكان قلقاً بعض الشيء في البداية حول ما إذا كان الوقوف مجانيّاً، وحول احتمال أن يسرق أحدهم السيارة، وما إن كان سيحتاج القبعة أم لا. ولكنه، وما إن وصلا إلى الشاطئ وسمعا صرير الحصى تحت الدواليب حتى هدأ وراح ينظر حوله وما هي سوى لحظات حتى كانا يمشيان جنباً إلى جنب على طول الشاطئ، ويراقبان الأمواج تتدحرج وتتهادى فوق الحصى بخفر فتخالها تختفي قبل أن تنحسر. كانت النسائم ناعمة، وبعض طيور النورس تحوم فوق الشاطئ؛ وفي البعيد، تتحرّك عبّارة ببطء، وخطّ من الفوّاشات الورديّة تتمايل على مسافة قريبة وكأنها رؤوس صغيرة.

«كانت أمّي تصطحبني إلى هنا في عطلة نهاية الأسبوع»، قال جو ناظراً إلى المدى، «وكانت تلتقط معي الحصى، ثمّ نأكل وجبة

من السمك المقلي والبطاطا، ونجلس معاً على بساطٍ صغير لا تغادره رائحة السمك والخل لأيام عديدة بعدها».

حبست كلارا أنفاسها. نادراً ما تكلّم جو على طفولته مع أمّه أمامها؛ ومن الممتع أن تتخيّل صورته صبيّاً يلعب على الحصى.

«وماذا بشأن والدك؟»، سألته إذ خطر في بالها أنه لا يأتي على ذكره البتّة.

مشى جو وجلس على الحصى، ومشت وجلست إلى جانبه وتساءلت هل سمعها. أدخل جو أصابعه بين الحصى، وأجاب: «غادر البيت عندما كنت في الثامنة».

«أوه!»، قالت كلارا، «لا بدّ أن ذلك كان صعباً عليك».

أمسك جو بحبّة حصى وأدارها بين أصابعه، وقال: «كان صعباً. انتقلنا بين أماكن عديدة. ولم تتمكّن أمي التي فوجئت بما حدث من المكوث في وقت واحد لوقت طويل بعد ذلك...».

تأمّلت كلارا في وجهه فيما كان يتكلّم، ومرّ في بالها أنها بدأت تفهم سبب اهتمامه بتأمين الاستقرار لأمه.

«هل تلتقي بأبيك؟»، سألته.

هزّ جو رأسه نافياً، وقال: «ليس كثيراً هذه الأيام؛ نلتقي حول وجبة غداء في المطعم مرّة في السنة. كنت دائماً أتشوّق لرؤيته، ولأكون مثله ولأخبره بأني نجحت. كنت دائماً أطمح للعمل في المدينة ولأكون شخصية مهمّة مثله». ضحك جو ضحكةً فارغة وشعرت كلارا بلزوم أن تكون أقرب إليه.

«لا بدّ أنه فخور جدّاً بك»، قالت له.

نظر جو إليها عندئذٍ وتحرّكت عيناه الرماديّتان بثقل فوق وجهها.

«شكراً»، أجاب، ووقف للتوّ وكأنه أحسّ بأن جوّ المرح كاد يتغيّر، فقال: «هل نتابع السير؟».

وقفت كلارا وتبعته.

«ماذا عنك؟ هل تشتاقين إلى عائلتك؟»، سألها.

ارتاحت كلارا لأنها ستجيب عن سؤاله فيما هما سائران؛ لأنها أحسّت بقرصة الدموع في عينيها والتي لا تفارقها كلّما تذكّرت عائلتها. «انفصل والداي عندما كنت صغيرة، ولكن كانت علاقتي به جيّدة وكان يراني دائماً. لديّ أختان توأم من غير أمي، وهما الآن في الرابعة عشرة»، قالت، وتمنّت أن يكتفي جو بهذا القدر.

«ووالدتك؟»، سألها.

نظرت كلارا إلى البحر الذي كان رمادياً بلون عيني جو، وكأنها ستجد فيه النجدة مع قارب يمرّ أو شرارة برقٍ مفاجئ. لم يحدث أي من ذلك بالطبع وبقي صوت الموج يتردّد وطال سكوتها.

ثمّ قالت بصوت متقطّع وكأن يد الريح امتدّت لتخطف بعض مفاصله: «كانت مريضة وماتت في السنة الماضية».

توقّف جو فجأةً؛ وكانت كلارا قد مشت بضع خطوات إلى الأمام قبل أن تلاحظ وقوفه.

«يؤسفني ذلك»، قال وبدا مذعوراً.

«لا بأس»، أجابته، ومسحت دمعها ثمّ استدركت موضّحة: «لا ليس الأمر سهلاً. أشكرك».

«كيف ماتت...؟ أعتذر، لا أرغب في إحراجك».

بلعت كلارا ريقها، وقالت: «كانت تعاني من سرطان في البنكرياس. لم يتمّ كشفه سوى لاحقاً بعد أن انتشر في بقيّة الأعضاء. وكانت النهاية... سريعة».

نظر جو إليها وقال: «آسف جدّاً!».

لم تتحمّل طويلاً نظراته الحائمة حول وجهها، فأجابت: «لم تخبرني كثيراً عن موضوع مرضها». أحسّت كلارا بأنها الآن، وقد بدأت تتكلّم عن الموضوع، لن تتمكّن من التوقّف حتى ولو رغبت في ذلك. وتابعت من غير أن تتمكّن من منع دموعها من التدحرج بغزارة على خدّيها: «كانت تعلم أني منشغلة بحياتي في لندن وكانت قلقة بشأني». تعوّدت كلارا خلال تلك الفترة أن تختصر الكلام مع أمها على الهاتف؛ وكانت تزعجها بأخبار الضغوط التي كانت تعاني منها في لندن، وبالمشاجرات مع زملائها، وبتراجع الأرباح وانخفاض أسعار أسهم المصرف، فيما كانت أمّها على الطرف الآخر تعيش سكرات الموت ولا تقول شيئاً.

«كانت تحبّك»، قال جو ووضع يده على ذراعها.

هزّت كلارا برأسها وأكّدت بصوت مرتجف: «كنت أحبّها».

«بالطبع»، قال جو، وشدّها نحوه.

أحسّت بذراعيه حولها وبوجهها ملاصقاً لصدره. وشعرت بجسمها يرتاح إلى ضمّته فيما كانت تستعيد سيطرتها على نفسها. وقف الاثنان كذلك هنيهةً ريثما عادت وتيرة أنفاسها إلى طبيعتها. ارتاحت كلارا إلى رائحة عطره ورائحة دخان الحطب الملتصقة بثيابه، ثمّ رمشت عينيها وتساءلت متى ستخرج من غمرته.

ابتعد قليلاً عنها وبقيت يداه فوق ذراعيها، وسألها: «هل تريدين متابعة المشي؟ هناك محلّ يبيع دونوت[1] غير بعيد عن هنا». ونظر إليها محاولاً التخفيف عنها، وسرت على وجهه ابتسامة بطيئة وحزينة.

---

(1) عجين مقلي يشبه الزلابية.

«لا بأس بقُرص دونوت»، قالت وهي تمسح ما تبقّى من الدمع على جفنيها.

لم يتطرّقا إلى أحاديث أخرى كثيرة خلال بقيّة النهار، بل أمضيا الوقت في السير على طول الشاطئ ومرّا من أمام لعبة «ماري-غو-راوند»[1] وصولاً إلى السيارة، حيث فتح جو الباب ودعاها إلى الدخول.

وعندما وصلا أمام باب المتجر، أوقف جو المحرّك وجلسا صامتين للحظات.

«حسناً»، قال أخيراً وهو يدقّ بإصبعه على مقود السيارة، «شكراً لأنك جعلتني أخرج إلى هذه النزهة في الهواء الطلق».

«فرحت لأننا ذهبنا، أشكرك»، قالت فيما لمحت في عينيه شيئاً جديداً. وشعرت أن كلماتهما كانت محمّلة بأكثر من معانيها المباشرة.

هزّ جو رأسه ثمّ فكّ حزام المقعد وخرج أخيراً من السيارة.

دخل الاثنان إلى المبنى وسارا في الممرّ وصعدا الدرج من دون كلام. هل توقّفا حقّاً قبالة بعضهما بصمت كأنهما صنمان طيلة لحظات في مدخل الشقّة، أم خيّل لها؟

«اسمي ماكسيموس ديسيموس ميريديوس، قائد جيش الشمال!»[2]، انطلق صوت ليدي كاكا فجأة فأذهلهما. عندئذٍ، وكأن صوت الببغاء قد أبطل السحر، تحرّكا إلى الداخل. ثمّ التقط جو

---

(1) Merry-go-round: مجموعة من الأحصنة البلاستيكية المثبتة على دائرة، يركب عليها الأطفال وتدور بهم.

(2) عبارة اشتُهرت في فيلم Gladiator.

هاتفه، وإذا بكلّ ما كان يحدث في اللحظات الماضية قد ذهب أدراج الرياح.

وبعد مرور ساعة من الوقت، كان جو جالساً في المكان عينه إلى الطاولة، والهاتف إلى أذنه، وأمامه شاشة الحاسوب اللامعة، وكأنّما تلك النزهة على شاطئ البحر حدثت لشخص مختلف وفي عالم مختلف. إلّا أن نظراته إليها عندما همّت بالذهاب إلى النوم، وفمه المفتوح وكأنه كان يريد أن يقول شيئاً قبل أن يدخل إلى غرفته، جعلاها تفكّر أن أمراً ما قد تغيّر.

إنه عيد ميلاد ليدي كاكا اليوم - تذكّر يا غافن أن توصي كلارا أن تعطيها من نوع الطعام الخاص الذي نعطيها إياه كمكافأة في المناسبات السعيدة. أظنّ أنها لا تحبّ أن يكون عيد ميلادها قريباً من عيد الميلاد، ولذا أفكّر في نقله ليكون في شهر يونيو كما عيد ميلاد الملكة. أظن أنها ستؤيّد الفكرة.

فرحت لأنك تستقبل عدداً أكبر من الزبائن. عندما تتأخر كثيراً في الإجابة على رسائلي أعلم أنك مغمور بالعمل حتى أذنيك، أو أنك تتعذّب في التفتيش عن الكلمات. هل لديك عدد كافٍ من الأحرف اللّينة؟ ليس سهلاً ألا يكون لديك الكثير منها. أملك دائماً عدداً كبيراً من حرف «U» ولكن ماذا يمكنك أن تفعل حقّاً بهذا الحرف؟

تمرّ على البلاد هنا موجة من الطقس الحارّ - يبدو أن الهواء الساخن يأتي من الصحراء. لا يمكن أن تشعر بالعيد في مثل هذا الجوّ المشمس جدّاً. كيف يمكنك بكل بساطة أن تستعدّ للاحتفال بعيد الميلاد وأنت تأخذ حمّاماً شمسيّاً تحت سماء زرقاء صافية؟ ومع ذلك، يجب على مَن يمضي أيامه مسترخياً في لباس البحر ألّا يكون متطلّباً. مرّ بي المدير منذ

قليل ليسألني إن كنت سأجدّد الإيجار شهراً إضافيّاً. إنه رجل مرح، طوله حوالي ثلاثة أقدام ولحيته ضخمة. لو عاد المنتجون إلى إنتاج أفلام «هوبيت» (Hobbit)[1] لكان مناسباً جدّاً لها. أرجو أن ترسل لي صوراً للغابة والحقول المحيطة بالقرية. تعلم كم أحبّ المشهد عندما يكتسي كلّ شيء بالثلج الأبيض.

---

(1) فيلم خرافي جدّاً عُرض على ثلاث مراحل، من إخراج بيتر جاكسون.

الفصل التاسع والعشرون

كان جو قد فكّر في العودة إلى لندن مساء الأحد لكي يكون في مكتبه باكراً صباح الاثنين؛ فقد وصلت الصفقة إلى مرحلة الإبرام، والعقود تنتظر التوقيع. إنه نهار فائق الأهمية بالنسبة إليه وإلى أعضاء فريقه، ولكنّه لم يتمكّن من ترك كلارا مساء الأحد بعد عودتهما من النزهة وفضّل البقاء قريباً منها. كانت سوفوك لا تزال نائمة وظلام الليل يُعاند بزوغ الفجر عندما استيقظ صباح الاثنين وقاد سيارته إلى لندن.

والآن، وقد أبرمت الصفقة ووقّعت العقود. وقف رؤساؤه ينتظرون في المكتب الخارجي من أجل مصافحة أفراد الفريق الآخر قبل مغادرتهم المبنى. كان جو يراقبهم فيما التقوا أمام المصعد. شاهد آندرو يربّت على ظهر أحدهم، وكارين تبدو وكأنها ربحت اليانصيب. ولعلّها ربحته بالفعل. كان يجب أن يكون هو أيضاً في غاية السعادة: لقد أنجز مع فريقه صفقة بمليارات الدولارات للشركة؛ وقد عملوا لأجل هذا الإنجاز طيلة أشهر. كان من الطبيعي

والمألوف أن يصطحب كلّ أعضاء الفريق إلى عشاء فاخر، وبعد ذلك إلى مكان للسهر للاحتفال واحتساء الشمبانيا.

عاد جو إلى المكتب وكان الجميع قد بدأوا بتناول المشروبات وسرعان ما أحضروا زجاجة إلى أمامه وهم يمرحون ويتمازحون. ولكنه لم يستمع حتى إلى ما كانوا يقولونه، بل التقط سترته وخرج مباشرة إلى مرأب السيارات تحت المبنى. ولم تمضِ دقائق حتى كان في سيارته متوجّهاً إلى خارج المدينة، غير مهتمٍّ سوى بما ينتظره في سوفوك.

وصل ليجد الشقة خالية، وكلّ شيء نظيف ومرتّب: طاولة الطعام الكبيرة نظيفة ولمّاعة وفي وسطها إناء مليء بالأزهار الجديدة؛ الأغطية مطوية وموضوعة على ظهر الأريكة والكنبة. شعر بالهدوء من مجرّد النظر حوله. كان الهرّ رودي مصدر الفوضى الوحيد في المشهد إذ بدا وكأنه كتلة كبيرة من الوبر البرتقالي على البساط أمام الموقد المشتعل الذي ملأ أجواء الغرفة بالدفء.

وعندما فتح باب الشقّة لينظر من أعلى الدرج إلى ما يجري في الطابق السفلي، تناهَت غمامة من الأصوات إلى أذنيه، ورأى من خلال زجاج الباب الجانبي غير الشفاف ما يوحي بأن المتجر يعجّ بالزبائن، فعاد للتوّ ليبدّل ثيابه ويهبط لتقديم المساعدة، وكان فضوله لاكتشاف عرض الواجهة الجديد يزيده حماسةً. كانت كلارا بعد عودتهما من النزهة يوم الأحد قد صرفت بقية نهارها في المتجر ولم تسمح له بالدخول معلنةً أن عليه الانتظار ليرى العرض في أوانه مثل الآخرين. نظر إلى نفسه في المرآة وفكّر في حماسته الشديدة لمشاهدة عرض الواجهة، فضحك كالأبله وتساءل: إلى أين تراني ذاهباً بعد؟

كانت وراء الصندوق تتكلم إلى امرأة شعرها أجعد عندما دخل

إلى المتجر. ولم يتمكّن من مقاومة ميله لاختلاس النظر إلى العرض الجديد للتوّ. لا شكّ أنها أمضت ساعات طويلة في تحضيره. إنه مشهد ريفي بامتياز ويبدو أنها استخدمت كمية كبيرة من القماش الأخضر لتوحي بالحقول الواسعة الممتدّة بين أسوار بنيّة من البلاستيك. رأى جو أنواعاً عديدة من حيوانات المزرعة التي ترعى العشب في مربّعات آمنة هنا وهناك. ويبدو أن كلارا نجحت في إيجاد كلّ أنواعها، فهناك الخنازير والبقر والأحصنة والدجاج والغنم موزّعين في مجموعات. وهناك أيضاً المزارع والمرأة التي تحلب البقرة، والشاحنة الحمراء اللمّاعة والجرّافة التي لا يكتمل المشهد من دونها. إنه الرّيف الإنجليزي، ولمحة بديعة من يوم صيفي في المزرعة. وأحسّ جو أنه يكاد يسمع قباع الخنازير وصياح الديكة وصهيل الأحصنة من بعيد.

«أرجو أن تعذرني لأني فتحت أبواب المتجر يوم الاثنين ولكن الحركة جيّدة»، قالت بقصد الثرثرة.

«هل أعجبك؟»، سألته، وهي تقف قريبة منه وتعضّ على شفتها وكأن حكمه سيغيّر في أيّ شيء.

أعجبه جدّاً، وكان عليه أن يقول لها ذلك في تلك اللحظة. هنالك في العرض ما حرّك مشاعره وذكّره بطفولته وبأمّه عندما كانت تفترش الأرض في غرفته وتحاول تسريع حركة دواليب الشاحنة البلاستيكية الضخمة لكي يفرح بها. كانت تصرّ على إحضار الألعاب التي كان يحبّها، وعلى أن تلعب معه عندما يكون وحده من غير رفاقه.

«أنا ــــ».

«كلارا!»، نادت امرأة من الجهة الأخرى في المتجر. وكانت كلارا قد مشت نحوها وابتعدت عنه قبل أن يقول شيئاً.

وعاد ليجول بنظره على مشهد المزرعة فالتقت عيناه بعيني أبٍ في الخارج كان يمسك بيد ابنه الذي أشار إلى واجهة المتجر. شعر جو بقرصة الغيرة ذاتها التي كان يشعر بها عندما كان صبيّاً، أي منذ خمس وعشرين سنة، فيما رأى الرجل يبتسم لابنه ويتبعه إلى الداخل. تحرّك جو في اتجاه الصندوق وتعجّب لرؤية ذلك العدد الكبير من الزبائن؛ منهم من خرج من المشغل وبيده كيساً ورقيّاً أسمر وفي داخله اللّعبة الخشبية التي لوّنها طفله. لقد أحدثت كلارا حقّاً حركة إيجابية في المتجر والقرية، ولكنّه تألّم فجأةً عندما تذكّر كم تحبّ أمّه وجود الناس وضجيجهم، وتمنّى لو كانت في المتجر في تلك الساعة لتفرح بكلّ ما يجري؛ وإذا به يشعر بالوحدة على الرغم من كثرة الناس الذين كانوا يتحرّكون حوله ويصطدمون به أحياناً.

«جو، جو، هل تسمح؟»، نادته كلارا من بعيد وأخرجته من دوّامة أفكاره. مسح ذقنه بيده وتمنّى ألّا تكتشف ما كان يدور في رأسه.

«سأدخل بسرعة إلى المشغل لأحضر لعبةً». وأشارت إلى الصندوق. «لن أتأخر أكثر من ثانية أو اثنتين. ربّما عدة ثوانٍ...»، قالت بسرعة، وهي تزيح خصلة من شعرها الأشقر إلى وراء أذنها.

«حسناً، أنا هنا»، قال، وسار نحوها ووقف في مكانها ورفع يده ليستلم من يد طفلة ضاحكة لا يتعدّى طولها ارتفاع المنضدة التي وضع عليها الصندوق، لعبة «باربي في العطلة». «خذي ما شئت من

الوقت»، قال لكلارا. وكان مستعداً لتقديم المزيد من المساعدة، ولديه الكثير ليقوله لها.

«اليوم عيد ميلادي»، أعلنت الطفلة، وتراجعت قليلاً لتدلّه على شارة كبيرة ألصقت على معطفها مع بروز العدد «6» بخطّ مزخرف عليها.

«أوه، عيد ميلاد سعيد»، أجابها جو بابتسامة تلقائية تعكس ابتسامتها الضاحكة وتعابير السعادة على ملامحها الطفولية.

مدّت والدتها إحدى يديها لتدفع ثمن اللعبة، وأرست اليد الأخرى على رأس ابنتها قائلةً: «سوف نعود الآن إلى البيت لنصنع قالب الحلوى على شكل سفينة فضائية».

«مشروع كبير!»، قال جو، وأعاد للمرأة الصرافة المتبقية وقال: «كانت أمي تصنع لي قوالب الحلوى بأشكال متنوعة. صنعت لي مرّة سفينة قراصنة مع لوح خشبي لرمي المخالفين في البحر وكل ما كان يلزم».

لم يعلم من أين جاء بكلّ ذلك، وشعر بالفرح لرؤية تعابير المفاجأة على وجه الطفلة البريء. قوالب الحلوى، وأعياد الميلاد لفتيات في السادسة - لم يكن هذا عالم جو؛ فقد تعوّد في مكان عمله على أن يكون محاطاً بعدد كبير من الرجال الآخرين في بدلاتهم الرسمية، حيث المزاح قد يصل إلى حدّ التنمّر. ثمّ شعر بارتجافة تخترق جسده عندما تصوّر تعليقات أفراد فريقه لو وجدوه محاطاً بالأطفال، وبألعاب الصغار الطرية وباربي والبالونات. انتصب في وقوفه وشعر بالأعين تنظر إليه واستدار في اللحظة المناسبة ليرى ظهر كلارا. تُرى هل سمعت الحديث الذي دار منذ لحظات؟

بقي في المتجر طيلة فترة بعد الظهر يساعد كلارا وراء الصندوق، ويذهب إلى إحضار بعض الألعاب من المشغل متعجّباً من كثرة الناس الذين يدخلون لإلقاء التحية على كلارا، وخطر في باله أن كلارا اكتسبت خلال الأسابيع القليلة التي أمضتها هنا عدداً من الأصدقاء يفوق عدد الأصدقاء الذين اكتسبهم طيلة العدد نفسه من الأعوام. بدأ جو يفهم في تلك اللحظة بالذات قول أمّه بأن مجتمع القرية يتميّز بالألفة بين الناس. الكلّ يتكلّم إليك بطريقة طبيعية حتى ولو كنت غريباً. لو تكلّم أحدهم إلى جو بتلك الطريقة لظنّ أنه يهدف من وراء ذلك إلى طلب المال.

مرّ الوقت بسرعة وتعوّدت أذناه على سماع الأصوات العالية وصيحات الحماسة؛ ثمّ بقي إلى ما بعد ساعة الإغلاق لكي يساعد كلارا في أمور أخرى: إغلاق الستائر، تنظيف الأرض، إقفال الباب وراء الزبون الأخير. لم يفكّر في أيّ شيء يمتّ إلى عمله بصلة، ولم يسأل نفسه هل افتقد زملاؤه في الفريق وجوده معهم، بل كلّ ما كان يهمّه في ذلك الوقت كان البقاء في المتجر إلى جانب كلارا.

«حسناً»، قال، وقد بدأت جيوش الظلمة تقتحم فضاء المتجر فشعر فجأةً بالإحراج لوجودهما معاً بمفردهما. وعندما همّ ليقول شيئاً حول عرض الواجهة وحول المتجر، لاحظ انشغال كلارا بفتح الصندوق وعدّ النقود بعد أن فصلت العملة الورقية عن المعدنية، وكان شعرها ينسدل إلى الأمام كلّما أحنت رأسها. تذكّر جو والدته عندما كانت تجلس في المكان نفسه وخصلات شعرها الأجعد تتراقص حول وجهها كلّما قفزت واقفة من وراء الصندوق لكي تعرض على أحد الزبائن لعبةً جديدة، وتذكّر نفسه جالساً على كرسيّ قريب يراقب بهدوء وينتظر متى تصل عقارب الساعة إلى الخامسة.

ثمّ يجمعان غلّة الصندوق معاً، ويتأمل جو أمّه بإعجاب وهي تجمع النقود المعدنية في أكياس صغيرة شفافة والورقية في المحفظة، ويضع الاثنان بعد ذلك كلّ شيء داخل حقيبة ظهره، ويسيرا معاً نحو فرع البنك في الشارع العريض، ويودِعا غلّة ذلك النهار في الحساب.

«أفكّر في تحضير وجبة العشاء بنفسي الليلة»، قال جو، وتنحنح قليلاً لكي تسمعه كلارا عبر فضاء الغرفة.

رفعت كلارا نظرها إليه فلاحظ ظلالاً بنفسجية تحت عينيها لا يعتقد أنها كانت موجودة منذ يومين. وأجابت: «هل أنت متأكد؟ لا مانع لديّ».

«متأكد جدّاً»، قال. كان عليه أن يشكرها من أجل كلّ تلك الأطباق التي أعدّتها وقدّمتها له. الفرصة أمامه الليلة ليبادلها؛ ومن حيث أنه لا يحسن الكلام بقدر ما يحسن التطبيق، فسيُريها هذا المساء ما يستطيع فعله.

«لن أتأخر»، قال بصوت مرتفع، وخشخش بمفاتيح السيارة معلناً خروجه.

«عظيم»، وحاولت قصارى جهدها أن تخفي دهشتها.

لاحظ أنها كانت تراقبه عبر زجاج الباب فيما كان يدخل إلى السيارة وإذا بيده ترتفع تلقائيّاً في إيماءة خجولة. هزّت رأسها وأحسّت بصعود الدم إلى خدّيها قبل أن تخفض رأسها من جديد لتتابع عملها.

وبعد مضي نصف ساعة كان في إحدى المخازن الكبرى حيث أمضى وقتاً طويلاً قبل أن يقرّر أخيراً شراء شريحتين كبيرتين جدّاً من لحم العجل الطري، وكيساً من البطاطا الجاهزة للقلي وكيساً من

البازيلا السكرية. كان على وشك التوجّه إلى الصندوق عندما تذكّر أن كلارا تميل عادة إلى تناول الحلوى في نهاية الوجبة. وعندما وقف قبالة برّاد الحلويات تعجّب لكثرة الأنواع المعروضة. تُرى ماذا تفضّل؟ ومرّت في باله أنواع الحلوى التي تقدّمها عادة وحامت يده فوق فطيرة التفاح. إنه صنف غير معقّد، قال في نفسه. ثمّ وقع نظره على كاتو كبير بالشكولاتة الداكنة مكسو بطبقة كثيفة بيضاء من مزيج السكر الناعم مع الزبدة. وقف في مكانه متردّداً خلال لحظات إلى أن مرّت من أمامه امرأة مسنّة وكادت تصطدم به. ثمّ قرّر شراء النوعين ولا بدّ من أن تحبّ أحدهما. عضّ على شفته وتعجّب أن أمراً بسيطاً مثل اختيار طبق الحلوى قد سبّب له دوراناً في الرأس! وإذا به، وبحركة لاشعورية يمدّ يده إلى جيب سترته الداخلية ليلتقط حبّة الدواء المسكّن، ولكن يده ما لبثت أن توقّفت في منتصف الطريق.

غالباً ما يظلّ مطبخ جو في لندن خالياً من أيّ طعام. لأنه، وفي الأيام النادرة التي يعود فيها إلى شقّته قبل موعد العشاء، يلجأ إلى طلب وجبة جاهزة. لم يكن متأكّداً إن كان هناك في برّاده شيء البتّة سوى بضع زجاجات بيرة وشمبانيا. ولكنّه تعوّد الطبخ في السابق - علّمته أمّه فنّ الطبخ وكان لا يزال يافعاً- وها هو الآن يتحرّك في المطبخ بفرح وهو يدندن لحناً؛ يقطّع شيئاً هنا، ويتفحّص شيئاً آخر هناك.

وضع شريحتَي اللحم في الفرن لكي يسخن داخلها قبل أن يرفعها إلى المقلاة قبل موعد الأكل بلحظات، فتكون النتيجة ممتازة. لم تزل كلارا في الحمّام وكانت قد دخلت إليه منذ ساعة مع

كتاب تحت إبطها، ومنشفة ملفوفة في إحدى يديها وعلبة كبريت في الأخرى.

انتظر خمس دقائق إضافية وبدأ القلق يساوره. لم يسمع صوتاً منذ دخولها؛ كان التعب بادياً على وجهها في آخر النهار، فهل غلبها النعاس وغرقت في مياه المغطس؟ وقف أمام الباب وأصدر سعالاً عالياً، ولكنّه لم يسمع أي ردّ في المقابل. تراجع إلى الوراء وأقنع نفسه أنها بخير، وكل ما في الأمر أنها مستمتعة بالحمّام. وأنصت ثانيةً: لا خبطة في الماء، ولا حفيف صفحات كتاب. وإذا به ينادي فجأةً: «العشاء جاهز في غضون عشر دقائق!».

سمع عند ذلك خبطة في الماء، وصوتها مجيباً: «لطيف جدّاً. شكراً».

قفز جو مبهوتاً فقد بدا الصوت قريباً جدّاً، وكأنه آتٍ من وراء الباب. ابتعد للتوّ متوجّهاً إلى مقلاته وأجاب: «ممتاز، ممتاز».

«خذني إلى السرير أو تخسرني إلى الأبد»(1).

«ماذا؟»، سألت كلارا عبر الباب.

أحسّ جو وكأن أحداً طعنه في صدره، وصوّب إلى ليدي كاكا نظرات غاضبة.

«لا شيء. . .، إنها الببغاء»، وقد رفع إصبعه إلى القفص مهدّداً.

وقفت ليدي كاكا على رجل واحدة وقفزت إلى الوراء قائلةً: «لا يمكنك مواجهة الحقيقة».

ساوره القلق من أن تخرج كلارا وتراه غير منشغل بشيء، بل

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Top Gun.

واقفاً كالعمود في انتظارها، فتحرّك إلى الجهة المقابلة وأخذ المكنسة الكهربائية من الخزانة. كانت كلارا قد نظّفت ورتّبت الشقة، ولكن من الأفضل أن يكون كلّ شيء لمّاعاً ومن غير أدنى شائبة. كانت المكنسة من الطراز القديم وهي ذاتها التي كان يكنس فيها الأرض حول قدمي أمّه عندما كان صغيراً. وصل المكنسة إلى المقبس الكهربائي وكبس زرّ التشغيل، ومرّ بها فوق السجادة حتى لامس جسد رودي الذي قابله بنظرة عدائية ولكنه اكتفى بأن تدحرج إلى جهته الأخرى ونام من جديد. شعر جو بأنه تعرّق قليلاً عندما انتهى، ورأى كلارا في المطبخ وقد عقصت شعرها وجمعته على شكل قرص عند أعلى رأسها، وارتدت كنزة سميكة وجوارب صوفية فوق سروالها الضيّق.

«ممتاز، ها إنك جاهزة»، قال، ومشى من أمامها إلى الفرن، قبل أن يشير إليها بالجلوس إلى الطاولة التي كان قد رتّبها لشخصين.

نظرت كلارا إلى الطاولة ورفعت حاجبيها إعجاباً، وقالت: «ها قد أشعلتَ الشموع!»، وباشرت بحركة من يديها وكأنها أرادت التصفيق.

ارتبك جو واحمرّ وجهه، ولكنه اطمأن عندما انحنى ليُخرج شرائح اللحم من الفرن الذي ستساهم في احمرار وجهه على كلّ حال. «أعلم أنك مهووسة بالشموع»، تمتم، وكانت مشاعره خليطاً حائراً بين الإحراج والسعادة.

«كانت هيلو كافية»[1]؛ انطلقت ليدي كاكا.

قدّم جو شرائح اللحم وكان فخوراً بشكلها الخارجي إذ بدت وكأنها شويت على الفحم، كما كان متأكّداً من طراوتها.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Jerry Maguire.

«لذيذة»، قالت كلارا ووضعت يداً على فمها فيما كانت تمضغ، وتابعت: «كما يجب أن تكون تماماً».

شعر جو بجسده يسترخي أخيراً وبموجة من الفرح تخترق كيانه. ثمّ مدّ يده إلى كأس النبيذ الأحمر، وتلذّذ بطعم اللحم الذي وجده أفضل هذه المرّة لأنه حضّره بنفسه. وإذا بمشاعر السلام تلفّه لأوّل مرّة منذ زمن طويل.

منذ نزهة الأحد البحرية لم يعُد جو يشعر أنه بحاجة لأن يتواصل بكلمات عابرة وغير ذات معنى حقيقي مع كلارا؛ وها هما الآن يستمتعان بصفير الريح، وجلبة الشتاء في الخارج فيما جلسا معاً بدفءٍ وطمأنينة على ضوء الشموع. وكان ضوء الشموع الناعس يضيف إلى بشرتها نوراً ونعومة فأحسّ أنه يريد الاقتراب منها ولمسها. ثمّ وجد نفسه، وللحظات أحسّها طويلة، عاجزاً عن رفع عينيه عن يدها التي كانت ترتاح على الطاولة إلى جانب الصحن.

ماذا حدث له؟ لم يفكّر بالعمل طيلة السهرة، ولعلّ الأمر الأكثر غرابة أنه لا يشعر بالخوف عندما تمرّ أفكار لها صلة بالعمل في ذهنه، ولا يحسّ بضيق في صدره، ولا بتلك العجلة المجنونة لمعرفة المستجدّات. لا بدّ أن البحث جارٍ من جديد عن صفقة جديدة. مشروع دمجٍ جديد في الانتظار. قد تكون أسعار الأسهم على ارتفاع أو انخفاض؛ وقد تكون هناك صفقات جديدة أو لا تكون. لا يريد في هذه الليلة بالذات أن يشغله شيء من كلّ ذلك البتّة.

ضحكت كلارا عندما وضع على الطاولة نوعين من الحلويات، واختارت قطعة من فطيرة التفاح.

«خطرت لي فكرة»، قال جو، وقام عن كرسيّه وجرّه إلى وسط الغرفة وصعد على الكرسي وضغط على باب خفيّ في السقف فانفتح

وأخرج سلّماً كان مطوياً في داخله. «معلومات محليّة خاصّة»، قال ضاحكاً، واستدار يسألها: «هل تريدين الاستكشاف؟».

هزّت كلارا رأسها إيجاباً، ووقفت ومدّت يدها لتأخذ كأس النبيذ عن الطاولة.

«انتظري، سأصعد أوّلاً وستعطيني هذه الأشياء». ودار في الشقّة يجمع ما يستطيع من الأغطية الدافئة على اختلاف أحجامها وأشكالها ثمّ عاد وتسلّق السلّم، وما إن وصل إلى السطح حتى شعر بقرصة الهواء البارد، فأسرع إلى ترتيب الأغطية على الأرض. ثمّ استدار وشاهد كلارا تظهر على السلم وسط الفتحة. كانت قد حملت معها زجاجة النبيذ فأعطته إياها على الفور، وخرجت إلى السطح ثمّ مدّت يديها إلى جيبي سترتها وأخرجت منها عدداً من الشموع الصغيرة وباشرت بإضاءتها.

«إنّك مثل الكشّافة»، قال لها مقهقهاً، فنظرت إليه بارتباك ولم تفهم قصده.

جلسا جنباً إلى جنب يتدثّران بالأغطية وسبحت أنظارهما عبر السماء الليلية. وباستثناء بعض الغيوم غير الكثيفة، كانت سماء منتصف الليل الكحلية ملأى بالنجوم التي أحاطت بهما من كلّ جانب. كان السكون مخيّماً على الشارع العريض، وعدد قليل من النوافذ المضيئة، وبعض المداخن التي ما انفكّت تنفث دخان المواقد فتتهادى رائحة احتراق الحطب في الهواء. أما نيران الشموع فكانت تتراقص حولهما فتحدّد محيط دائرتهما الخاصّة بعيداً عن كلّ شيء آخر.

«الجوّ جميل»، تمتمت كلارا، وخرجت الكلمات من أعماقها. شاركها جو الإحساس نفسه؛ وكان من الصعب عليه أن يفكّر في ما

يفعله في الأحوال الطبيعية في مثل هذا الوقت. لم يكترث لأنه لم يحمل الهاتف معه إلى السطح، وشعر فجأةً أنه لا يهتمّ حتى لو لم تقع عيناه على ذلك الهاتف كلّياً بعد اليوم. شرب جرعة من زجاجة النبيذ، وقال: «أشعر وكأني في الرابعة عشرة من جديد. كنت أتسلّل مع رفاقي إلى هنا لنشرب وندخّن. وكنّا نظنّ أنّ أحداً لا يعلم بأمرنا إلى أن وضعت لنا أمي صحوناً لنفض رماد السجائر، فأدركنا إذ ذاك أنها كانت على معرفة بما يجري منذ البداية».

«أمّك ذكية»، قالت كلارا مبتسمة، وشعرت بوخزة الألم المألوفة والتي أسرعت إلى إخفائها كي لا تعكّر الجوّ.

هزّ جو رأسه، وقال: «هي كذلك بالفعل»، وتخيّلها في مكان ما في أوروبا. وشعر وللمرّة الأولى منذ غيابها أنه بحاجة ماسّة إلى رؤيتها، وإلى ضمّها إليه، ولكي يتمنّى لها رحلة سعيدة. لمَ لم يفعل هذه الأمور من قبل؟ لمَ ترك كلّ ذلك مخفياً في داخله كلّ هذا الوقت؟

«كانت أمي ذكية أيضاً»، همست كلارا بهدوء. «كان يجب أن أطلعها على أمورٍ كثيرة أخرى»، أضافت، وهي تعضّ على شفتها ثمّ عادت لتنظر إلى السماء من جديد.

نظر جو إلى يديه، وتخيّل كيف كان سيشعر لو كان في مكان كلارا. «لا شكّ أنها كانت تعرف ما يدور في داخلك»، قال، ووضع يده فوق يدها.

نظرت كلارا إلى يده طويلاً، وشعر جو بأنّ كلّ شيء حوله توقّف في تلك اللحظات. وأحسّ وكأن تياراً كهربائيّاً سرى من يدها إلى ذراعه، وشعر بحرارة جسدها الذي لا يبعد عن جسده سوى

سنتيمترات. ثم أدار رأسه نحوها فوجدها ناظرةً إليه بتعبيرٍ جعله يضمّ وجهها براحتيه ويشدّها ببطء نحوه.

وغاب كلّ شيء من حولهما عندما التقت شفاههما في القبلة الأولى. لم يعد هنالك قرصة برد في الهواء، ولا صوت قادم من الشارع العريض، ولا ريح تهبّ. لم يشعرا في تلك اللحظات سوى بوجودهما، وبشفاههما معاً، وبأنفاسها فوق وجهه.

«أعزائي!»، جاء صوت من مكانٍ ما، صوت مرتفع ومألوف. أغلق جو عينيه بقوّة ولكن القبلة تلاشت.

ابتعد عن كلارا. كان قد تخيّلها؛ وكانا يتحدّثان عنها، وكأنه دعاها لتأتي بصورة أو بأخرى. ولكن لم تكن هذه هي الساعة المناسبة بالتأكيد. بقيت شفتا كلارا مغلقتين بشدّة وأحمر الشفاه الزهري الناعم قد اختفى عنهما جزئيّاً. وبدا التعبير على وجهها متناغماً مع ارتباكه وابتعدت إلى الوراء. ونظر الاثنان في اتجاه فتحة السطح.

ظهر وجه لويزا فجأةً عند أعلى السلّم. «مفاجأة!»، قالت بصوت عالٍ وخرجت إلى السطح. «أوه»، قالت فيما نظرت إلى الأغطية والشموع؛ «هل قاطعتكما عن شيء؟».

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثلاثون

لم تعطِ لويزا إلى أي منهما وقتاً لإبداء ردّ فعله. شعرت كلارا أنها ضُبطت على السطح وهي تقبّل شفتي ابن صاحبة البيت وأنها تكاد تموت من شدّة الإحراج. طارت بنظرها إلى ما بعد السطح لترى إن كانت تتمكّن من القفز. المكان مرتفع، ولكن كسراً في الرجل ليس ثمناً باهظاً مقابل الهروب من هذا الموقف السخيف.

كان جو قد قفز إلى الوراء وكأنه اكتشف فجأة وجود سمٍّ على شفتيها. ثمّ مشّط شعره بأصابع يده فيما راقب الاثنان لويزا تخرج إلى السطح وترفع ذراعيها عالياً إلى النجوم لتصرخ: «يا له من سحر، يا للروعة!»، كانت شفتاه تتحرّكان من غير أصوات. بدا له أن المشهد كلّه من نسج الخيال؛ وكأن الدقائق الأخيرة لم تحدث بالفعل، وانمحى ذكرى القبلة فجأة تحت صعقة هذا الوصول.

«كلارا، إنك ماهرة»، قالت لويزا.

«إنها فكرة جو»، تمتمت كلارا.

لم يبدُ أنّ لويزا سمعت جواب كلارا، بل نادتهما للجلوس معها

على الأغطية بين الشموع، وجلست وكأن المكان كان معدّاً لها. «هذا جميل، تعالا إلى هنا. وأنت - يا حبيبي». وأشارت إلى جو الذي ما زال تعبير المفاجأة عالقاً على وجهه ليقترب منها. كلارا، قمتِ بعمل رائع يا عزيزتي! أرى وكأن الشقّة باتت صالحة لتظهر في صور دعائية للشاليهات الشتوية الاسكندينافية الأنيقة.

«كلارا من الدنمارك»، قال جو بصوت خافت فيما جلس إلى جانب لويزا. أما كلارا فلم تجرؤ على النظر إليه.

«لم يكن لديّ أدنى فكرة وإنما أخبرني غافن ذلك بالتأكيد. وها إنك وجدتِ كلّ تلك الأغطية الجميلة! أعشق منظر الشموع في الآنية الزجاجية. شعرت باسترخاء فوري ما إن دخلت إلى الشقة وكأني ذبت في بركة من الأضواء الناعمة. كانت الرحلة مخيفة والجوّ شديد البرودة، ولكني نسيت كلّ شيء للتوّ وشعرت أني أريد اللجوء إلى حضن تلك الأريكة الدافئ. إنك ماهرة. . .، أخبريني كلّ شيء. واضحٌ أنك قمت بما يشبه المعجزات. . .».

لم تتوقّف لويزا عن طرح الأسئلة سوى لتلتقط أنفاسها، أما كلارا فلم تكُن قادرة على التركيز من أجل الإجابة. لم تكن مسائل العرض والمشغل واضحة في ذهنها في تلك اللحظات؛ كل ما فكّرت به كان جو الذي كان قد غرق في صمت كلّي.

ومن غير أن تتمكّن من الإجابة عن فيض الأسئلة، وقفت كلارا فجأةً ومشت إلى الوراء بخطى متعثرة، وشكرت الظلمة لأنها غطّت تعابير وجه جو، وخفّفت عنها بالتالي مزيداً من المشاعر المحرجة. «سأذهب الآن لأوضّب أغراضي، إني أنام في غرفتك يا لويزا وسأنتقل في الحال إلى الحانة. . .».

أرادت لويزا الاعتراض على كلام كلارا، ولكن شيئاً سرعان ما شتّت انتباهها. «انظر يا جو، نجوم الدبّ الأكبر شديدة اللمعان الليلة. أتذكر أني كنت أدلّك على نجوم «حزام الجبّار»[1] عندما كنّا نصعد إلى السطح. كم جميل أن أراك هنا، وتبدو في غاية الوسامة. أحبّ هذه الكنزة التي ترتديها. يشدّني صوف الكشمير لأحتضنك ولأتمسّك بك إلى الأبد. لن أفعل ذلك بالطبع، فإنك تكره هذه الأمور. . .».

بقي جو شبيهاً بالأخرس، لا يردّ سوى بكلمة واحدة بين الفينة والأخرى. أما كلارا فوصلت إلى السلّم وباشرت في الانحدار.

«انتظري!»، تعالى صوت جو. «أمي، هل نوقف. . . كلارا، انتظري. . .».

لم تترك كلارا لهما الوقت الكافي لكي يثنيانها عن الذهاب، بل ركضت إلى غرفة النوم وجمعت كلّ ما يخصّها في حقيبة الظهر وخرجت قائلةً: «لا بأس، لا شكّ أن لديكما الكثير من الأحاديث، وسأكون مرتاحة في الحانة. غافن يرحّب بي دائماً. . .».

«أوه غاف»، قالت لويزا، وكادت تقع عن الدرجة الأخيرة من السلّم لو لم تستعِن بجو في اللحظة الأخيرة. «إنّه رائع! هل تضمّيه بحرارة عنّي وتقولي له إني سأراه غداً؟ أشتاق إليه كثيراً».

هزّت كلارا رأسها، وشدّت حبل حقيبتها، وجرّت المعطف وراءها وكانت قد أدخلت إحدى ذراعيها في الكمّ، ومشت من أمام المطبخ.

---

(1) Orion's Belt: نظام نجمي شديد الضياء يبعد عن الأرض مسافة 1340 سنة ضوئية.

راقبها جو من مكانه قرب أسفل السلّم من غير أن يقوم بأي حركة، وكأنه كان قد تحوّل إلى تمثال من جليد.

«سأكون في الحانة إذاً»، قالت كلارا بصوت مسموع وشديد الودّ.

غير أنّ ليدي كاكا اختارت تلك اللحظة بالذات لكي تتلو كلّ الجمل التي حفظتها من الأفلام: «هاستا لا فيستا بايبي، أرني النقود، هاكونا ماتاتا، البلهاء...».

لم تكترث لويزا للببغاء، بل شدّت جو في اتجاه الأريكة، وأمطرته بوابل من الأسئلة من غير توقّف. وقفت كلارا برهة في المدخل وأنظار جو عليها قبل أن تتابع طريقها إلى الدرج، وأحسّت وكأن حجراً كبيراً سقط إلى معدتها، وازداد ثقلاً عندما تلاشت أصواتهما بعيداً عن أذنيها بعد أن فتحت الباب الخارجي وأغلقته وراءها وسارت في الشارع العريض.

وصلت إلى الحانة وكانت مرهقة وتشعر بألم في ساقيها. تأملت في منظر الحانة الخارجي الذي باتت تعرفه جيّداً، وتذكّرت كيف كان عندما وصلت إلى القرية وكيف أصبح الآن. تأمّلت في الستائر الحمراء المخملية التي باتت تغطي زجاج النوافذ، وفي أغصان العسلوج بوريقاتها الخضراء وأزرارها الحمراء الخاصّة بزينة الميلاد إضافةً إلى الإكليل الأخضر المزيّن بالشرائط الحمر والمعلّق خارج الباب. كانت ألسنة النار تتراقص في الموقد وطالعتها بلفحٍ من الدفء ما إن وضعت قدمها في الداخل.

شعرت وكأنها تعيش من جديد ليلة وصولها إلى القرية منذ بضعة أسابيع، عندما دخلت إلى هنا لاهثةً وهي تحمل حقيبتها الثقيلة. كان كلايف بقمّة رأسه الصلعاء جالساً إلى الطاولة ذاتها إلى اليسار،

ومنكبّاً على احتساء كوب البيرة عينه. وها هي روز تجلس على الكرسي عينه وتضرب بأظافرها الطويلة الداكنة على كأسها، متفحّصةً كلّ زائر وزائرة بنظراتها الفضولية وشفاهها المضمّخة بالطلاء الأحمر كالعادة.

اقتربت كلارا من المشرب وارتاحت إلى رؤية غافن ينظر إليها نظرة تساؤل.

«هل أستطيع البقاء هنا؟»، سألته في الحال، وكانت على وشك أن ترمي حقيبتها أرضاً وتفضي إليه بكلّ شيء.

نظر إليها غافن بعينين واسعتين، مستفهماً: «هنا؟ ولكن لمَ لستِ في الشقة؟ هل تخاصمتِ مع جو؟».

«كلا، إني...»، ولم تتمكّن من الشرح؛ ومن أين تبدأ على كلّ حال؟ وشعرت بالحزن فجأةً عندما خطر في بالها أن ليلتها قد انتهت هنا، وأن مغامرتها قد وصلت إلى نهايتها في المكان عينه حيث بدأت. أحسّت بوهنٍ في أعضاء جسمها، وعاجلت إلى السؤال مجدّداً: «هل أستطيع استئجار الغرفة؟».

عضّ غافن على شفته، وأدار عينيه في محجرَيهما وكأنه أصيب بنوبة من الرّعب فجأةً، وقال: «كلا، الغرفة مأخوذة».

صمتت كلارا، وشعرت بأنّ ذراعيها لا تطيعانها فيما حاولت رفع الحقيبة إلى كتفها. وقرّرت المحاولة ثانيةً مع غافن: «وليس هناك غرفة أخرى؟».

صمت غافن لبرهة، وأدار عينيه إلى أعلى، ومن ثمّ إلى يمينه من غير أن يجرؤ على النظر إلى عينيها، ودمدم: «كلا، أعتذر».

شعرت كلارا بعاصفة من الغضب تهبّ في داخلها. لم تصدّقه

وتذكّرت الغرفة المقفلة في الطابق العلوي. كيف يصدّها بعد كلّ ما فعلت من أجله ومن أجل الحانة...؟ واستدارت نحو الباب غير عابئة بمناداته، ولا بأسئلة روز بشأن جو وبشأن المتجر والشقة، وخرجت من الحانة إلى الشارع العريض مجدّداً.

وعندما اقتربت من المتجر، حاولت جهدها ألّا تنظر إليه، ولكنها عادت والتفتت وراءها بسرعة ولاحظت الإضاءة من خلال النوافذ، فتخيّلت جو وأمه يجلسان بدفء على الأريكة وما زالا يتحدّثان، وتخيّلت لويزا تفتح أبواب المتجر غداً من دونها. أحسّت بالدموع تصعد إلى عينيها، وعاتبت نفسها بهدوء لأنها لم تتوقّع احتمال أن تنتهي القصة يوماً بهذه الطريقة. وراحت تقنع نفسها أنها ليست من هنا، بل مجرّد عابرة طريق. والآن وقد عادت لويزا فمن الطبيعي أن تتابع طريقها.

وقفت أمام بيت لورين بعد دقائق. كانت النوافذ مظلمة إلّا من خيوط ضوء آتية من الغرفة الأمامية، واطمأنت لرؤية خطٍّ من الدخان صاعدٍ من المدخنة. دقّت الباب بتمهّل، وأجلست كتفيها تأهّباً لشرح القصة إلى لورين للتوّ، وتمنّت ألّا يفتح باتريك الباب - فهي بالكاد تعرفه. دعوة إلى وجبة فوندو مرّةً لا تضمن الإقامة ليلة في بيته. انتظرت بضع لحظات ولم يأتِ أحد إلى الباب، فقرّرت أن تدقّ ثانيةً.

«نعم؟»، سمعت صوت لورين يقول بنبرة متردّدة.

«هذا أنا»، همست كلارا عبر الباب المغلق.

«سانتا؟»، سألت لورين.

«أنا كلارا»، قالت كلارا بصوت أعلى بقليل.

تحرّك المفتاح في القفل، وظهرت عين لورين من شقٍّ ضيّقٍ قبل

أن ينفتح الباب وتظهر كلارا لتجيب فوراً عن علامات التعجّب والسؤال: «أوه، كلارا، ماذا تفعلين هنا؟»، قالت لورين وكانت تحمل زجاجة طلاء الأظافر وقد انتهت من طلاء أظافر إحدى يديها وبقيت الثانية.

«هل يمكنني البقاء هنا الليلة؟»، سألت كلارا وأصابعها تكاد تتجلّد من البرد وشعرها قد نفخه الهواء إلى جهة واحدة من رأسها.

«بالطبع، بالطبع، ولكن ماذا حدث؟»، وأشارت إليها بالدخول ولاحظت حقيبة الظهر الضخمة من غير أن تقول شيئاً. «باتريك خارج البيت، وإني أشاهد فيلماً مرعباً. يبدو أن الكلب قد مات الآن، وها أنتِ في المزاج المناسب لتتابعي الفيلم معي».

تحرّكت لورين بسرعة وأحضرت كأساً فارغاً من المطبخ، ونفضت المساند لتنتفخ بالهواء من جديد، وأزاحت المجلات عن الأريكة ودعت كلارا للجلوس. ثمّ ملأت كأس كلارا بالنبيذ من غير أن تسألها، وارتاحت هذه الأخيرة في جلوسها وأسندت رأسها إلى المساند.

عادت لورين لتتابع طلاء أظافرها وانتظرت ريثما بلعت كلارا قليلاً من مشروبها وأعادت الكأس إلى الطاولة لتنظر إليها والقلق ظاهر على وجهها، وتقول: «ماذا حدث؟ هل أنت بخير؟».

بدت لورين شديدة القلق وشعرت كلارا بالذنب جرّاء ذلك. وأجابت: «ليس الأمر خطيراً؛ إنه...». وصمتت وهي تدير الكأس بين أصابعها. هل يجب أن تخبر لورين بشأن القبلة؟ وبشأن تطوّر العلاقة بينها وبين جو؟ عندما جاءت في المرّة الماضية إلى هنا كانت تكيل له الشتائم، ولكن يبدو ذلك وكأنه حدث منذ زمن طويل مضى.

«ماذا؟»، سألت لورين وهي تملأ لها كأسها.

تنفّست كلارا وقالت: «عادت لويزا من السفر الليلة».

كانت لورين قد فتحت فمها وتأهّبت لخطاب بليغ، ثمّ أغلقته على الفور لتسأل بعد ثوانٍ: «ولكن، أين المشكلة؟».

«تركتُ البيت»، قالت كلارا بقصد التوضيح.

«أوه، فهمت، ولكن هل طردتكِ؟ لا أظنّ أنها قد تفعل ذلك؛ هل قرأت المقالة الأخيرة التي كتبها عنك سام؟ هل شعرت بالغيرة؟».

عقدت كلارا حاجبيها وسألت: «أيّ مقالة؟».

غيّرت لورين طريقة جلوسها على الأريكة، وقالت: «لا شيء مهمّ في الحقيقة، ولكنه بالغ في وصفكِ إلى حدّ ما. قال عنك مثلاً إنك «جوهرة دنماركية نادرة»». أضافت لورين ورفعت حاجبها.

«سام؟»، كان ذهن كلارا شديد الانشغال في مراجعة أحداث تلك الليلة مراراً وتكراراً؛ ولا مكان لسام في كلّ ذلك.

«كنت قلقة عليك في الواقع من أن تقعي في شباك الأخطبوط. أوشكت كلّ منا في هذه القرية أن تقع في شباكه»، قالت كلارا وتنهّدت.

«الأخطبوط؟»، ردّدت كلارا وبدا الارتباك واضحاً عليها.

انحنت لورين نحوها، وقالت: «نلقّبه بهذا الاسم لأنه يستخدم أساليب عديدة ليفوز بغايته».

رفعت كلارا يديها تعلن استسلامها. «أووووه - فهمت».

ضحكت لورين. «لا تقولي إني لم أحذّرك». وأضافت: «زوجته المسكينة-».

قاطعتها كلارا بتعجّب: «هل هو متزوّج؟»، وفكّرت بالأحاديث التي جرت بينهما، وكيف كانت تراه دائماً إمّا بمفرده، أو مع ابنته.

«أوه، بالطبع، ومتزوّج «جدّاً». إنها تعمل ساعات طويلة يوميّاً وفي مكان بعيد أيضاً. لم يأتِ على ذكرها أمامك؟».

هزّت كلارا برأسها نفياً، وقالت: «لا، لم يكن لديّ أدنى فكرة».

«ليس هذا مستغرباً من الأخطبوط»، قالت لورين.

«هل عرض عليك أن يلتقط لكِ صورةً؟ هل قال لكِ مثلاً إنّ لك بشرةً ساحرة؟ ما من شكّ أن بشرتك كذلك، ولكن هل فَعَل؟».

شعرت كلارا بانكماش يُصيبها حتى في أصابع قدميها إزاء أسئلة لورين. وهزّت برأسها مجيبةً: «نعم قال لي إني ملائمة جدّاً للتصوير».

قلبت لورين شفتيها وقالت: «عزيزتي، أعتذر لأني لم أحذّرك منه من قبل. جرّب كل تلك الأساليب مع نصف الأمّهات الشابّات في القرية. قال لصديقتي كريسّيدا إنّ بشرتها مثل قلب الصَّدَفة الطازجة. ورغم هذا الكلام الذي لا معنى له، كادت تنفصل عن زوجها لأجله. لذلك لا تتأثري كثيراً، فلستِ الوحيدة التي صدّقت أقواله».

هزّت كلارا رأسها نفياً وقالت: «لا، لا يتعلّق الأمر بسام قطعاً». ثمّ احتست جرعة من كأسها، وتابعت: «لا شيء سوى أن... الآن وقد عادت لويزا يترتّب عليّ أن أرحل». وقرّرت أنها لم تكن جاهزة بعد لتُخبر لورين عن جو.

«حسناً»، قالت لورين بتباطؤ. تُرى هل شكّت بأنّ كلارا لم تخبرها كلّ شيء؟ ولكنّها لم تقل شيئاً.

«لدى لويزا الكثير لتخبر جو»، قالت كلارا.

«بالطبع»، أجابت لورين وتابعت طلاء أظافرها، فأحسّت كلارا بالدوران جرّاء رائحة الطلاء القويّة التي ملأت أرجاء الغرفة الصغيرة.

«وهكذا، فسوف تدير شؤون المتجر مجدّداً، أمّا أنا فسأ. . .». لم تتمكّن كلارا من إنهاء جملتها، وأحسّت بشفتها السفلى تنقلب إلى أسفل؛ فقد عاد إليها ذلك الشعور باليأس مجدّداً، ثم تابعت بصعوبة: «وسأرحل من جديد».

فكّرت لورين، ثمّ نظرت إليها وسألتها بجدّية تامّة: «هل هذا ما تريدينه؟».

صمتت كلارا، ثم هزّت رأسها ببطء وقالت: «أمضيت هنا وقتاً كافياً. لم أكُن أطمح إلى البقاء في مكان واحد لفترة أطول».

«ولماذا؟»، سألتها لورين.

أحسّت كلارا بالدموع تتكثّف في حنجرتها، ولم تتمكّن من الكلام.

«لماذا ترغبين في الترحال الدائم يا كلارا؟»، سألتها لورين ولم ترفع عينيها عنها، حتى شعرت كلارا وكأنّ كلّ ما في الغرفة كان قد قطع أنفاسه في انتظار إجابتها.

«إني أبحث دائماً عن مكانٍ أشعر فيه كأني في بلادي»، همست، وأحسّت بالدموع تنهمر على خدّيها.

«مثل الدنمارك؟»، وتقلّص أنف لورين وكأنه يرسم علامة السؤال على وجهها، فأفلتت من كلارا ضحكة مخنوقة ومسحت وجهها.

«مكان أجد فيه مَن يحبّني»، قالت، ولاحظت للتوّ بساطة ما تطلبه بالفعل، وصعوبة نيله. «أحبّ الدنمارك، ولكن يعيش والدي الآن مع عائلته. كنت أعيش مع أمي، ولكنها ماتت في السنة الماضية، وتغيّرت الحياة هناك».

نظرت إليها لورين، وقالت: «آسفة يا كلارا؛ لم أعلم بذلك».

«عانت من المرض طيلة أشهر...، وكنت منشغلة بعملي. ثمّ فاتني أن أعلم أنها...، أنها»، لم تتمكّن من إكمال الجملة لثقل الحقيقة التي لا تستوعبها الكلمات. وانهمرت الدموع غزيرةً من عينيها ولم تعُد ترى الغرفة حولها بوضوح عندما تذكّرت زيارتها الأخيرة لأمّها، وكيف اضطرّت إلى قطعها فجأة من أجل الرجوع إلى لندن من أجل مقابلة أحد الزبائن. لا تذكر إن كانت قد ودّعتها وقبّلتها أم لا. لم تكن أمّها تطلب منها شيئاً البتّة؛ وإنما كانت فخورة بها، وتعرض صور ابنتها أمام صديقاتها وأصدقائها وتخبرهم عن الجوائز التي حصدتها. ثمّ تدهورت حالة أمّها الصحية بسرعة، وتذكّرت كلارا جلوسها في ذلك الكرسي البلاستيكي في مطار لندن بانتظار موعد الطائرة الذاهبة إلى الدنمارك، وكيف كانت تراقب خيوط الفجر الأولى وتعدّ الثواني الثمينة جدّاً في انتظار الإقلاع. وعندما وصلت إلى البيت ولاقتها السيدة فريجا، صديقة أمها، وعادت إليها صورة صديقة أمها السيدة فريجا التي لاقتها أمام باب البيت وكانت الدموع قد تركت مسارات عريضة على خدّيها لتُخبرها بأنّ جثّة والدتها كانت مسجّاة فوق السرير في الطابق العلوي؛ ولعلّها مع الأسف تأخرت على وداعها.

كانت لورين قد انتقلت لتجلس بقرب كلارا على الأريكة ولتشدّ رأس صديقتها برفق إلى كتفها. وقالت: «أوه، كم أنت حزينة يا

كلارا؛ ولكنها كانت تعلم. . . ، كانت تعلم أنك تحبّينها، أليس كذلك؟».

هزّت كلارا رأسها إيجاباً وتعثّرت الكلمات على لسانها، وكانت قميصها قد ابتلّت من دموعها الغزيرة. قال لها جو الشيء نفسه، وكلاهما على حقّ. نعم، كانت أمّها تعلم ذلك. أحسّت كلارا فجأةً ببصيص نور في داخلها، وارتاحت لكونها أتت إلى بيت لورين.

جلست الاثنتان في صمت طويل قبل أن تشعر كلارا بطاقة جديدة تستيقظ في داخلها عندما وقفت لتصعد وراء لورين إلى غرفة النوم. لم تكُن قد تنبّهت في السابق إلى حاجتها الماسّة للكلام عن هذا الموضوع. وإذ بابتسامة ضعيفة تتراقص على وجهها عندما رأت أنها ستنام على فراش للتخييم وضع فوق سجّادة طفولية طبعت عليها أحرف الأبجدية بالألوان. أما الغطاء فكان قصيراً ومطبوعاً بصور شخصية «بيبا بيغ» التي يعشقها روري.

«ليست غرفة نوم فاخرة، ولكن أرجو أن تفي بالمطلوب الليلة»، قالت لورين ووضعت يدها على ذراع كلارا، وتابعت بصوت منخفض: «ويمكنك البقاء هنا بقدر ما تشائين».

«شكراً لورين»، قالت كلارا بتأثّر وأحسّت وكأن حنجرتها تنعقد من جديد، واقتربت منها لتضمّها، وأضافت: «إنك صديقة مخلصة».

«آه، أنت أيضاً»، قالت لورين مبتسمة، وتفوّهت بكلمة دنماركية تعلّمتها من كلارا، ثمّ مازحتها بوخزة لطيفة من كوعها.

وبعد أن دخلت كلارا إلى الغرفة، وقفت لورين عند الباب

والضوء القادم من الممرّ يرسم محيط قامتها، وقالت: «سوف تجدينه ثانيةً».

هزّت كلارا رأسها من الفراش وقد فهمت قصد لورين، ثم رفعت الغطاء إلى مستوى ذقنها وهي لا تعلم هل وجدته؛ أو هل مشت وتخلّت عنه.

الفصل الحادي والثلاثون

كانت كلارا تشرب زجاجة البيرة الثانية ولم تعلن ساعة الحائط منتصف النهار بعد. حملها منظر الثلج الذي يغطّي الرصيف في الخارج بغشاء رقيق إلى الدنمارك من غير استئذان. ماذا تفعل هي هنا في سوفوك؟ هي التي لا تنتمي إلى هنا. ولكن الأسابيع الماضية أضاءت في داخلها شعلةً جديدة وجعلتها تشعر بأنها باتت تنتمي من جديد إلى مكان معيّن، وإن القرية تحتاج إليها. وفكّرت كلارا بالعروض التي أعدّتها، وبالأطفال الذين لن تراهم من جديد، وبضحكاتهم في المشغل فيما كانوا يلوّنون ويبدعون؛ وبكلّ الفوضى والضجة؛ وبوجوههم المشرقة عندما يذهبون إلى أهلهم ويعرضون عليهم ما فعلوا. وتذكّرت مشهد المجموعات الصغيرة المنتظرة على الرصيف عندما يصل العدّ العكسي إلى الصفر.

كانت لورين قد أيقظتها باكراً لتعطيها كوباً من الشاي ولوحاً من الشوكولاتة قبل أن تنطلق بسرعة لتوصل روري إلى الحضانة. لم تكن كلارا ترغب بالبقاء في بيت لورين وحدها ولكن لم يكن لديها مكان آخر تذهب إليه.

لم ينتهِ غافن من تلميع ذلك الكوب بعد، وعيناه ترمقانها من حين إلى آخر. اعتذر منها وكرّر اعتذاره مراراً منذ أن وقف أمام باب لورين في الصباح المبكر ودعاها بإصرار لكي تعود معه إلى الحانة، وما إن وصلا حتى راح يغدق عليها أنواع المشروبات من غير مقابل لكي يعوّض بطريقة معيّنة عن عدم استقباله لها في الليلة الماضية.

«كنت قلقاً عليك، وقد أخطأت جدّاً عندما تركتك تغادرين. فتشت عنك في موقف الباص المسقوف، وفي خيمة الحديقة العامّة. ثمّ رافقني جو ولويزا، وفتّشنا عنك حتى في الغابة. كانت لويزا رائعة...»، قال، وانخفضت نبرته في نهاية الكلام وكادت عيناه تدمعان.

وإذ بكلارا تنشغل عن طرح السؤال عليه بشأن جو، لتسأله: «هل أنت ولويزا...؟».

هزّ غافن رأسه ببطء، وأجاب: «أعتقد أنّنا... واحد». وأومأ بيديه وكأنه يفتح المزدوجين، ليُضيف: «أمضينا الليلة كلّها معاً».

رفعت كلارا حاجبيها.

ولكن غافن، وما إن اخترق مع كلارا باب الحانة حتى قرّر إزالة الشكّ من رأسها، وصرخ: «أمضينا الليلة في الكلام فحسب!»، ولم تتمكّن كلارا من أن تمسك نفسها عن القهقهة.

«انظري»، قال، وأشار بيده إلى الكنبة الموضوعة إلى جانب الشباك. لقد جرى تنجيدها ووضعت فوقها مساند عديدة. وتابع: «لاحظي رفوف الكتب على الحائط المحاذي. ها قد تحوّلت تلك الزاوية إلى مكان دافئ للاسترخاء بصحبة كتاب».

«جميل، قالت كلارا»، مبديةً إعجابها بتحفّظ، غير أنّ المكان كان جميلاً بالفعل. ثمّ وجدت نفسها تحوم حول تلك الزاوية وتمرّ

بأصابعها على ظهر الكتب. ثمّ قرّرت أن تتناسى كلّ ما حدث في الأمس وتسافر على متن كتاب. وهل من شيء أفضل من البيرة لتسهيل ذلك؟ وها هي تقبع في هذه الزاوية عينها منذ ساعات.

ثمّ ظهرت لويزا في مدخل الحانة فجأةً، فإذا بغافن يطلق زعقةً عالية وتسمع كلارا صوت سقوط الكأس الذي كان يلمّعه من يده، وجلبة تحطّمه على الأرض.

«غافن!»، صرخت لويزا فيما قفزت إلى وسط الحانة. وكانت بشرتها سمراء داكنة، وعيناها تلمعان حيويّةً، ورقع من الثلج عالقة على معطفها.

«نبيذ التفاح الدافئ؛ نعم يا لها من فكرة رائعة؛ كأس منه لو سمحت»، قالت.

«إنها فكرة كلارا التي تأخذ رواجاً»، قال غافن، وهو يكنس حطام الزجاج وراء المشرب.

«كلارا؟»، واستدارت لويزا فوراً إلى حيث جلست كلارا مرخية الكتفين. شعرت كلارا بكآبة مظهرها بالمقارنة مع مظهر لويزا بمعطفها الزاهي، فاستقامت في جلوسها، وتفادت الحازوقة التي قد تصيبها بسبب كميّة البيرة التي استهلكتها منذ الصباح المبكر.
«وجدتها! أوه غافن، كم أنت رائع، حسناً فعلت».

احمرّت وجنتا غافن فيما قدّم لها كأس النبيذ الدافئ؛ فأسرعت لويزا إلى وراء المشرب لتطبع على شفتيه قبلة مستعجلة، فأشاحت كلارا نظرها.

«كلارا»، قالت لويزا وهي تبتعد عن غافن الذي تلوّنت شفتاه بالأحمر، «أعتذر جدّاً عن طريقة وصولي غير اللائقة التي فاجأتكما بها الليلة الماضية. كان يجب ألّا أسمح لكِ بالمغادرة، ولكن رؤية

جو عزيزة جدّاً عليّ. نادراً ما أراه، وكان يبدو مسترخياً وسعيداً، فأردت ألّا أضيّع من أمامي فرصة الجلوس معه والتحدث إليه. وعندما ظهر غافن وقال إنه لم يستقبلك، تصوّرت أنك رحلت بتلك السرعة. رحنا نفتّش عنك، وكان جو مستاء جدّاً لما حدث».

«عزيزي غافن، وجهك مغطّى بأحمر الشفاه من كلّ جانب. . .»، قالت مقهقهة عندما اقترب غافن ليجلس معهما. ثمّ عادت لتُكمل حديثها مع كلارا: «وهكذا، وكما كنت أقول. . .». ولكنّها أضاعت حبل تفكيرها، فتابعت باختصار: «إني في غاية السعادة لرؤيتك هنا الآن».

احتست قليلاً من نبيذ التفاح الدافئ، وقالت: «أظن أن ليدي كاكا قرّرت الحداد على غيابك. بدت غريبة الأطوار منذ الصباح. ألجأ عادة إلى فيلم «توب غن» (Top Gun) فتستعيد مرحها؛ ولكن حتى فيلم «مافريك» (Maverick) لم ينجح في تحسين مزاجها. ريشها يتساقط وهذا حزين للغاية. يجب أن تزوريها».

«لم يمرّ على مغادرتي الشقّة اثنتا عشرة ساعة بعد». قالت كلارا بابتسامة طفيفة.

«إنها ببغاء حسّاسة جدّاً»، قالت لويزا.

اقترب غافن من المكتبة الصغيرة وأخرج ألواح الألعاب الجماعية مثل الشطرنج والداما وغيرها، لتكون حاضرة للزبائن الذين يزورون الحانة في فترة بعد الظهر ويميلون للتسلّي بهذه الألعاب بقرب النار.

«هل سمعتما بالخبر؟»، سأل غافن، وقد بان رأسه من وراء إحدى الرفوف. «سيفتح «بيرتي» أبوابه من جديد، وسيكون لدينا مطعم في القرية. أليس هذا مفرحاً؟».

صفّقت لويزا بيديها. «يا له من خبر جميل! إني أعشق تشكيلة الحلويات التي يقدّمها»، قالت، وارتسمت فوق وجهها تعابير حالمة. وتابعت: «ولكنه لم يجب أبداً عن سؤالي حول كيفيّة تحضير المرينغ[1] لتبقى مقرمشة وخفيفة؛ «المرينغ» التي أحضِّرها بنفسي تكون دائماً مطّاطة ومنبسطة مثل «البانكيك»».

شعرت كلارا بموجة من الفرح تعلو في داخلها إزاء هذا الخبر؛ ولكن موجة الفرح تلك ما لبثت أن انحسرت عندما تذكّرت أنها لن تكون هنا لتشهد الافتتاح. لا يمكنها البقاء هنا بعد الآن، لم يبقَ لها شيء في هذا المكان. ثم ذهب تفكيرها بسرعة إلى جو. تُرى هل ما زال في الشقّة؟ وتركت لنفسها مجال الأمل بوجوده.

«هل ستغادرين القرية؟»، سألتها لويزا وكأنها كانت تقرأ تفكيرها. وتابعت: «إن كان الأمر كذلك، يجب أن نُقيم لك حفلة وداعٍ لائقة. حفلة رائعة. ألا توافقني الرأي يا غافن؟».

كان جو يجلس وساقاه ممدّدتان أمامه على السجادة وحوله عدد من ألواح اللّعب. هزّ رأسه بالموافقة، ثم وبعد لحظة انتظار، عاد ونظر إليهما فيما كان يستعدّ للوقوف، وقال: «في الواقع، أريد أن أريكما شيئاً».

نظرت كلارا إلى لويزا وقطّبت حاجبيها. أما غافن فبدا لها شديد الغموض، وكأنه كان يتحضّر ليُخبرهما سرّاً خطيراً.

لاحظت لويزا الأمر عينه وضحكت، وحاولت إغاظته: «سرّ غامض جدّاً»، قالت.

---

(1) حلوى تحضّر بزلال البيض المخفوق مع السكر الناعم وتُخبز على حرارة منخفضة في الفرن.

«إنه في الأعلى»، قال، فيما راح يلفّ كمّي كنزته القطنية بطريقة عصبية.

رفعت لويزا حاجباً، وسألت: «ماذا يوجد في الأعلى؟».

«يوجد...»، باشر في الإجابة وتردّد، ثم عاد ليقول بإصرار: «تعالا معي لأريكما».

قفزت كلارا من زاويتها، وخفق قلبها لأنها قد تكتشف أخيراً ماذا يوجد وراء الباب المقفل في الطابق الأعلى. لا بدّ أنه السرّ الذي سيكشف عنه الآن. كم تخيّلت صورة زوجة مجنونة في ثياب نوم ممزّقة، أو أن تكون الغرفة ملأى بالهياكل العظمية، أو مكاناً سرّيّاً لممارسة الجنس؛ مع أن أيّاً من هذه التصوّرات البشعة لا تتلاءم مع شخصية غافن اللطيفة. اختفت كلّ همومها في تلك اللحظة، ومشت وراء غافن بجدّية.

«أشعر ببعض القلق يا غافن»، قالت لويزا، فيما صعدت وراء غافن وكلارا على الدرج. وأضافت ممازحة: «لن تطلب منّا بعد ذلك أن ندعوك باسم «غايل» مثلاً، أليس كذلك؟».

بقي غافن صامتاً حتى وصل إلى الغرفة المقفلة، وباشر في فتحها. وبعد أن رفع المزلاج، أخذ نفساً عميقاً وعاد خطوتين إلى الوراء ودعاهما إلى الدخول.

انتظرت كلارا قليلاً في الممرّ، واجتاحها شعور بأنها لم تعد ترغب في معرفة سرّ غافن. للرجل الحقّ في أن تكون له أسراره. ولاحظت التوتر على غافن المسكين الذي راح يشدّ بأطراف كنزته ناظراً في كلّ اتجاه إلّا في اتجاههما.

«ادخلا»، قال بصوت أجشّ، «كان يجب أن أفعل هذا الأمر

منذ زمن طويل. أن أدعك يا كلارا تغادرين في الليلة الماضية كان خطأً لا أسامح نفسي عليه».

شدّت كلارا قبضيتها المتعرقتين قبل أن تدفع الباب الخشبي بتمهّل وتخطو إلى داخل الغرفة. وكانت لويزا تمشي على مسافة قريبة جدّاً وراءها، حتى أنها كانت تشعر بأنفاس لويزا على رقبتها.

«يا إلهي»، قالت لويزا.

هزّت كلارا رأسها بصمت: إذاً، هذا هو السرّ الكبير. كان من الممكن أن تقول الكثير، ولكنها وجدت أن أفضل ما ترغب به في تلك اللحظة هو إطلاق ضحكة عالية تعبّر عن ارتياحها.

كانت الغرفة ملأى حتى الرّمة بمئات من دمى الدببة على اختلاف أحجامها وألوانها. دببة ترتدي ثياباً، ودببة بعين واحدة ودببة بنيّة اللون وأخرى سوداء أو رماديّة. يبدو أن غافن بدأ بجمعها منذ سنين عديدة. ويمكن للناظر أن يرى في مكان ما تحت حشود الدببة سريراً، ورقعاً قليلة خالية تكشف أرض الغرفة والسجادة التي عليها.

وظهر غافن بوجه رماديّ أغبر وراءهما ليقول: «مفاجأة!»، وكان يبدو ضعيفاً جداً وعلى وشك السقوط.

تفرّست لويزا في وجهه خلال لحظات، ثم رفعت ذراعيها وضحكت قائلةً: «إنك الألطف والأكبر والأروع»، وهبّت لتضمّه.

قضوا نصف ساعة في المزاح والضحك بشأن الموضوع إلى أن نظرت لويزا فجأة إلى ساعتها ونهضت، فوقع بعض نبيذ التفاح على قميصها.

«اللعنة! لقد تأخّرت»، قالت، وأمسكت بظهر مقعد كلارا ليساعدها على الوقوف. وأضافت وهي تحدّق في كوبها وكأنها وجدت فيه حبّات من الماس: «يا إلهي، إنه نبيذ قوي جدّاً على ما يبدو».

«إلى أين أنت ذاهبة؟»، سألتها كلارا، فيما استعجلت غافن بوخزة خفيفة من كوعها للقيام بخطوته على لوحة السكرابيل.

عاد غافن لينظر إلى مربّعات اللعبة أمامه.

«اللّعبة الجيّدة هي اللعبة السريعة...»، ردّدت كلارا ربّما للمرّة الألف. وأحسّت أن اللعبة قد تطول إلى ما لا نهاية. لا شك أن لويزا فعلت جيّداً إذ قرّرت النهوض.

«إني ذاهبة إلى مقابلة روز، المرأة المفزعة...»، قالت لويزا.

رفع غافن نظره إليها وقال محذّراً: «لويزا، يجب أن يكون العرض جيّداً».

«أعلم، أعلم»، أجابت.

شعرت كلارا وكأنها تحوّلت إلى لوحٍ من جليد ولم تعُد تعي وجود المربّعات أمامها. وقبل أن تتمكّن من طرح سؤالها الملحّ حول العرض الذي قدّمته روز، ولماذا؟ خطفت انتباهها الجملة التالية التي خرجت من فم لويزا.

«وقال لي جو إنه سيهتمّ بترتيب كلّ الأمور مع الوكيل العقاري».

«جو»، ردّدت كلارا، واحمرّت وجنتاها خجلاً عندما لاحظت كيف أفلتت اسمه من فمها بتلك النبرة العالية. فتظاهرت للتوّ بالسعال لتغطية شدّة اهتمامها. «أين هو؟».

«جو؟»، قالت لويزا وهي ترتدي معطفها وتُدخل ذراعها في

أحد الكمّين، ثم تابعت: «إنه في الشقة ولا أظن أنه نام. تلقّى في الليل بعد عودتنا من التفتيش عليك اتصالاً من زميله، واختفى في غرفته مع هاتفه وحاسوبه. إنه جو كما أعرفه»، وابتسمت. «ربّما غادر إلى لندن. لا يمكث هذا الصبي في المكان ذاته أكثر من ثوانٍ. كان رائعاً أن أراه الليلة الفائتة ولكني أظنّ أنه عائد إلى دوامة الضغط التي تعوّد عليها. يجب أن أرسل له رسالةً وأخبره بأنك هنا».

«لندن»، ردّدت كلارا وكأنها أصيبت بالرّعب، ثمّ انتصبت واقفة للتوّ. لن تسمح بأن يذهب إلى لندن من دون أن تراه. حتى أنه لم يعلم أنها ما زالت في سوفوك. وأنّبت نفسها لأنها بقيت في الحانة حتى تلك الساعة.

«هل كل شيء على ما يرام؟»، سألها غافن ورفع عينيه ليراها تلتقط معطفها بعجلة.

«يجب أن أذهب. . .»، تمتمت كلارا وهي تقفل أزرار معطفها كيفما اتّفق. «يجب أن أرى. . . تذكّرت. . . شيئاً»، قالت من غير أن تنظر إليه.

«ماذا عن مربّعاتك؟»، صرخت لويزا. «أعلم أن لديك حرف «X»»، أضافت.

«خذيه»، قالت كلارا فيما مشت بسرعة نحو الباب.

«حسناً، حسناً جدّاً»، أجابت، وأسرعت إلى نقل الحرف إلى لوحتها.

أسرعت كلارا الخطى على طول الشارع العريض، وقفز قلبها عندما التقت عيناها بالواجهة النبيذية. أخرجت مفاتيحها وفتحت الباب وصعدت الدرج قفزاً إلى الشقّة. ثمّ توقّفت لتلتقط أنفاسها وترتّب شعرها وثيابها قبل أن تفتح الباب وتدخل.

«جو»، نادت، ولم ترغب في أن تفاجئه وسط الحمام، أو وراء قناع الوحل، أو وسط اجتماع على الإنترنت. «جو»، نادت مرّة ثانية، وبدأت تشعر بثقل الصمت حولها.

ثمّ سمعت جلبة ريش طير يتنفّض فتنبّهت إلى الوجود الوحيد الآخر في الشقّة. كانت ليدي كاكا تختلس النظر إليها من قفصها العالي: «هيوستن، لدينا مشكلة»[1]، صرخت.

كانت الشقة خالية. وقد غسلت الآنية وأكواب النبيذ التي وضعت مقلوبة على منشفة المطبخ لكي تجفّ. منضدة المطبخ والطاولات كلّها نظيفة، غير أنه لفتها وجود ورقة على المنضدة فاقتربت لترى. وقرأت: **أمي، ذهبتُ إلى لندن، سوف أتصل بك لاحقاً. أحبّك، جو.**

رمت بثقلها على الكرسي وهي تُعيد قراءة الورقة مراراً وتكراراً. لقد غادر إلى لندن حتى من غير أن يودّع أمّه - ومن غير أن يودّعها، قال صوت خفيض في رأسها. أحسّت بجسمها كلّه يذبل، وكلّ الكلام الذي أرادت أن تقوله ينمحي، وكلّ الحماسة التي رافقتها في الطريق إلى هنا تتسرّب منها وتضيع. لقد عاد إلى المدينة وإلى وظيفته؛ ربّما أخطأت عندما ظنّت أنه تغيّر؛ وربّما ما زال على ما كان عليه دائماً.

ثمّ لاحظت وجود جريدة على الطاولة. كانت الجريدة مفتوحة على صفحة تحمل صورة كبيرة لها وهي تضحك وراء المنضدة في المتجر بين الأطفال المحيطين بها؛ وبدا المكان ينبض ألواناً وفرحاً ويضجّ بالحياة وبالزوار. تمعّنت في الصورة وهي تمرّ بإصبعها حول

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Apollo 13.

وجهها على الورق وتفكّر: كانت تبدو في منتهى السعادة؛ كم كانت ابتسامتها مشرقة ووجهها مطمئنّاً! لقد أمضت حقّاً وقتاً سعيداً في المتجر، واستمتعت برؤية وجوه الأطفال أمام كلّ عرض جديد، وبالأحاديث التي تبادلتها مع الأهالي. تذكّرت بغصّة أنّ كلّ ذلك قد انتهى، وسوف تغادر هي أيضاً ولم يبقَ هنا ما يبرّر وجودها.

ثمّ انتبهت فجأةً إلى عنوان المقالة -المطلوب حماية متجرنا!- وما إن بدأت في قراءة مقالة سام، حتى تولّد في داخلها شعور بالاضطراب راح ينمو كلّما تقدّمت في قراءة المقالة التي بدت مثل دعوة مفتوحة لمنع عمليّة بيع المتجر. واستند الكاتب إلى عدد كبير من أقوال الناس الذين يرفعون راية الحزن إزاء إقفال متجر آخر في الشارع العريض؛ ويتكلّمون بأسفٍ على موضوع التسوّق عبر الإنترنت الذي بات سائداً والذي يسيء إلى حياة المجتمع المحلّي. واستشهد بأحدهم الذي لم يكشف عن اسمه يقول: **من الصعب علينا أن نرى أحد اللندنيين المتعجرفين يظهر فجأةً هنا ويبيع المتجر. المتجر جزء من القرية؛ إنه قلبها النابض.** ثمّ ينقل كلاماً عن لسانها شخصيّاً: «**إنه ليس متجري**»، **قالت كلارا كريستنسن وهي تقف أمام المتجر الضحيّة؛ إنها المرأة الدنماركية التي أعادت الحياة إلى متجر الألعاب، وخلقت مكاناً سحريّاً لأطفال القرية. تشعر بأنها مكسورة القلب إزاء فكرة إغلاقه للأبد.**

«يا للمصيبة! غير معقول»، همست كلارا وغطّت فمها بيدها فيما تابعت قراءة المقالة إلى النهاية. وتخيّلت جو يقرأ هذه الكلمات ويرى صورتها ويعلم أنها تحدّثت حول موضوع المتجر إلى الصحافة.

ووقفت ببطء، لا تريد أن تصدّق أنه غادر وليس أمامها فرصة

لإصلاح الوضع. ذهبت للتوّ إلى غرفته ووجدت أن حقيبته الجلدية لم تعُد في مكانها. لقد غادر ولم تتمكّن من رؤيته، ولا تعلم بالضبط متى سيعود، أو إن كانت ستراه أبداً بعد الآن. أسندت ظهرها إلى حاجب الباب ونظرت إلى المدى. لا تعلم ماذا بإمكانها أن تفعل الآن، وكم تتمنى لو تعود الساعة إلى الوراء.

الفصل الثاني والثلاثون

عاد كلّ شيء إلى طبيعته. خرج جو من السيارة إلى الرصيف ومدّ يده ليعطي السائق بقشيشاً وبدا الأخير مندهشاً وإنما مسروراً. مشى جو في اتجاه الأبواب المتحركة فتفرّق سرب الحمام من حول قدميه؛ ثم مدّ عنقه إلى الوراء ونظر إلى أعلى البرج الزجاجي محاولاً أن يتعرّف إلى نافذة مكتبه من بين صفوف الألواح الزجاجية المتطابقة التي تطرد عنها أشعة الشمس. مشى على الرصيف ووراءه رجل كان يتكلّم في هاتفه الخليويّ ويكيل الشتائم. ثم انعطف من حوله راكب دراجة كان قد أدخل طرفَي سرواله تحت جواربه. أخذ جو نفساً عميقاً مستجمعاً الطاقة التي يحتاجها لكي ينجز الخطوات القليلة الباقية قبل الدخول إلى المبنى.

تذكّر الليلة الفائتة وكل ما حدث على السطح وكأنه حدث في حياة سابقة. وتذكّر وجه كلارا على ضوء الشموع، ويدها المنبسطة فوق الغطاء؛ كم أطال النظر إلى أصابعها قبل أن يجد في نفسه الشجاعة إلى قطع تلك المسافة المتبقية بينهما وتقبيلها. ثمّ ظهور

والدته المفاجئ وكيف تجمّد في مكانه لأنه علم للتوّ أنّ كلّ شيء سيتغيّر من جديد. ووجه كلارا فيما كانت تجرّ حقيبتها نحو الباب، وعجز قدميه عن اللّحاق بها عندما رحلت.

اخترق الأبواب المتحرّكة وهزّ رأسه للحارس ومشى إلى المصعد، ثمّ ضغط على رقم الطابق وأبقى باب المصعد مفتوحاً لكي يدخل شخص كان يهرول في اتجاهه.

«شكراً»، قال الرجل لاهثاً، ولاحظ جو ربطة عنقه العوجاء والجيوب المنتفخة تحت عينيه.

«لا بأس»، أجاب جو غير قادرٍ على الاستعجال اليوم، ولا على التركيز لأنّ فكره ما زال هائماً في مكان ما في سوفوك. كان يتساءل إلى أين ذهبت كلارا. فتشوا عنها طويلاً؛ ولماذا لا تحمل خليويّاً؟ وصلته رسالة من أمّه تقول إن كلارا ما زالت في القرية، ولكنه كان قد قطع جزءاً لا بأس به من الطريق إلى لندن.

وصل المصعد إلى الطابق الذي طلبه، فخرج وقطع منطقة الاستقبال المعهودة حاملاً بطاقة التعريف ليقرأها الجهاز الآلي قبل أن ينفتح الباب.

وإذا بضجيج الأصوات العالية، وجلبة النقر على الحواسيب، وأزيز الطابعات الضخمة، ورنين الهواتف يكاد يدفعه إلى العودة من حيث أتى. لم يرفع أحد نظره إليه عندما دخل متوجّهاً إلى مكتبه. الكلّ كان مركّزاً على شاشة الحاسوب، أو منشغلاً في الإجابة على مخابرة هاتفية، أو غاضباً بعد إغلاق مفاجئ وعنيف للسماعة مذيّلاً بموجة من الشتائم في الهواء.

الطاقة والحماسة كانتا السبب في انجذابه إلى هذه الوظيفة. أراد الابتعاد أخيراً عن أجواء القرية النائمة وعن الأمسيات التي كان

يقضيها مع أمّه بمفردهما. بإمكانه هنا أن يكون الرجل الذي يطمح إليه؛ الرجل المهمّ الذي يشبه والده والذي يصنع الصفقات ويحقق أرباحاً طائلة تساوي ملايين اللّيرات الاسترلينية. أمّا اليوم، فمجرّد التفكير بالنهار الذي ينتظره والذي قد يطول حتى فجر الغد يُشعِره بالإرهاق، ناهيك عن الأوراق التي تنتظر فوق مكتبه، والرسائل الإلكترونية التي لم يُجب عليها بعد؛ ووجوه أفراد فريقه المترقّبة، مثل ترقّب كلاب الصيد الموتورة قبل الانطلاق ليسبق واحدهم الآخر إلى نقل المستجدّات إليه.

تركهم يثرثرون غير مصغٍ سوى إلى نصف أقوالهم فيما احتسى قهوته بهدوء قبل أن يفتح حاسوبه. وكان يعبّر عن تقديره لجهودهم بينما ينظر عبر النافذة وراءهم إلى السماء الزرقاء الصافية، ويفكّر في ذلك النهار الشتائي الرائع. ثمّ عادت كلارا إلى ذهنه؛ تُرى هل تتنزّه الآن بوجنتيها المتورّدتين، وجزمتها البلاستيكية على دروب الغابة وراء القرية؟ ثمّ فكّر بتلك المقالة، وبما قالته للصحافي. هل تفكّر هي حقّاً بهذه الطريقة؟ شعر بعد قراءته المقالة، بأنّه يريد مغادرة المكان، وأنه لا ينسجم مع هؤلاء الناس، وأن تلك التجربة كانت حلماً غريباً ومؤقّتاً وتنتمي إلى حياة أخرى بديلة. وها إنّ كلّ شيء انتهى بعد عودة أمّه وعودته إلى لندن.

وإذا بأحد أفراد الفريق يقول له: «ستغادر مساعدتك بام بالطبع قبيل حلول العام الجديد، ولقد رتّبنا لك قائمة مواعيد طويلة لكي تقابل وتختار مساعدة شخصية جديدة».

فأجاب جو بتعجّب: «تغادر؟ باميلا ستغادر؟».

نظر إليه مرسر وكأنه ناظرٌ إلى أبله: «وصلت إلى سنّ التقاعد بعد خمسة وأربعين عاماً في العمل».

ظهرت بام بنفسها في تلك اللحظة وعلى ذراعها كومة من الملفّات، وشعرها مثبت بدبوس إلى الوراء؛ اقتربت من مكتب جو وجرّت بيدها كرسيّاً كان متروكاً في مكان قريب من الباب.

قفز جو من كرسيّه وأخذ الملفّات من يدها وشعر بالخجل يطفح من وجهه فيما بادرها قائلاً: «أعتذر منك باميلا؛ لم أكُن أعلم... تقاعد!؟».

اتّسعت عيناها تعجّباً قبل أن تلملم نفسها وتقول: «لا تأبه؛ لقد وضعت الخبر في روزنامتك ولكنك لم تقرأه. إنك كثير الانشغالات».

أحسّ جو بالذنب كثيراً. طالما تعامل مع باميلا بأسلوب المتيقّن من استمرار حصوله على خدماتها مهما حدث. كان أجدر به أن يقدّر عدم تلكّئها في العمل، وأسلوبها الرزين بالتعاطي مع الأمور، وقدرتها على تقصّي الاتصالات الهاتفية ومتابعتها وتحويلها، وحُسن تعاملها مع الزبائن من غير أن تتغيّب يوماً بداعي المرض أو تطلب خدمة خاصّة معيّنة. لمَ لم يقدّر كلّ ذلك بطريقة أفضل؟

«إنك رائعة؛ كيف سنتمكّن من الاستعاضة عنك بموظّفة أخرى؟»، قال لها ولاحظ حمرة وجهها على وقع كلماته.

«لا تبالغ»، قالت لاهثة وهي تشدّ بأكمام قميصها نزولاً، وتابعت: «سنجد موظّفة ذات كفاءة عالية وأكثر».

«ولكنّها لن تكون مثلك».

تمتمت باميلا شيئاً، فيما رفعت كوباً فارغاً عن إحدى الطاولات. «كلّما جمعت الأكواب الفارغة من هنا، يظهر غيرها»، قالت باميلا في محاولة جادّة لتحويل الانتباه عنها.

فكّر جو بوجوب أن يقدّموا لها شيئاً. شيء يُشعرها بأنّ جهودها

كانت منظورة ومقدّرة. واحمرّ وجهه عندما لاحظ أنه لا يعرف شيئاً عنها وأنه لم يكلمّها قطّ سوى بشأن العمل، والزبائن، والمهل النهائية. كان يسمح لها بدايةً مناقشة أسئلته وعدم الإجابة عنها أحياناً، ولكنّه قرّر بعد حين التوقّف عن طرح الأسئلة المفتوحة والتكلّم إليها بطريقة مهنيّة جافّة فحسب؛ شعر بالندم على ذلك الآن، وتمنّى لها أن تقضي أوقاتاً ممتعة جدّاً بعد تقاعدها.

«طلب آندرو رؤيتك عندما تأتي»؛ قالت قبل أن تبتعد، وأضافت: «سأل عنك مرّتين».

أن يسأل آندرو مرّتين يعني أنه سأل مرّة إضافية عمّا يرغب فعله عادةً. وإذا بجو يتحرّك مسرعاً في اتجاه المصعد حيث رتَّب ربطة عنقه، وأزال من ذهنه كلّ ما كان يشغله؛ واستعادَ تفاصيل الصفقة الأخيرة وهيّأ نفسه لحديث هادئ ومبهر في آن. تنحنح ليجلِيَ حنجرته، وراح يضرب أرض المصعد بقدمه من غير صبر. وكلمّا مرّ في صعوده إلى طابق جديد، كانت سوفوك تبتعد عن ذهنه إلى مكان أبعد.

خرج إلى البهو المتألق حيث النافورة الرّخامية في الوسط والمكتب اللمّاع الذي تجلس وراءه امرأة تضع حول رأسها جهازاً لتلقّي المخابرات الهاتفية والردّ عليها. شعرها أسود ناعم وشفتاها مصبوغتان بحمرة شفاه فاقعة. لو وقعت عيناه عليها من قبل لسألها عن رقم هاتفها. ولكنه لم يطلب منها الآن سوى الإعلان عن رغبته في مقابلة آندرو.

تُرك في الانتظار لبعض الوقت حيث جلس متململاً على الأريكة وقلّب في الصحيفة المالية من غير أن يتمكّن من التركيز على القراءة. أسهمٌ ترتفع وشركات تُصاب بالإفلاس، وأرباح تسجّل...

إلخ، لا شيء جديد، لا شيء جديد. وأحس بصعقة مفاجئة جرّاء هذه الفكرة. وعاد ليضرب بقدمه على الأرض، وتنبّه إلى أنه نسي هاتفه في المكتب. وبعد مرور وقتٍ خاله دهراً، نادته المرأة ذات الشعر الأسود الناعم إلى الدخول.

كان آندرو جالساً وراء مكتبه الزجاجي الضخم، وكارين تجلس فوق طرف المكتب وكأنها تتجاذب أطراف حديث عفوي معه. ولكن جو يعرفهما بصورة أدقّ من ذلك، ومن البديهي أن يعلم أنها قصدت أن تكون هناك، وأن الجلسة العفوية كانت نتيجة تخطيط. رفع آندرو رأسه بتحيّة خفيفة، ووقفت كارين وصافحته وسمع خشخشة الأساور حول رسغها. اختفت بعض الخطوط عن وجهها نتيجة عمليّة تجميل تبدو حديثة العهد، غير أن نظر جو تمهّل قليلاً على يدها فلاحظ بعض البقع البنّية على جلدها، وبعض التجعّدات البسيطة التي كانت الدليل الوحيد الباقي على تقدّمها في السنّ.

«هيّا، ابدأ في الكلام»، قال آندرو، وهو الذي لا يُتقن من الكلام سوى لغة الأرقام والصيغ النمطية. «حدّثنا عن صفقة الدمج الأخيرة وماذا سيأتي بعدها».

تكلّم جو عن آخر التطوّرات، وكان يتوقّف بين الفينة والأخرى ليضيف بعض التفاصيل الدقيقة؛ ثمّ يقع في زلّات لسانية عندما لا يتذكّر تماماً اسم إحدى الشركات التي جرى إتمام الصفقة الأخيرة معها، فتصحّح كارين الاسم وتمرّ بإحدى أظافرها الطويلة المطلية فوق رقبتها.

«حسناً يا جو، كانت سنة جيدة، ولكننا قلقون بشأن الصفقة الأخيرة. وصلت إلى آذاننا أصداء شائعات وأنت تعلم بأننا نميل إلى التفكير بأن لا دخان من غير نار»، قال آندرو.

تساءل جو في سرّه عن طبيعة هذه الشائعات، وشعر بوخز قطرات العرق عند محيط شعره. وتابع آندرو:

«كنّا نظنّ أن التحذير الرسمي الذي كُلّفت بتوجيهه إلى ماتيو قد يصحّح الأخطاء ولكن بلغنا أن الأمور لا تجري كما يجب تماماً منذ ذلك الوقت. أمضيت بعض أوقاتك بعيداً عن المكتب في الأسابيع الماضية وكان على أفراد فريقك أن يشمّروا عن زنودهم ويبذلوا جهوداً مضاعفة لكي يحافظوا على حُسن سير الأمور. قال لنا بعضهم إنك كنت تقوم بزيارات عديدة لزبائن محتملين. . .». ثمّ رفع آندرو حاجبه وأضاف: «ومن الغريب أن مفكّرتك تبدو خالية، ولم تأتِ على ذكر أيّ زبون جديد».

شعر جو بأنّ عليه أن يقفز للدفاع عن نفسه، فقد تعلّم ضرورة الصراع من أجل البقاء في هذه المهنة. فهناك دائماً مَن يريد الانقضاض عليك من الخلف لخطف مركزك ما إن تسنح له الفرصة. «كنت دائماً أدير العمليّات وأطلع فريقي على التطوّرات باستمرار ولقد تكلّمنا سابقاً على أهميّة التفويض. أريد أن يكون كلّ أفراد فريقي على اطّلاع تامّ على العمليّات من بدايتها إلى نهايتها، ولقد برهنوا على قدرتهم التامّة في تسيير الأمور كما اتّضح عندما نجحنا في إتمام الصفقة».

وفكّر جو مَن قد يكون ذلك الذي جاء إلى هنا ليهمس في آذان الرؤساء خبر غيابه المتكرّر. وتخيّل وجوههم المترقّبة في الأسفل. ولكنه لا يلومهم لأنه كان سيفعل الأمر نفسه لو كان في مكانهم منذ بضعة أشهر.

«إذاً، طريقة العمل من بعيد ستنتهي»، ولم يكُن كلامه طلباً. ثمّ

نهض من مقعده ونظر إلى جو من أعلى، ولم يكُن استخدامه لقامته المديدة لإيقاع الرّعب في قلب محدّثه حيلة جديدة. عقد يديه وراء ظهره، ولَبس تعبيراً متفائلاً وهو الرجل الذي لم يتعوّد الانتظار، وقال: «لا نريد أن نخسرك». وأطلق ضحكته المصطنعة التي أشبه ما تكون بالنباح.

انتبه جو إلى نبرة التهديد المبطّن في كلام آندرو، وهزّ برأسه تلقائيّاً معلناً إذعانه. وتراءى أمامه مشهد حياته وكأنه ينظر إلى نفسه من بعيد. وتصوّر أنه يعود للتوّ إلى المقعد السريع الدوّار في مدينة الملاهي، وها إن حاجز الأمان الحديدي في المقعد ينغلق أمامه فجأة معلناً انطلاقة جديدة في رحلة السرعة والدوران. لا مجال بعد الآن للعودة في نهاية النهار إلى سوفوك. انتهى الحلم بتنظيم ساعات العمل وتوفير فرصة للاسترخاء من حين إلى آخر. هذه ليست الوظيفة التي يمكنك القيام بها من خارج المدينة؛ عليك حمايتها والبقاء حاضراً «على سلاحك»، أي في أجواء العمل طيلة ساعات الليل والنهار. كانت هذه الأفكار ذاتها تجعله يقفز من سريره في الصباح المبكر ويذهب إلى مكتبه وكلّه فخر بأن سائقاً ينقله في سيارة فخمة إلى إحدى أفخم الأبراج اللندنية. كان يشكو بصوت مرتفع من عدد ساعات العمل التي قد تصل إلى ثماني عشرة ساعة في اليوم؛ ويشكو من اللّيالي البيضاء التي يقضيها في المكتب والوجبات السريعة واللقاءات مع الزبائن التي قد تنتهي في ملاهي ماي فير الليلية. ها إنه يشعر الآن بالإرهاق من مجرّد التفكير بكلّ ذلك ويعلم أنه بحاجة إلى إيجاد تلك الطاقة مجدّداً، وتلك الشرارة.

أُعطي جو الإذن بالخروج بعد ذلك بقليل، وبقيت كارين مع آندرو ليناقشا موضوعه. لوى آندرو عنقه إلى جهة واحدة وراقب

خروجه بصمت وكذلك فعلت كارين. تُرى ماذا يفكّران؛ هل لاحظا التغيّر الذي طرأ على شخصه؟

تابع نهاره بطريقة تكاد تكون آلية: أجاب على بريده الإلكتروني؛ وراجع بعض الأرقام، وتبادل النكات مع زملائه، ولكن سرعة تجاوبه كانت تتأخر أحياناً جزءاً من الثانية عندما يرحل تفكيره فجأةً إلى أماكن أخرى. كان الظلام قد خيّم على المدينة عندما ترك المبنى، وتبلّل الرصيف بالمطر، وانتشرت في الهواء رائحة الرطوبة. أرخى رأسه على مسند المقعد في السيارة لعلّه يتغلّب بقوّة إرادته على وجع الرأس الذي يلازمه منذ منتصف النهار.

خرج من السيارة ووقف أمام البرج السكني حيث يعيش، وأحسّ وكأنّ كلّ شيء تغيّر منذ أن سار عبر هذه الأبواب في المرّة الأخيرة. ثمّ أخذ نفساً عميقاً ومشى إلى المصعد منقبض الصدر من مجرّد التفكير بأنه سيخرج منه إلى شقّة فارغة.

توقّف لحظة خارج باب المصعد، وكان المكان غارقاً في العتمة والصقيع يتربّص في الزوايا. سارع جو إلى إضاءة المصابيح الجديدة، وسار من غرفة الجلوس إلى المطبخ، وكلّ شيء كان نظيفاً ولامعاً وثيابه مرتّبة في أماكنها. فتّش عن علبة كبريت في كلّ الأدراج لكي يُشعل الشموع العديدة التي اشتراها ولكن من دون جدوى. ثمّ عاد إلى غرفة الجلوس ولكن الأريكة الجلدية قاسية ولا تسمح حقّاً بالاسترخاء. وفكّر في مشاهدة التلفزيون وقلّب بين القنوات العديدة من غير أن تستوقفه صورة ولا برنامج؛ بل راحت الوجوه تظهر وتختفي، والموسيقى تعلو فجأةً أو تنخفض إلى أن خيّم الصمت.

وعندما لم يتمكّن من الاسترخاء، وقف وذهب لينظر إلى الحمّام. كان جو قد طلب من إدارة المبنى قبيل انتقاله إلى الشقّة

إزالة المغطس والاستعاضة عنه بمرشّة مضاعفة؛ إذ فكّر أن لا حاجة له بالمغطس ولن يكون لديه متّسع من الوقت للاسترخاء في الحمام. الفارق شاسع بين هذا الحمام في شقّته، وذلك الحمام الصغير في منزل أمّه. الجدران هنا مغطّاة برخام الأونيكس الأسود، ومشجب المناشف من معدن الكروم اللّامع مزوّدٌ بالتدفئة؛ والمرآة محاطة بالمصابيح الصغيرة، ونظام أنابيب التدفئة الممتدّة تحت البلاط يبث الدفء من أسفل إلى أعلى. إنّ هذا الحمام العصري يُساوي عشرة أضعاف قيمة الحمام في سوفوك؛ ولكن لماذا يشتاق إلى المغطس هناك؟ وإلى النافذه المفتوحة على منظر الحقول؟ وإلى مجموعة القماقم الموضوعة على حافته والتي تُضيف إلى الماء عطراً جميلاً؟ وإلى كرسي الحمام وخزّان المياه فوقه الذي يحتاج إلى الضغط بضربتين متتاليتين ليقوم بوظيفته؟

مشى إلى الوراء عبر غرفة الجلوس من غير أن يعي حقّاً ماذا يريد، ووجد نفسه في غرفة النوم يستخرج بيجاما جديدة من علبتها. خلع ثيابه وارتدى البيجاما وخالجه شعور بالراحة للتوّ. تعوّد جو أن ينام عارياً سوى من لباسه الداخلي؛ وقد ينام أحياناً فوق اللّحاف قبل أن يخلع ثيابه من شدّة الإرهاق والنعاس.

جلس في السرير وراح يفكّر بأحداث ذلك النهار وبأحداث الأسبوع بإحساسٍ مشوّش. ثمّ مدّ يده إلى علبة الدواء التي يضعها في الدرج إلى جانب السرير لاستخدامها في الحالات الطارئة وأخرج منها حبتين بعد أن نظر إليهما طويلاً.

تقلّب تحت اللّحاف وأحسّ بأن شيئاً ما ينقصه قبل أن ينتبه إلى أنّه تعوّد على وجود كيس الماء الساخن الذي غالباً ما أعدّته له كلارا ليأخذه معه إلى الفراش. شعر بقدميه باردتين وبالسرير واسع جدّاً.

ثمّ تساءل للمرّة العاشرة ربّما في ذلك اليوم ما إذا كانت كلارا قد غادرت القرية.

كان قد وصله بريد إلكتروني من والدته بعد الظهر تُخبره فيه بأن روز قدّمت عرضاً مقبولاً لشراء العقار، وأنها ترغب في البيع لكونها لا تملك الطاقة الكافية لكي تُدير المتجر وحدها بعد الآن. كان مسروراً لأن والدته باتت تدرك ماذا تريد حقّاً، ولم يغب عن باله كيف أشرق وجهها فجأةً لدى رؤية غافن في الليلة الفائتة. غير أنّه وفيما كان يقود سيارته على طول الشارع العريض هذا الصباح لم يتمكّن من منع نظره من التفتيش عنها في كلّ مكان، كان يفتّش عن تلك الستارة الحريرية من الشعر الأشقر اللامع المنسدلة من تحت القبّعة البنفسجية، وعلى تلك الكنزة الصوفية الفضفاضة. لم يجدها إذ ذاك وشتم نفسه من جديد لأنه سمح لها بالرحيل.

وها إنه قد عاد إلى لندن الآن حيث سكنت كلارا وعملت. ربّما التقيا مرّةً في «كاناري وارف» قبل أن يتعرّف إليها؛ ربّما سارت إلى جانبه، أو كانا حاضرين معاً في مؤتمر واحد. لم يستطِع تخيّلها في هذا العالم المختلف جدّاً عن عالمها الحاضر وهي ترتدي بدلةً وحذاءً عالياً. تُرى هل ما زالت في القرية، أو غادرتها؟ يجب أن ينام ليرتاح فكره ويستعيد نشاطه. ثمّ نظر إلى الحبّتين في كفّه للمرة الأخيرة قبل أن يبتلعهما دفعة واحدة.

مكتبة
t.me/t_pdf

الفصل الثالث والثلاثون

تعلم كلارا أنها يجب أن تشعر بمقدار أعلى من الرّضى والامتنان بعد أن دعاها غافن ولويزا إلى العشاء الوداعي اللطيف جداً مساء أمس، إضافةً إلى أنهما يحضّران لها مفاجأة وما زالا يعملان عليها منذ عودتهما من المطعم البارحة حتى هذا الصباح. كانت تسمع وشوشاتهما وضحكاتهما عبر الممرّ، وقدّرت أنهما ما زالا يضحكان بشأن غرفة غافن السرّية. لا تستطيع لويزا فعل أيّ شيء بهدوء، فتراها تضرب الأكواب بيديها اللّتين تتحركان في جميع الاتجاهات كلّما أرادت أن تُخبر حكاية معيّنة من حكاياتها العديدة. والحقيقة أنّ كلارا باتت تعشقها.

ولكنها أحسّت بالوحدة مساء أمس عندما كانت تنظر إليهما على الجهة المقابلة من الطاولة، يتمازحان بعفوية، ويد غافن فوق يدها، والابتسامة لا تفارق وجهه وعينيه كلّما تكلّمت. كانت كلارا سعيدة من أجلهما ولكن وجودهما معاً جعل وضعها كعزباء نافراً. لم يزعجها من قبل عدم وجود صديق حميم في حياتها، وكانت تفضّل

دائماً البقاء بمفردها، قادرة على فعل ما تشاؤه بحرية عوضاً عن العيش في شراكة قد لا تكون منسجمة تماماً. ولكنها، ومنذ تلك اللحظة التي لمحت فيها ظلّ مستقبل يرفل بالسعادة الخالصة على ذلك السطح وتحت النجوم، بدأت تتوق إلى التغيير.

لم تتوقّف عن العودة بخيالها إلى تلك الليلة، كم كانت انحناءة رأسه نحوها جذابة، وكم شعرت بأنّ كلّ ما حدث كان تلقائيّاً وطبيعيّاً. ثمّ تذكّرت عندما أحسّت بالتغيّر الذي طرأ عليه؛ وتذكّرت خروجه من الحمّام مرتاحاً مع نفسه، وضحكة عريضة على وجهه، ثمّ الرّعب الذي أصابه عندما تنبّه إلى أن وجهه ما زال مغطّى بالوحل. نظرت كلارا في تلك اللحظة إلى سقف الغرفة وضحكت، وأحسّت بوخزة ألم لأنّ كلّ ذلك كان قد انتهى. لم تعُد في الشقة ذاتها مع جو الذي ينام في الغرفة المجاورة ويحاول أقصى جهده لكي يصبح هيغي. لقد غادر القرية، وهي الآن في الغرفة الضيّقة ذاتها التي بدأت منها في الحانة.

سمعت ضربة على الباب أيقظتها من شرودها، وجاء صوت لويزا مزغرداً: «سنراك في المتجر بعد نصف ساعة. ومع هذه لو سمحت». وظهرت من تحت الباب عصبة عينين مصنوعة من قماش حريري سميك وزهري اللون. ولم تتمكّن كلارا سوى من الابتسام عندما وقع نظرها عليها.

«سأكون هناك»، أجابت كلارا.

شعرت أنها بحاجة للسيطرة على نفسها، ولرسم ابتسامة عريضة على وجهها، ولتغيير أكيد في مزاجها. برهنت لويزا عن كرمها مساء أمس إذ عرضت عليها مكافأة مالية مقابل الجهد الذي بذلته في

المتجر؛ رفضت كلارا الفكرة رفضاً قاطعاً ولكنها تأثرت بتلك اللفتة الكريمة.

«لم أفعل ذلك من أجل المال بتاتاً»، أكّدت كلارا، وأضافت: «شعرت أنني في بيتي ومتجري».

ثمّ عضّت على شفتها ما إن تفوّهت بتلك الجملة، لأن ما قالته يعبّر بالفعل عمّا أحسّت به. والتزمت الصمت فيما قدّمت لويزا لها عوضاً عن المال قطعة حلوى «تيراميسو» ضخمة غنيّة بالكريما حتى كادت تلتصق كلّ لقمة منها بحنجرتها قبل أن تتمكّن من بلعها.

نهضت كلارا ومشت بثقل إلى الحمام، ونظرت إلى وجهها في المرآة ومدّت يدها إلى الكيس حيث وضعت ماكياج وجهها وعينيها؛ وإذا بها، وبعد مسحة من البودرة البرونزية فوق خدّيها، ولمسة من الماسكارا فوق رموشها، وقليل من حمرة الشفاه، تعود إلى الغرفة أكثر إشراقاً وفرحاً. ارتدت فستانها الأخضر الدافئ وهو أحد أحبّ فساتينها إليها، ونظرت إلى نفسها في المرآة الضيّقة والطويلة المثبتة خلف الباب ولاحظت كم يعكس اللون الأخضر على شقرة شعرها لمعاناً وجاذبية. أطبقت شفتيها وارتدت معطفها ولم تنسَ عصبة العينين التي وضعتها في جيبها وخرجت إلى الشارع العريض عازمة على الاستمتاع بما أعدّه غافن ولويزا لها في مناسبة وداعها.

«ها إنها وصلت».

«هذه هي!».

«هناك!».

وصلت تلك الهمسات إلى أذنيها ما إن أصبحت على مسافة غير بعيدة من المتجر وتعجّبت لوجود تلك المجموعة الكبيرة من الناس أمامه. ها هو الصبي الذي سأل جو أن يساعده في رسم البطّة يحيّيها

بإيماءة جريئة من يده. ثم رأت غافن يحمل صينية ويوزّع المشروبات على الناس، ولمحت أكواباً مزيّنة بقطع من «المارشميللو»، وكاد يوقع كلّ شيء أرضاً عندما لمحها.

«ضعي العصبة على عينيك يا كلارا، الآن!»، قال لها من بعيد.

أسرعت كلارا إلى الامتثال إلى أمره، وسحبت العصبة من جيبها ووضعتها على عينيها وشعرت بمقدار غير قليل من البلاهة عندما تحوّل عالمها فجأةً إلى ظلام، وتابعت سيرها بتؤدة على الرصيف وهي تلوّح بذراعيها إلى الأمام لتَأمن شرّ الارتطام بأحد الأشخاص أو الأولاد المجتمعين.

وإذا بذراع تلتفّ حول ذراعها فتشعر بالاطمئنان، وتشمّ رائحة كأنها رائحة الريحان أو الحبق، وتكمل السير على الرصيف برفقة لويزا.

«تقدّمي ببطء. . . ، أكاد أطير من شدّة الحماسة، أوه، انتبهي إلى هذا الولد. . . ، كنت على وشك الاصطدام به. . . »، قالت لويزا.

«لويزا!»، اعترضت كلارا، عندما أحسّت بالناس يمرّون بها عن قرب، وعندما لامست بطريقة طفيفة أحدهم.

«لا تخافي، ليست سوى روز. سوف تحزن جدّاً وتغضب لا محالة لو سقط الشراب على معطفها بلون وبر الجمل. من الصعب جدّاً نزع شراب الشوكولاتة عن القماش. . . ، أوه، أظنّ أنها سمعت. أهلاً يا روز. . . ».

وجدت كلارا نفسها تقهقه بصوت منخفض. «هل عصبة العينين ضرورية؟»، سألت.

تجاهلت لويزا سؤالها بالطبع، وتابعت بكلامها العفوي:

«أوه... الأولاد في كلّ مكان، إنها الجنّة! وكلّهم فرحون برؤية ليدي كاكا. جاء بها غافن من الشقّة ولكنها لا تتوقّف عن مناداتهم «يا بلهاء!» حتى بات يفكّر الآن في إعادتها إلى فوق...، كم هو رقيق»، ثم توقّفت برهةً لتتنهّد كالمراهقة المعذّبة في الحبّ، وتابعت: «لا يتحمّل ألّا يكون حاضراً ليشاهد ردّ فعلك، يا لقلبه الكبير...».

كانت كلارا قد عادت إلى الضحك من جديد عندما توقفتا عن السير فجأةً، وصوت ليدي كاكا يتناهى إلى سمعها وهي تصرخ: «أرني النقود»[1].

«هيّا الآن يا كلارا»، قالت لويزا وقد حثّتها بدفعة رفيقة من كوعها.

نزعت كلارا بتمهّل العصبة عن عينيها لتجد نفسها وسط حشد من الناس، وتشهق أمام المشهد المفاجئ. كانت الواجهة من سقفها إلى أرضها مسكونة بمجموعة غافن القديمة من الدببة العديدة جدّاً والمتنوعة بأشكالها وألوانها، وبالشفاه المبتسمة التي خيطت على وجوهها. رتّبت الدببة لتبدو وكأنها تنظر إلى الشارع وإلى المارّة، وإذا بالأطفال مسمّرين أمام الواجهة حتى التصقت أنوفهم بالزجاج طمعاً بمزيد من الرؤية. وزّعت الدببة على شكل مجموعات تجلس بأوضاع مختلفة، ومنها ما كان متسلّقاً فوق غيره بفوضى مضحكة. كان المشهد لافتاً حقّاً. وكم ضحكت كلارا أيضاً عندما دخلت إلى المتجر وشاهدت الدببة تملأ الرفوف أيضاً وسمعت أنغام موسيقى مرحة تخرج من مكبّرات الصوت في الزوايا.

---

(1) عبارة اشتُهرت في فيلم Jerry Maguire.

«رائع!»، قالت، عندما وقع نظرها على مجموعة أخرى من الدببة تجلس على المنضدة بقرب الصندوق في حفلة شاي مع دمى «باربي». أما لورين فرفعت إبهامها في إيماءة تأييد وحماسة، وكانت تقف خلف الصندوق وأمامها خطّ طويل من الزبائن لا ينتهي.

«كل هذا حدث بإيحاء منك، يا عزيزتي». وبسطت ذراعها في إشارة إلى حشد الزبائن وإلى المشهد المرح والهازج في المتجر؛ وتابعت على وقع خشخشة أساورها: «انظري الزحمة، والوجوه المبتسمة والضاحكة، لقد أعدتِ الحياة إلى هذا المكان. كان يعجّ بالناس هكذا عندما افتتحناه وعملنا فيه وحدنا، جو وأنا».

أحسّت كلارا بتغيّر في معالم وجهها لدى سماع اسمه. وشعرت بغصّة الألم عينها التي باتت رفيقتها. كان سيعشق رؤية كلّ هذا؛ رؤية أمّه تشتعل حماسةً، وتستعيد حبّها إلى كل شيء هنا. كم من المؤسف بالفعل أن تبيع هذا المتجر!

«في الحقيقة، هناك شيء أريد أن أسأل. . .».

قالت لويزا، ولكنها لم تتمكّن من إنهاء جملتها عندما ظهر غافن بابتسامة خجولة على وجهه. توقّفت عن الكلام وكأنها نسيت ما أرادت قوله، ووقفت تتأمّل في وجهه وكأنها لم تلمحه من قبل. «تبدو أجمل هنا ممّا لو بقيت مبعثرة في زوايا غرفة النوم الإضافية في الحانة. أليس كذلك؟»، قال غافن واحمرار وجهه يزداد ويصل إلى الوشم الذي على رقبته.

«تبدو رائعة»، قالت كلارا.

«لم يكن لطيفاً منّي أن أخفيها طيلة هذه السنين. كان يجب مشاركة الآخرين في الاستمتاع بها؛ الأطفال يعشقونها».

«هل تشعر أنكّ محظوظ يا وغد؟ هل تشعر؟».

«يا إلهي، يجب أن نمنع هذه الببغاء من مشاهدة التلفزيون بعد الآن»، قال غافن مرتجفاً وقد لعلع صوت الببغاء في أرجاء المتجر. «وإلّا فسيبدأ الناس بالشكوى منها»، تابع وهو يلفّ ذراعه حول لويزا.

«لا يمكن ترويضها»؛ قالت لويزا، «شخصيتها حرّة مثلي».

«ولكنّها أقلّ جمالاً»، قال غافن، وهو يقبّل شعرها، وازدادت رقعة الاحمرار فوق رقبته حمرةً عندما تذكّر أن كلارا تقف أمامهما.

«نريد أن نقدّم لك هديّة صغيرة يا كلارا»، قال غافن، ومشى نحو الصندوق مستخرجاً من هناك دبّاً يحمل بقدمه شيئاً.

ضحكت كلارا عندما لاحظت أن ذلك الشيء هو العلم الدنماركي. «لا، لا يمكنني أخذه»، قالت وهي تضمّ الدبّ إلى صدرها.

«يمكنك أخذه بالتأكيد؛ نعجز عن التعبير عن شكرنا لك. أفكارك ولمساتك ساعدت في تحسين وضع الحانة أيضاً. هل علمت أنه طلب منّا إقامة سهرة زفاف في الصيف؟ وأن اللجنة المتخصّصة في الكنيسة تنوي إعادة سوق عيد الميلاد إلى القرية في السنة القادمة، بحسب ما قاله لي كلايف؟ ما فعلته يا كلارا ليس بسيطاً؛ لقد أعدتِ إلى قريتنا نبض الحياة».

رقص قلب كلارا على وقع هذه الكلمات. وشعرت بسرور كبير لأنها استطاعت أن تقدّم شيئاً لهذه القرية التي تعلم أنها ستبقى في قلبها ولن تنساها أبداً.

«ولهذا. . .»، قال غافن ونظر إلى لويزا. «هل قلت لها؟»، سألها.

«لا»، أجابت لويزا بشخرة. وتابعت: «لم أستطِعْ أن ألفظ حرفاً مسموعاً بسبب تدخّلك المفاجئ».

اعتذر غافن بضحكة: «أعتذر من جلالتك، تفضّلي بالكلام».

وفي تلك اللحظة، لمحت كلارا روز تحوم في إحدى الزوايا وعبست. ما سبب وجودها هنا؟ بدأت لويزا بالكلام، ولكن وما إن سمعت كلارا كلماتها الأولى حتى شردت أفكارها وخسرت تركيزها. قالت لويزا: «كنت مصمّمة على بيعه إلى روز... قدّمت عرضاً جيّداً... ولكن وبعد ذلك...».

شعرت كلارا وكأنها على وشك التقيّؤ. لا غرابة في وجود روز هنا... إنها تراقب ما يحدث في ملكها الجديد وتخطّط لتمزيق كلّ ما هو قائم الآن والاستعاضة عنه بتصميم جديد.

«ولكنها مغتاظة جدّاً الآن لأني سأبيع العقار إلى مشترٍ جديد»، تابعت لويزا.

«مشترٍ جديد..»، قاطعتها كلارا وشعرت بالدوار من كلّ ذلك. إذاً لن تشتري روز العقار، بل نجح مشترٍ آخر في اقتناص الصفقة.

«إنه الآن في الجهة الخلفية يُعاين مكان استثماره الجديد...»، أضافت لويزا.

قطّبت كلارا حاجبيها وأحسّت بقبضة صقيعية تعتصر أحشاءها. ماذا عن كلّ تلك الجهود التي بذلتها في المتجر حتى بات يعجّ بالأطفال؟ باعت لويزا المتجر بالفعل وسوف تتخلّى عن هذا المكان. تُرى هل سيحافظ المالك الجديد على المكان كمتجر لبيع الألعاب؟

وأضافت لويزا من غير أن تتمكّن من إخفاء الفرح في صوتها:

«سأنتقل للعيش في الحانة. . . ، ولكنّنا فكّرنا في إمكان أن تشتركي معه في إدارة المكان. . . ».

لم تعُد كلارا قادرة على التفكير، وأحسّت بتوقٍ إلى مغادرة المكان على الفور، وإلى مغادرة القرية كلّها قبل أن تُصاب بمزيد من الخيبة والحزن. سوف تترك لويزا المتجر إلى المالك الجديد الذي قد يهمله، وتنتقل لتعيش مع غافن. كيف تفعل ذلك بعد أن كادت تطير فرحاً لرؤيته يعجّ بالناس؟

«إنه راغب في مناقشة مشاريعه المستقبلية معكِ»، أوضحت لويزا.

أحسّت بالدموع تتجمّع في عينيها فيما كانا يقودانها في اتجاه باب المشغل، وكانت ساقاها تشدّانها للسير في الاتجاه المعاكس. لم تكن راغبة في مقابلة المالك الجديد ولا تهتمّ بما يخطّطه للمتجر. ربّما يريد هدم البناء برمّته وإقامة شقق فخمة في مكانه فيتحوّل إلى شيء مختلف كليّاً.

«هل هذا صحيح، لكنّي. . . ». وحاولت الإفلات منهما من أجل مغادرة المكان على الفور.

ولكن لويزا وغافن كانا متمسّكان بها ولم يسمحا لها بالمغادرة، حتى وجدت نفسها في مدخل الغرفة الخلفية. الطاولة ملأى بآنية الألوان، وحولها جلس الأطفال على مقاعدهم، وفي يد كلّ منهم فرشاة يلوّن بها دميته الخشبية باهتمام وتركيز، وأشعة الشمس تخترق النوافذ وتلفّهم بالضوء والدفء. لا تصدّق كلارا أن كلّ ذلك سينتهي وستعود الغرفة لما كانت عليه كمخزن يتكدّس فيه الغبار فوق أشلاء المفروشات القديمة والمتكسّرة.

كان المالك الجديد يتكلّم إلى أحد الأطفال وقد انحنى في

اتجاه الطفل مديراً ظهره إليها؛ وما لبثت أن انفجرت عاصفة من القهقهات عندما اصطدمت ريشة الطفل بأنفه وغطّته بالصباغ.

وإذا بكلارا تشعر بانقطاع نفسها عندما استقام الرجل وشاهدت جانب وجهه: أنفه المستقيم، وشعره البني الداكن، ورموشه الطويلة. كان يرتدي سروالاً أسود من نوع الجينز، وكنزة فضفاضة باللون الأحمر القرميدي. وما لبث الابتسام أن أضاء وجهه مجدّداً عندما لمح كلارا تنظر إليه.

وقفا قبالة بعضهما ينظر واحدهما إلى الآخر طيلة دقيقة بدت طويلة جدّاً.

«ولكني لا أفهم...»، همست كلارا واستدارت لتتكلّم إلى لويزا وغافن، ولكنها لم تجدهما وكأنهما اختفيا.

اقترب جو منها وأخذ يديها بين يديه وشدّها معه إلى إحدى زوايا الغرفة.

«أهلاً»، قال.

شعرت كلارا وكأن الكلمات تجمّدت في مكانٍ ما في داخلها وكان لديها أسئلة عديدة لكي تطرحها. ولكنّها عادت فجأة ونظرت بريبة وراء جو وحولهما لعلّها وقعت في خطأ كبير وتوقّعت أمراً مستحيلاً؛ ولعلّ المالك الجديد، الرجل الأصلع القصير الذي تخيّلته، موجود حقّاً في الغرفة، وقد لا يكون وجود جو هنا سوى ليُشرِف على عقد البيع. ولكنها ومن حيث أنها لم تجد سوى الأطفال والأمهات حولها، عضّت على شفتها وتركت لنفسها مساحةً من الأمل.

«اشتريته أنا، وبالمجّان»، قال لها جو ضاحكاً. وتابع: «امرأة متقدّمة في العمر طلبت منّي إزاحته من طريقها مقابل ثمن بخس».

شعرت كلارا أن كلماته تكاد تصطدم ببعضها وأنه على جانب من التوتّر.

«ولكنّي. . . ».

«تريد أن تتقاعد، وأن تسافر -وهي تريد على الأرجح زرع وجه غافن بالقبل. . . »، وارتجف عندما تلفّظ بتلك الكلمات، ولم تتمكّن كلارا من مقاومة الابتسام. «يبدو هذا الحلّ منطقيّاً؛ فالمتجر كثير الزبائن الآن، وكنت أفكّر لو توافقين على البقاء لمتابعة الاهتمام به. إنه يعمل جيداً بفضلك؛ أنت التي جعلته كذلك». وجال بعينيه على الأطفال المتجمهرين حول الطاولة.

أحسّت كلارا بقلبها يغرق من جديد. إذاً هذه هي القصّة. مجرّد عمليّة تجارية، هل هذا كلّ شيء؟ ستهتمّ بإدارة المتجر، ويعود جو إلى لندن؛ إلى المدينة وإلى الأدوية المسكّنة، وإلى لائحة مواعداته مع الفتيات وإلى حياة العمل الذي لا ينتهي.

«وأين أنت. . . »، قالت ولم تُكمل جملتها، إذ قرّرت أنها لا تريد أن تعلم. . . وأقفلت فمها على ما تبقّى فيه من كلمات.

ترك جو يديها، فشعرت بالصدمة للتوّ وشدّت قبضتيها معاً.

«استقلتُ من وظيفتي»، قال ببطء. «كادت تقضي عليّ، وقبضتُ مبلغاً لا بأس به عن فائض أتعابي. وفكّرت أنه يمكننا ربّما القيام ببعض المشاريع معاً. أما لورين فوعدت بالمساعدة لو قرّرنا السفر معاً، مثلاً. . . ».

دارت كلماته حول رأسها ولم تعُد تسمع شيئاً منها ما إن تحسّست أهميّة ما كان يقوله. ترك لندن وعاد للإقامة هنا، ويقترح عليها مشاركته في مشاريعه وأسفاره. شعرت بجسدها خفيفاً وهي تنظر إليه، وكانت عيناه تتأمّلانها بجديّة.

«واو!»، قالت، ولم تستطِعْ أن تقول شيئاً آخر.

«هل «واو» تعني «نعم»؟ وإن كانت كذلك فعندي لكِ هذه»، قال، وقدّم لها علبة صغيرة.

وجدت كلارا نفسها عاجزة عن التفكير بأيّ شيء. كلّ الأمور تحرّكت بسرعة. كيف يمكن للإنسان أن يكون في منتهى البؤس في لحظة معيّنة، وفي منتهى السعادة في اللحظة التالية؟ ارتجفت يداها وهي تأخذ منه العلبة وتفتحها بتمهّل، ثمّ ارتسمت على وجهها ضحكة عارمة إذ لفّها شعور بالاسترخاء واطمأنّ بالها من مختلف النواحي. إنها الحقيقة؛ عاد جو إلى القرية ليبقى فيها، وستتمكّن هي أيضاً من البقاء.

استخرجت من العلبة إناء زجاجيّاً جميلاً فيه شمعة معطرة، وقالت: «شكراً، لم يكن من الضروري أن تكلّف نفسك هذا العناء». وضحكت.

«إنها من أجل الشقة»، قال جو مبتسماً. «شقتنا»، أضاف. ثمّ انحنى نحوها قليلاً وضمّ وجهها براحتيه وقبّلها. عرفت كلارا في تلك اللحظة بالذات أنها وجدت أخيراً الملاذ الدافئ الذي تبحث عنه.

مكتبة
t.me/t_pdf

كلمة من الكاتبة إلى القارئ

أريد أوّلاً أن أعبّر عن شكري الكبير إليك لاختيارك قراءة **رحلة هيغي**. أتصوّر أن الغلاف الوردي اللامع جذبك إلى الكتاب بدايةً، ولكني أتمنى أن تكون قد استمتعت في القراءة بعد ذلك. إن استمتعت حقّاً في القراءة ولم تنجز اليوم بعد تلك الخدمة المفيدة للآخرين التي تطمح إلى القيام بها في كلّ يوم، فإنك محظوظ؛ إذ سيكون من المفيد جدّاً لو استطعت إبداء رأيك في الكتاب على صفحة آمازون أو على صفحة غودريدز. إنه عمل سهل ولا يحتاج الإطالة أو المبالغة، لأنّ مجرّد الإدلاء بالرأي يصنع فرقاً. إني أقرأ كلّ الآراء وأقدّر الوقت الذي يصرفه القرّاء لكتابتها. وإن لم يكُن لديك الوقت لتُبدي رأيك بهذه الطريقة، أتمنى عليك أن تعبّر عن حبّك للكتاب أمام معارفك الذين تلقاهم على أرض الواقع أو عبر الإنترنت. أمّا لو كانت لديك النقود الكافية وترغب في إبداء رأيك على نطاقٍ واسع، فلا تتأخر عن إعلانه على إحدى اليافطات المعلّقة بالطائرات. إنها مجرّد أفكار؛ ولك ملء الحرية في كيفية التعبير.

إن أردتَ التواصل معي، أو ترغب في أن نصبح أصدقاء مقرّبين مدى الحياة، أو لكي تكلمني عن أمور لا أعرفها بشأن أشخاص ظهروا في المواسم الثلاثة الأولى من مسلسل «جزيرة الحبّ» (Love Island) مثلاً، فما عليك سوى أن تتواصل معي على

صفحات الإنترنت. اتبَعني على التويتر على العنوان المبيّن في أسفل الرسالة خصوصاً إن كنت تحبّ التسلّي بالأمور غير المهمّة، وتحبّ التوصية بقراءة بعض الكتب، وتحبّ صور القطط المطبوعة على أكواب القهوة وغير ذلك. وتجدني أيضاً على إنستغرام إن كنت تحبّ صور الأطفال، أو صور الأنهر أو السماء. إني أيضاً على فايسبوك؛ ولديّ صفحة خاصّة على شبكة الإنترنت. في الواقع ليس لديك عذر لعدم التواصل معي.

أشكرك مرّة أخرى بكلّ صدق؛ وبتواضع أقول إني أشعر بالفخر حقّاً عندما تقرأ كتبي فيما توجد أعداد وفيرة من الكتب الجيّدة المنشورة. أتمنّى أن أستمرّ في كتابة المزيد منها لسنوات طويلة وعديدة.

هاك عنواني على تويتر وإنستغرام:

(@RosieBBook)

وتجدني على فايسبوك تحت اسمي:

Rosie Blake

وهذا عنوان موقعي الإلكتروني:

www.rosieblake.co.uk.

روزي

مكتبة
t.me/t_pdf

مكتبة

روزي بليك

رحلة هيغي Hygge

دوماً ما تُظهِر استطلاعات الرأي أنّ الدنماركيين هم الشعب الأكثر سعادة في العالم. فما هو سرّهم؟ إنه **الهيغي!** فنّ حياة قائم على التفاؤل المتجدِّد في كل يوم، وعلى نظرة غير مادّية لمقوّمات السعادة، وفلسفة عيش تدعو إلى الاستمتاع بملذّات الحياة مهما كانت بسيطة، وإلى خلق لحظات دافئة ومرحة مع الأصدقاء والأحبّة.

شاء القدر أن تجد كلارا، الفتاة الدنماركية، نفسها في قرية يولثورب التي تعيش ظروفاً صعبة وتخلو شيئاً فشيئاً من سكانها ومتاجرها، فتأخذ على عاتقها إنقاذ متجر ألعاب الأطفال، وإعادة الأمل إلى الناس الذين احتضنوها. إلّا أن جو، ابن صاحبة المتجر ومديراً مالياً كبيراً يعمل في المدينة، لا يثق بأساليب كلارا ويشكّك في سلامة نواياها. فتعقد كلارا العزم على إقناع جو بأن هناك وجهاً آخر وأفضل للحياة. فهل تنجح في هذا التحدّي؟ هل تتمكّن من تغيير عادات شابّ مدمن على العمل، ويجيب على رسائله الإلكترونية في الثالثة صباحاً؟ هل سيتعلّم جو أن يعيش بوتيرة أقلّ سرعة وأكثر سعادة، وهل سيميل إلى إدخال أجواء **هيغي** إلى حياته... وربّما الوقوع في الحبّ أيضاً؟

هيّا! حضّروا كوباً من الشوكولاتة الساخنة وتدثّروا بغطاء دافئ واكتشفوا عبر سطور هذه الرواية الجميلة طريقكم إلى السعادة، على طريقة **هيغي** الدنماركية!

telegram @t_pdf

ISBN 978-9953-68-954-8
9 789953 689548

قراءات تنمّي الذات

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com